

مسالك الأبصار

في ممالك الأمصار

لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أحمد بن يحيى
٧٤٩هـ - ١٣٤٩م

الجزء الخامس والعشرون
(منذ الخليقة وحتى سنة ١٥٨ هـ)

تحقيق
د. محمد عبد القادر خريسات
د. عصام مصطفى عقلة   د. يوسف أحمد بني ياسين



مركز زايد للتراث والتاريخ

رقم التصنيف	:	ديوي 919
المؤلف ومن هو في حكمه	:	ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى
تحقيق	:	أ. د. محمد عبد القادر خريسات د. عصام مصطفى عقلة ـ د. يوسف أحمد بني ياسين
عنوان الكتاب	:	مسالك الأبصار في ممالك الأمصار الجزء الخامس والعشرين
الموضوع الرئيسي	:	موسوعة جغرافية ـ تاريخ
قيد الكتاب	:	تم قيد الكتاب في سجل الإيداع النوعي، بقسم الملكية الفكرية وحقوق المؤلف بوزارة الإعلام والثقافة تحت رقم: أ م ف ـ ٢٠٠٢ تاريخ
الناشر	:	مركز زايد للتراث والتاريخ ـ العين دولة الإمارات العربية المتحدة
توصيف الكتاب	:	مقاس ١٧ × ٢٤، عدد الصفحات ٢٦٤ صفحة
الرقم الدولي	:	ردمك ISBN 9948 - 06 - 065 - 4

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م ـ ١٤٢٥ هـ



مركز زايد للتراث والتاريخ

ZAYED CENTER FOR HERITAGE AND HISTORY

ص. ب. ٢٣٨٨٨ العين ـ الإمارات العربية المتحدة ـ هاتف : ٧٦١٥١٦٦ ـ ٣ ـ ٩٧١ ـ فاكس: ٧٦١٥١٧٧ ـ ٣ ـ ٩٧١

P.O. BOX: 23888 AL AIN - U. A. E. - TEL: 971 - 3 - 7615166, - FAX: 971 - 3 - 7615177

E-mail: zc4HH@zayedcenter.org.AE

كلمة المركز

يسر مركز زايد للتراث والتاريخ أن يقدم للقراء العرب، وبخاصة المهتمين بالتراث العربي الإسلامي، واحداً من أضخم الأعمال الموسوعية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية عبر عصورها، ألا وهو كتاب «**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**» لأحمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ - ١٣٤٩م).

وقد تبنى المركز نشر هذه الموسوعة بتوجيهات كريمة من **سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان نائب رئيس مجلس الوزراء، حيث حرص سموه على الإعتناء بالتراث العربي المخطوط ونشره ليكون في متناول أيدي الباحثين والمختصين لذلك تأتي هذه الموسوعة التاريخية الهامة ضمن خطة المركز الطموحة لنشر التراث العربي الأصيل وتقريبه للقارىء العربي وخدمته.**

وقد اعتمد المركز نشر الكتاب من خلال خطة تقوم على الحفاظ بداية على تجزئة الكتاب كما أراده المؤلف وسيكون بعون الله في ٢٨ مجلداً تتبعها الفهارس العامة للكتاب ولما كانت الموسوعة بهذه الضخامة والأهمية فقد قام المركز بتكليف أساتذة أكاديميين من ذوي الخبرة بإشراف الأستاذ الدكتور محمد عبد القادر خريسات لتحقيق الكتاب وجمع مخطوطاته لمقارنتها مع بعضها بعضاً للوصول إلى أكمل نسخة من الكتاب، وكذلك فلا بد من تقديمها مع دراسة تجلي الجوانب المختلفة من حياة مؤلفها، وتبين أهمية الكتاب ومنهج المؤلف وأسلوبه مع دراسة كاملة لمخطوطات الموسوعة المستخدمة في التحقيق التي ستكون بعون الله في المجلد الأول حيث لا يمكن إنجاز هذه الدراسة إلا بعد استكمال تحقيق أجزاء الكتاب كاملة.

والمركز إذ يقدم هذه الموسوعة التاريخية الجغرافية الأدبية فإنه يأمل بذلك أن يكون قد خدم المكتبة العربية بهذا المرجع الضخم، وأن يقع من نفوس القراء والباحثين الموقع الحسن، نسأل الله أن يوفقنا إلى خدمة تراثنا وتاريخنا رمز حضارتنا العربية والإسلامية، ومبعث افتخارنا واعتزازنا

واللّه ولي التوفيق

د. حسن محمد النابودة

مدير المركز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

يسرنا أن نقدم للمكتبة العربية والباحثين السفر الخامس والعشرين من أسفار موسوعة ابن فضل الله العمري، الموسومة بـ «**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**»، والمتعلق بتأريخ العالم على السنين من أيام بني إسرائيل وحتى سنة ١٥٨ لهجرة الرسول ﷺ.

وقد اعتمدنا في إخراج هذا السفر على مخطوط واحد هو نسخة فؤاد سزكين المصورة عن نسخة آياصوفيا رقم (٣٤٣٧) استانبول، وهي مخطوطة جيدة واضحة الخط، كانت ضمن مقتنيات المؤرخ المشهور المقريزي.

وامتاز هذا السفر كغيره من أسفار الموسوعة باطلاع مصنفه على مجموعة من المصادر المفقودة لعل من أبرزها مصنفات ابن سعيد المغربي، والتاريخ المظفري لابن واصل وغيرها.

عمان

٢٢/ ٨/ ٢٠٠٢م

المحققون



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رب يسر

وقد تقدم من ذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والخلفاء وملوك بني إسرائيل وغيرهم في قسم سكان الأرض ما كان فيه مقنع في علم كليات أخبارهم دون ما هو مقيد بالتاريخ، فإن بهذا موضعه، وسيأتي في هذا القسم مع ما تقدم أيام ملة الإسلام إذ كان فيها مما العمدة في أكثره على ما حرره الملك المؤيد صاحب حماة في كتابه المسمى «**بالمختصر في تاريخ البشر**»[1] مع ما اقتُطف من غيره أو ذيل به عليه وبالله التوفيق.

لما مات موسى عليه السلام لم يتولَّ ملك على بني إسرائيل، بل كان لهم حكام سدّوا مسدَّ الملك، ولم يزالوا على ذلك حتى قام فيهم طالوت، فكان أول ملوكهم على ما سنقف عليه إن شاء الله تعالى[2].

وهذا الفصل أعني:

فصل حكام بني إسرائيل

قد كثر اللغط والغلط فيه لبعد زمنه، ولكونه باللغة العبرانية، فيعسر النطق بألفاظه على الصحة. قال الملك المؤيد[3] المذكور: ولم أجد في نسخ التواريخ التي وقعت في هذا الفن ما أعتمد على صحته، لأن كل نسخة تخالف الأخرى، إما في أسماء الحكام، وإما في عددهم، وإما في مدد استيلائهم.

ولليهود الكتب الأربعة والعشرون، وهي عندهم متواترة قديمة، ولم تُعَرَّبْ إلى الآن بل هي باللغة العبرانية، فأحضرت منها سفري قضاة بني إسرائيل وملوكها، وأحضرت إنساناً عارفاً باللغة [٣] العبرانية والعربية، وتركته يقرؤها، وأحضرت بها

---

(١) اعتمدنا هنا طبعة محمود ديوب: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

(٢) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٣٨.

(٣) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٣٨.

ثلاث نسخ، وكتبت منها ما ظهر لي صحته، وضبطت الأسماء بالحروف والحركات حسب ما أطقته، والله الموفق للصواب[١].

ذكر يوشع[٢]:

ولما مات موسى عليه السلام قام بتدبير بني إسرائيل يوشع بن نون بن اليشاماع بن عَمِّيهوُد بن لَعْدان بن يَاحِنْ بن تالح[٣] بن رَاسف بن رافح بن يربعا بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب[٤].

وأقام مع بني إسرائيل في التيه ثلاثة أيام، ثم ارتحل يوشع ببني إسرائيل وأتى الشريعة وهو النهر الذي بالغور واسمه الأُردن في عاشر نيسان من السنة التي توفي فيها موسى، فلم يجد للعبور سبيلاً، فأمر يوشع حاملي صندوق الشهادة الذي فيه الألواح بأن ينزلوا على حافة الشريعة، فوقفت الشريعة حتى انكشف أرضها وعبر بنو إسرائيل ثم بعد ذلك عادت الشريعة[٥].

ونزل يوشع ببني إسرائيل على أريحا محاصراً لها، وصار في كل يوم يدور حولها مرة واحدة، وفي اليوم السابع أمر بني إسرائيل أن يطوفوا حولها سبع مرات، وأن يُصَوِّتوا بالقرون، فعند ذلك هبطت الأسوار ورسخت وتساوت الخنادق بها، ودخل بنو إسرائيل أريحا بالسيف عنوة وقتلوا أهلها[٦].

وبعد فراغه من أريحا سار إلى نابلس إلى المكان الذي بيع فيه يوسف، فدفن به عظام يوسف، وكان موسى قد استخرج يوسف [٤] من مصر، واستصحبه معه إلى التيه، فبقي معهم أربعين سنة وتسلمه يوشع، فلما فرغ من أريحا سار به ودفنه هناك[٧].

وملك يوشع الشام وفرق عماله واستمر يدبّر بني إسرائيل نحو ثمان وعشرين سنة

---

(١) أبو الفداء، المختصر: ١/٣٩.

(٢) رسم في التوراة: «يشوع» انظر: سفر يشوع، ص٣٣٧، وانظر أيضاً: الطبري، تاريخ: ١/٣٣٥ وفيه رسمه كما أثبته ابن فضل الله وانظر خبره في أبي الفداء، المختصر: ١/٣٩.

(٣) في الأصل: يانح والمثبت عن أبي الفداء.

(٤) أبو الفداء، المختصر: ١/٣٩.

(٥) التوراة، سفر يشوع، الإصحاح الثالث، الآيات ١٢-١٧، أبو الفداء، المختصر: ١/٣٩.

(٦) التوراة، سفر يشوع، الإصحاح السادس، أبو الفداء، المختصر: ١/٣٩.

(٧) التوراة، سفر يشوع، الإصحاح ٢٤، الآية ٣٢، أبو الفداء، المختصر، ١/٣٩.

ثم توفي ودفن في كفر حارس، وله من العمر مائة وعشر سنين[١].

قال: ورأيت في تاريخ ابن سعيد[٢]: أن يوشع مدفون بالمعرة والله أعلم.

قال: فكانت وفاة يوشع سنة ثمان وعشرين لوفاة موسى[٣].

وبعد وفاة يوشع قام بتدبيرهم.

فينحاس[٤]:

ابن العزر بن هارون بن عمران وكالاب بن يوقنا[٥].

وكان فينحاس هو الإمام وهو من سبط يهوذا، وكان كالاب يحكم بينهم، وكان أمرهما في بني إسرائيل ضعيفاً، ودام بنو إسرائيل على ذلك سبع عشرة سنة[٦]. ثم طغوا وعصوا، فسلط الله عليهم كوشان[٧] ملك الجزيرة، وقيل: إنها جزيرة قبرس. وقيل: بل كان كوشان المذكور ملك الأرمن[٨]، وكان من ولد العيص، فاستولى على بني إسرائيل واستعبدهم ثمان سنين، فاستغاثوا إلى الله تعالى، وكان لكالاب أخ من أمه يقال له عُثْنِيئيل[٩] بن قَنَاز فأقام كالاب المذكور أخاه عثنيئيل المذكور على بني إسرائيل[١٠].

قال الملك المؤيد المذكور[١١]: فكان خلاص بني إسرائيل من كوشان المذكور

---

(١) التوراة، سفر يشوع، الإصحاح ٢٤، الآية ٢٩، أبو الفداء، المختصر، ١/٣٩-٤٠.

(٢) هو كتابه «لذة الأحلام في تاريخ أمم الأعجام» وهو في عداد المفقود من كتبه انظر أبو الفداء، المختصر: ١/١٢، والخبر في ١/٤٠.

(٣) أبو الفداء، المختصر: ١/٤٠، والذي في الطبري، تاريخ الرسل: ١/٤٤٢، أنه دبرهم سبعاً وعشرين سنة بعد موسى.

(٤) جاء على الجانب الأيمن للمخطوط (ت) حاشية بغير خط المخطوط «بفاء وياء مثناة من تحتها ثم نون وحاء مهملة ثم ألف وسين مهملة».

(٥) التوراة، سفر القضاة، الإصحاح الأول، ورسمه في التوراة: كالب. وانظر أبو الفداء، المختصر: ١/٤٠.

(٦) أبو الفداء، المختصر: ١/٤٠.

(٧) في الأصل: كوسان والمثبت من التوراة وأبي الفداء.

(٨) الذي في التوراة، سفر القضاة، الإصحاح الثالث، الآية ٨: إنه ملك أَرَام النهرين.

(٩) في الأصل: عثنيال والمثبت من التوراة وأبي الفداء.

(١٠) التوراة، سفر القضاة، الإصحاح الثالث، الآيات ٨-١١، أبو الفداء، المختصر: ١/٤٠.

(١١) أبو الفداء، المختصر: ١/٤٠.

في سنة اثنتين وخمسين لوفاة موسى عليه السلام لأن كوشان حكم عليهم ثمان سنين [٥].

ثم قام فيهم بعد استيلاء كوشان.

عثنيئيل بن قناز[١]:

من سبط يهوذا، وأزال ما كان على بني إسرائيل أربعين سنة، وتوفي. قال[٢]: فتكون وفاته في أواخر اثنتين وتسعين لوفاة موسى.

ثم من بعد وفاة عثنيئيل أكثر بنو إسرائيل المعاصي، وعبدوا الأصنام فسلط الله عليهم عفلون ملك مآب[٣] من ولد لوط عليه السلام، واستعبد بني إسرائيل، فاستغاث بنو إسرائيل إلى الله أن ينقذهم من عفلون المذكور، واستمروا تحت مضايقته ثماني عشرة سنة، فيكون خلاصهم منه في أواخر سنة عشر ومائة[٤]. ثم أقام الله لبني إسرائيل.

إِهُوْذ:

من سبط بنيامين، فكفَّ إهوذ عنهم أذيّة عَفْلُون ومضايقته، وأقام إهوذ مدبرهم ثمانين سنة فتكون وفاة إهوذ في أواخر سنة تسعين ومائة لوفاة موسى[٥].

ولما مات إهوذ قام بتدبيرهم من بعده.

شَمْكار بن عبوث[٦] دون سنة فتكون ولاية شمكار ووفاته في أواخر سنة إحدى وتسعين ومائة لوفاة موسى[٧].

ثم طغى بنو إسرائيل، فأسلمهم الله تعالى في يد بعض ملوك الشام واسمه يابين فاستعبدهم عشرين سنة حتى خلصوا منه فيكون خلاصهم منه في أواخر سنة إحدى عشرة ومائتين لوفاة موسى[٨].

---

(١) سفر القضاة، الإصحاح الثالث، الآية ٩، أبو الفداء، المختصر: ١/٤٠.

(٢) أبو الفداء، المختصر: ١/٤٠.

(٣) الذي في سفر القضاة، الإصحاح الثالث، الآية ١٢: إنه عجلون ملك موآب، أبو الفداء، المختصر: ١/٤٠.

(٤) سفر القضاة، الإصحاح الثالث، الآيات ١٢-٢٠، أبو الفداء، المختصر: ١/٤١.

(٥) سفر القضاة، الإصحاح الثالث، الآيات ١٢-٢١، أبو الفداء، المختصر: ١/٤١.

(٦) الذي في التوراة، سفر القضاة، الإصحاح الثالث، الآية ٢١: «شَمْجَرُ بن عناة». أبو الفداء، المختصر: ١/٤١.

(٧) أبو الفداء، المختصر: ١/٤١.

(٨) سفر القضاة، الإصحاح الرابع، الآيات ١-٤، أبو الفداء، المختصر: ١/٤١.

ثم قام فيهم رجل من سبط نَفْتَالي يقال له.

[٦] باراق بن أبي نعم وامرأة يقال لها دثورا[١]:

فقهرا يابين ودبرا أمر بني إسرائيل أربعين سنة. فيكون انقضاء مدتهما في أواخر سنة إحدى وخمسين ومائتين لوفاة موسى.

ثم إنَّ بني إسرائيل أخطأوا، وارتكبوا المعاصي بغير مدبر لهم من بني إسرائيل مدة سبع سنين، واستولى عليهم أعداؤهم من أهل مدين تلك المدة، فيكون آخر هذه الفترة في أواخر سنة ثمان وخمسين ومائتين لوفاة موسى عليه السلام[٢]. فاستغاثوا إلى الله تعالى فأقام فيهم:

كَدْعُون[٣] بن يوآش فقتل أعداءهم وأقام منار دينهم، واستمر فيهم أربعين سنة، فتكون وفاته في أواخر سنة ثمان وتسعين ومائتين لوفاة موسى[٤].

ثم قام فيهم بعد كدعون ابنه: ابيمالخ[٥] ثلاث سنين. فتكون وفاته في أواخر سنة إحدى وثلاثمائة لوفاة موسى ثم قام فيهم بعد ابيمالخ رجل من سبط يساخر[٦] يقال له: يُؤَاإِيْرُ الجرشي اثنتين وعشرين سنة، فتكون وفاته لمضي ثلاثمائة وثلاث وعشرين سنة من وفاة موسى عليه السلام[٧].

ثم إن بني إسرائيل أخطأوا وارتكبوا المعاصي فسلط الله عليهم بني عَمُّون من ولد لوط، وكان ملك بني عمون إذ ذاك يقال له: امينيطو وقيل: امونيطو. فاستولى على بني إسرائيل [٧] ثماني عشرة سنة حتى خلصوا منه فيكون انقضاء مدته في أواخر سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة لوفاة موسى[٨].

ثم استغاث بنو إسرائيل إلى الله فأقام فيهم رجلاً اسمه: يفتح الجرشي من سبط

---

(١) الذي في التوراة، الإصحاح الرابع، الآيات ٤-٦ أن اسمه «باراق بن أَبينوعم» وأنَّ اسمها «دَبُورة»، أبو الفداء، المختصر: ٤١/١.

(٢) سفر القضاة، الإصحاح السادس، الآية ١، أبو الفداء، المختصر: ٤١/١.

(٣) سفر القضاة، الإصحاح السادس، الآية ١١، اسمه «جدعون»، أبو الفداء، المختصر: ٤١/١.

(٤) سفر القضاة، الإصحاح الثامن، الآية ٢٨، أبو الفداء، المختصر: ٤١/١.

(٥) سفر القضاة، الإصحاح التاسع، الآية ١، واسمه فيها «ابيمالك»، أبو الفداء، المختصر: ٤٢/١.

(٦) سفر القضاة، الإصحاح العاشر، الآية ١، اسم السبط يساكر واسم القاضي فيها تولع بن فواة بن دودو.

(٧) أبو الفداء، المختصر: ٤٢/١.

(٨) أبو الفداء، المختصر: ٤٢/١.

منشا، فكفاهم شر بني عَمُّون، وقتل منهم خلقاً، ودبر بني إسرائيل ست سنين، فتكون وفاته في أواخر سنة ثلاثمائة وسبع وأربعين لوفاة موسى عليه السلام[1].

ثم قام فيهم بعد يفتح رجل من سبط يهوذا اسمه: إبصن سبع سنين، فتكون وفاته في أواخر سنة أربع وخمسين وثلاثمائة لوفاة موسى عليه السلام[2].

ثم دبرهم بعد إبصن رجل من سبط زبولون اسمه: آلون عشر سنين فتكون وفاته في سنة أربع وستين وثلاثمائة لوفاة موسى عليه السلام[3].

ثم دبرهم بعد آلون رجل من سبط إفرايم اسمه عَبْدُون بن هِلال من سبط إفرايم بن يوسف ثمان سنين، فتكون وفاته في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة لوفاة موسى عليه السلام[4].

ثم إن بني إسرائيل أخطأوا وعملوا المعاصي، فسلط الله عليهم أهل فلسطين، واستولوا عليهم أربعين سنة، فيكون آخر استيلاء أهل فلسطين عليهم في أواخر سنة اثنتي عشرة وأربعمائة لوفاة موسى عليه السلام، فاستغاثوا إلى الله تعالى، فأقام لهم من سبط يهوذا، وقيل: بل هو من [٨] سبط دون رجل اسمه شمشون بن مانوخ، وكان لشمشون قوة عظيمة، ويعرف بشمشون الجبار، فدافع أهل فلسطين، ودبر بني إسرائيل عشرين سنة ثم غلبه أهل فلسطين، وأسروه، ودخلوا به إلى كنيستهم، وكانت مركبة إلى أعمدة، فأمسك العواميد، وحركها بقوته حتى وقعت الكنيسة فقتلته وقتلت كل من فيها من أهل فلسطين، وكان فيها جماعة من كبارهم فيكون انقضاء مدة شمشون في أواخر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة من وفاة موسى عليه السلام[5].

ثم كانت فترة وصار بنو إسرائيل بغير مدبر منهم عشرين سنة. وقيل: عشرة فيكون انقضاء مدة الفترة في أواخر سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة لوفاة موسى عليه السلام[6].

ثم قام فيهم رجل من ولد إيثامور بن هارون اسمه: عالي الكاهن وأصل الكاهن

---

(١) سفر القضاة، الإصحاح الحادي عشر والثاني عشر واسمه فيها يفتاح، أبو الفداء، المختصر: ١/٤٢.
(٢) سفر القضاة، الإصحاح الثاني عشر، الآيات ٨-١٠. واسمه فيها إبصان، أبو الفداء، المختصر: ١/٤٢.
(٣) سفر القضاة، الإصحاح الثاني عشر، الآيات ١١-١٢ واسمه فيها إيلون، أبو الفداء، المختصر: ١/٤٣.
(٤) سفر القضاة، الإصحاح الثاني عشر، الآيات ١٣-١٥ واسمه فيها عبدون بن هِلّيل، أبو الفداء، المختصر: ١/٤٣.
(٥) سفر القضاة، الإصحاح ١٦، أبو الفداء، المختصر: ١/٤٣.
(٦) أبو الفداء، المختصر: ١/٤٣.

في لغتهم كوهن ومعناه الإمام، وكان عالي المذكور رجلاً صالحاً فدبر بني إسرائيل أربعين سنة، وكان عمره لما ولي ثمان وخمسين سنة فتكون مدة عمره ثمان وتسعين سنة، وفي أول سنة من ولايته ولد سموئيل[1] النبي بقرية على باب القدس يقال لها شيلوا، وفي السنة الثالثة والعشرين من ولايته ولد داود النبي فتكون وفاة عالي المذكور في أواخر سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة لوفاة موسى عليه السلام[2].

ثم دبر بني إسرائيل: إشموئيل النبي عليه السلام [9] وكان قد نبيء لما صار له من العمر أربعون سنة، وذلك عند وفاة عالي، فدبر إشموئيل بني إسرائيل إحدى عشرة سنة، ومنتهى هذه الإحدى عشرة سنة هي آخر سني حكام إسرائيل وقضاتهم، فإن جميع من ذكر من حكام بني إسرائيل كانوا بمنزلة القضاة وسدوا مَسدّ ملوكهم، وبعد الإحدى عشرة سنة التي دبرهم إشموئيل قام لبني إسرائيل ملوك على ما سنذكره إن شاء الله تعالى فيكون انقضاء سني حُكامهم في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة لوفاة موسى عليه السلام[3].

ثم حضر بنو إسرائيل إلى إشموئيل، وسألوه أن يقيم فيهم ملكاً فأقام فيهم شاؤول وهو طالوت بن قيس من سبط بنيامين، ولم يكن طالوت من أعيانهم، وقيل: إنه كان راعياً، فملك طالوت سنتين واقتتل هو وجالوت، وكان جالوت من جبابرة الكنعانيين، وكان ملكه بجهات فلسطين، وكان من الشدة وطول القامة بمكان عظيم، فلما برز للقتال لم يقدر على مبارزته أحدٌ، فذكر إشموئيل علامة الشخص الذي يقتل جالوت فاعتبر طالوت جميع عسكره فلم يكن فيهم من توافقه تلك العلامة[4].

وكان داود عليه السلام أصغر بني أبيه، وكان يرعى غنم أبيه، فطلبه طالوت، واعتبره إشموئيل بالعلامة، وهو دهن كان يستدبر على رأس من يكون فيه السر، وأحضر أيضاً تنور حديد، وقال: الشخص الذي يقتل جالوت يكون ملء هذا التنور، فوضعوا داود في التنور [١٠] فملأه واستدار الدهن على رأسه، ولما تحقق ذلك بالعلامة أمرهُ طالوت بمبارزة جالوت فبارزه وقتل داود جالوت، وكان عمر داود إذ ذاك ثلاثين سنة،

(١) صموئيل في التوراة.
(٢) سفر صموئيل، الإصحاح ١-٥، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٤.
(٣) سفر صموئيل، الإصحاح السابع، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٤.
(٤) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٤.

ثم بعد ذلك مات إشموئيل، فدفنته بنو إسرائيل في الليل، وناحوا عليه، وكان عمره اثنتين وخمسين سنة[1].

وأحب الناس داود، ومالوا إليه، فحسده طالوت وقصد قتله مرة بعد أُخرى، فهرب داود منه، وبقي متحرزاً على نفسه، وفي آخر الحال ندم طالوت على ما كان منه من قصد قتل داود وغير ذلك، وقصد أن يكفر الله عنه ذنوبه بموته في العزلة، فقصد الفلسطينيين، وقاتلهم حتى قتل هو وأولاده. فيكون موت طالوت في أواخر سنة خمس وتسعين وأربعمائة لوفاة موسى عليه السلام[2].

ولما قتل طالوت افترقت الأسباط فملك على أحد عشر سبطاً إيش بن طالوت واستمر إيش بوشث ملكاً على الأسباط المذكورين ثلاث سنين، وانفرد عن إيش بوشث سبط يهوذا فقط وملك عليهم داود بن بنشا بن عوفيد بن يوعز بن سلمون بن تحشون بن عميدوب بن رم بن حصرون بن بارص بن يهوذا بن يعقوب. وحزن داود على طالوت، ولعن موضع مصرعه، وكان مقام داود بحبرون[3].

فلما استوسق له الملك ودخلت جميع الأسباط تحت طاعته، وذلك في سنة ثمان وثلاثين من عمر داود انتقل إلى القدس. ثم إن داود فتح في الشام فتوحات كثيرة من أرض فلسطين وبلد عَمّان ومآب وحلب ونصيبين وبلاد الأرمن وغير ذلك ولما أوقع داود [١١] بصاحب حلب وعسكره، وكان صاحب حماة إذ ذاك اسمه ناعو، وكان بينه وبين صاحب حلب عداوة فأرسل صاحب حماة المذكور وزيره بالسلام والدعاء إلى داود وأرسل معه هدايا كثيرة فرحاً بقتل صاحب حلب[4].

ولما صار لداود ثمان وخمسون سنة وهي السنة الثامنة والعشرون من ملكه كانت قصته مع أوريا وزوجته، وهي واقعة مشهورة[5].

وفي سنة ستين من عمر داود خرج عليه ابنه إيشولوم بن داود، فقتله بعض قواد داود من بني إسرائيل وملك داود أربعين سنة ولما صار لداود سبعون سنة توفي. فتكون

(١) سفر صموئيل، الإصحاح ٩-٢٥، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٤.
(٢) سفر صموئيل، الإصحاح ١٣-١٨، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٥.
(٣) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الثاني، الآيات ٨-١١، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٥.
(٤) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الثامن، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٥.
(٥) سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الثاني عشر، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٥.

وفاة داود في أواخر سنة خمس وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام[١]. وأوصى داود قبل موته بالملك إلى سليمان ولده وأوصاه بعمارة بيت المقدس وعين لذلك عدة بيوت أموال تحتوي على جمل كثيرة من الذهب[٢].

فلما مات داود ملك سليمان بن داود وعمره اثنتا عشرة سنة، وآتاه الله من الحكمة والملك ما لم يؤته لأحد سواه على ما أخبر الله عز وجل به في محكم كتابه العزيز[٣].

وفي السنة الرابعة من ملكه في شهر أيار وهي تسع وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام ابتدأ سليمان في عمارة بيت المقدس حسب ما تقدمت به وصية أبيه إليه، وأقام في عمارة بيت المقدس سبع سنين، وفرغ منه في السنة الحادية عشرة من ملكه، فيكون الفراغ من عمارة بيت المقدس في أواخر سنة ست وأربعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام، وكان ارتفاع البيت الذي عمله سليمان ثلاثين ذراعاً وطوله ستين ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً [١٢] وعمل خارج البيت سوراً محيطاً به ارتفاعه وامتداده خمسمائة ذراع في خمسمائة ذراع[٤].

ثم بعد ذلك شرع سليمان في بناء دار مملكة القدس واجتهد في عمارتها وتشييدها وفرغ منها في مدة ثلاث عشرة سنة وانتهت عمارتها في السنة الرابعة والعشرين من ملكه[٥].

وفي السنة الخامسة والعشرين من ملكه جاءته بلقيس ملكة اليمن، وأطاعه جميع ملوك الأرض، وحملوا إليه نفائس أموالهم واستمر سليمان على ذلك حتى توفي وعمره اثنتان وخمسون سنة فكانت مدة ملكه أربعين سنة فتكون وفاة سليمان في أواخر سنة خمس وتسعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام[٦].

---

(١) سفر الملوك الأول، الإصحاح الثاني، الآيات ١٠-١٢، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٥.
(٢) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٥.
(٣) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٦.
(٤) سفر الملوك الأول، الإصحاح السادس، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٦.
(٥) سفر الملوك الأول، الإصحاح السابع، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٦.
(٦) سفر الملوك الأول، الإصحاح العاشر والحادي عشر، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٦.

ولما مات سليمان ملك بعده ابنه رَحُبْعَام[1]. وكان رحبعام المذكور رديء الشكل، شنيع المنظر، فلما تولى حضر إليه كبراء بني إسرائيل، وقالوا له: إن أباك سليمان كان ثقيل الوطأة علينا، وحمّلنا أموراً صعبة، فإن أنت خففت الوطأة عنا، وأزلت عنا ما كان أبوك قرره علينا، سمعنا لك وأطعنا، فأخر رحبعام جوابهم إلى ثلاثة أيام، واستشار كبراء دولة أبيه في جوابهم، فأشاروا بتطييب قلوبهم، وإزالة ما يشكونه[2].

ثم إنَّ رحبعام استشار الأحداث، ولم يكن لهم معرفة بالصواب من الأمر، فأشاروا بإظهار الصلابة والتشديد على بني إسرائيل، لئلا يحصل لهم الطمع، فلما حضروا إلى رحبعام ليسمعوا جوابه، قال: أنا خنصري أغلظ من ظهر أبي، وما كنتم تخشونه من أبي فإني أُعاقبكم بأشد منه، فعند ذلك خرج عن طاعته عشرة أسباط، ولم يبق مع رحبعام غير سبطي يهوذا [١٣] وبنيامين فقط[3].

وملك على الأسباط العشرة رجل من عبيد سليمان اسمه يربعم: وكان يربعم المذكور فاسقاً كافراً، وافترقت مملكة بني إسرائيل واستقر لولد داود الملك على السبطين المذكورين، وصار للأسباط العشرة ملوك تعرف بملوك الأسباط واستمر الحال على ذلك نحو مائتين وإحدى وستين سنة[4].

وكان ولد سليمان في بني إسرائيل بمنزلة الخلفاء في الإسلام لأنهم أهل الولاية، وكانت ملوك الأسباط كالخوارج، وارتحلت الأسباط إلى جهات فلسطين وغيرها بالشام، واستقر ولد داود ببيت المقدس[5].

قال: ونحن نقدم بني داود إلى حيث اجتمعت لهم المملكة على جميع الأسباط ثم بعد ذلك نذكر ملوك الأسباط متتابعين إن شاء الله تعالى، فنقول: واستمر رحبعام ملكاً على السبطين حسبما شرح حتى دخلت السنة الخامسة من ملكه ففيها غزاة فرعون

(١) سفر الملوك الأول، الإصحاح الثاني عشر، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٧.
(٢) سفر الملوك الأول، الإصحاح الثاني عشر، الآيات ١-٩، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٦-٤٧.
(٣) سفر الملوك الأول، الإصحاح الثاني عشر، الآيات ١٢-٢٠، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٧.
(٤) سفر الملوك الأول، الإصحاح الثاني عشر، الآيات ٢٠-٢١، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٧.
(٥) سفر الملوك الأول، الإصحاح الثاني عشر، الآيات ٢٥-٣٣، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٧.

مصر واسمه شيشان[1]، ونهب مال رحبعام المخلف عن سليمان[2].

واستمر رحبعام على ما استقر له من الملك، وزاد في عمارة بيت لحم، وعمارة غزة وصور، وغير ذلك من البلاد، ولذلك عمر أيلة وجددها[3].

وولد لرحبعام ثمانية وعشرون ولداً ذكراً غير البنات وملك رحبعام سبع عشرة سنة وكان مدة عمره إحدى وأربعين سنة. فتكون وفاة رحبعام في أواخر سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام[4].

ولما توفي رحبعام ملك بعده ابنه أفيّا بن رحبعام[5]: على قاعدة أبيه ثلاث سنين ثم توفي. فتكون وفاة أفيا في أواخر سنة [١٤] خمس وتسعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام[6].

فملك بعده ابنه آسَا إحدى وأربعين سنة، وخرج على آسا عدو فهزم الله عدوه بين يديه، وقيل إن العدو كان من الحبشة، وقيل: من الهنود. ثم توفي في أواخر ست وثلاثين وستمائة لوفاة موسى عليه السلام[7].

ثم ملك بعده يَهُوشَافاط خمساً وعشرين سنة، وكان عمره خمساً وثلاثين سنة، وكان رجلاً صالحاً، كثير العناية بعلماء بني إسرائيل، وخرج على يهوشافاط عدو من ولد العيص، وجاء معه جمع عظيم، فخرج لقتالهم، فألقى الله بين أعدائه الفتنة، فاقتتلوا فيما بينهم حتى تمحقوا وولوا منهزمين، فجمع يهوشافاط منهم غنائمَ كثيرة وعاد بها إلى القدس مؤيداً منصوراً، واستمر في ملكه كما تقدم خمساً وعشرين سنة، ثم توفي فتكون وفاته في أواخر إحدى وستين وستمائة لوفاة موسى عليه السلام[8].

---

(١) في التوراة، سفر الملوك الأول، الإصحاح الرابع عشر، الآية ٢٥، اسمه «شيشق».

(٢) سفر الملوك الأول، الإصحاح الرابع عشر، الآيات ٢٥-٢٧، أبو الفداء، المختصر: ١/٤٧.

(٣) أبو الفداء، المختصر: ١/٤٧.

(٤) سفر الملوك الأول، الإصحاح الرابع عشر، الآية ٣١، أبو الفداء، المختصر: ١/٤٧.

(٥) سفر الملوك الأول، الإصحاح الخامس عشر، الآية الأولى واسمه فيها: «أبِيَام»، أبو الفداء، المختصر: ١/٤٨.

(٦) سفر الملوك الأول، الإصحاح الخامس عشر، الآيات ١-٨، أبو الفداء، المختصر: ١/٤٨.

(٧) سفر الملوك الأول، الإصحاح الخامس عشر، الآيات ٩-٢٤، أبو الفداء، المختصر: ١/٤٨.

(٨) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح السابع عشر-الإصحاح العشرين، أبو الفداء، المختصر: ١/٤٨.

ثم ملك بعده ابنه يَهُوْرام: كان عمره لما ملك اثنتين وثلاثين سنة وملك ثمان سنين، فتكون وفاته في سنة تسع وستين وستمائة لوفاة موسى عليه السلام[1].

فملك بعده ابنه أَخَزْيَاهو سنتين، وكان عمره لما ملك اثنتين وأربعين سنة، فتكون وفاته في أواخر سنة إحدى وتسعين وستمائة[2].

ثم كانت بعده فترة بغير ملك، وحكمت في الفترة امرأة ساحرة أصلها من جواري سليمان واسمها عَثَلْياهو وتتبعت بني داود فأفنتهم، وسلم منها طفل أخفوه عنها، وكان اسم الطفل يوآش بن أخزيو، واستمرت كذلك سبع سنين ثم عدمت في أواخر [١٥] سنة ثمان وسبعين وستمائة لوفاة موسى عليه السلام[3].

ثم ملك بعد عثلياهو، يوآش وهو ابن سبع سنين فملك أربعين سنة ثم توفي فتكون وفاته في أواخر سنة ثمان عشرة وسبعمائة لوفاة موسى عليه السلام. وكان في السنة الثالثة والعشرين من ملكه قد رمم بيت المقدس وجدد عمارته[4].

ثم ملك بعد يوآش ابنه أَمَصْيَاهو تسعاً وعشرين سنة، وقيل: خمس عشرة وقتل، وكان عمره لما ملك خمساً وعشرين سنة فيكون موته في أواخر سنة سبع وأربعين وسبعمائة[5].

ثم ملك بعده ابنه عُزِّيَّاهو اثنتين وخمسين سنة، وكان عمره لما ملك ست عشرة سنة، وقد لحقه بعد آخر ذلك البرص، وتنغصت عليه أيامه، وضعف أمره في آخر وقت وتغلب ولده يوثم فتكون وفاته في أواخر سنة تسع وتسعين وسبعمائة لوفاة موسى عليه السلام[6].

ثم ملك ابنه يُوثم ست عشرة سنة، وكان عمره لما ملك خمساً وعشرين سنة، فتكون وفاته في سنة خمس عشرة وثمانمائة لوفاة موسى. وقيل: إن في أيامه كان يونس عليه السلام على ما يذكر[7].

---

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح الحادي والعشرون، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٨.

(٢) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح الثاني والعشرون واسمه فيها «أخزيا»، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٩.

(٣) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح الثاني والعشرون-الثالث والعشرون، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٩.

(٤) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح الرابع والعشرون، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٩.

(٥) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح الخامس والعشرون، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٩.

(٦) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح السادس والعشرون، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٤٩.

(٧) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح السابع والعشرون، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٠.

ثم ملك بعد يوثم ابنه آحز ست عشرة سنة، وكان عمره لما ملك عشرين سنة، وفي السنة الرابعة من ملكه قصده ملك دمشق واسمه رضين وكان إشعيا النبي في أيامه آحز، فبشره إشعيا أن الله تعالى يصرف رضين بعد حرب، فكان كذلك، فتكون وفاته سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة[1].

ثم ملك بعده ابنه [١٦] حَزَقِيَّا، وكان رجلاً صالحاً مظفراً، ولما دخل العام السادس من ملكه انقرضت دولة الخوارج ملوك الأسباط الذين قدمنا ذكرهم عند ذكر رحبعام[2].

وهذا حين أوان ذكرهم مختصراً إلى حين أن توافي هذه السنة أعني السادسة من مملكة حزقيا ثم نكمل مملكة حزقيا وما بعدها نقول: هؤلاء خوارج خرجوا على رحبعام بن سليمان بعد وفاة أبيه في أوائل سنة ست وسبعين وخمسمائة وانقرضوا في سنة سبع وثلاثين وثمانمائة. فتكون مدة ملكهم مائتين وإحدى وستين سنة وعدتهم سبعة عشر ملكاً. ولا حاجة إلى تفصيل مددهم.

أولهم يربعم كان من عبيد سليمان بن داود، وكان كافراً فلما ملك أظهر الكفر وعبادة الأوثان وفي السنة الثامنة عشرة من ملكه مات رحبعام بن سليمان[3].

الثاني: نؤدب بن يربعم المذكور[4].

الثالث: يعشو بن أخيامن من سبط يستاخر[5].

الرابع: إيلا بن يعشو المذكور، وكان مقدم جيشه زمري فقتل إيلا وتولى زمري مكانه[6].

---

(١) سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح الثامن والعشرون، سفر إشعيا، الإصحاح السابع، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٠.

(٢) سفر أخبار الأيام الثامن، الإصحاح التاسع والعشرون، سفر الملوك الثاني، الإصحاح الثامن عشر، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٠.

(٣) سفر الملوك الأول، الإصحاح الثاني عشر، الآيات ١٢ وما بعدها وحتى الإصحاح الخامس عشر، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥١.

(٤) سفر الملوك الأول، الإصحاح الخامس عشر، الآية ٢٥، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥١.

(٥) سفر الملوك الأول، الإصحاح الخامس عشر، الآية ٣٣، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥١.

(٦) سفر الملوك الأول، الإصحاح السادس عشر، الآية ٦ واسمه فيها أيلة، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥١.

الخامس: زمري المذكور[1].

السادس: تبني ولي الملك خمس سنين شريكاً مع السابع وهو عمري فإنه بعد تبني استقل بالملك وعمري هذا هو الذي [بنى] صبصطية وجعلها دار ملكه[2].

الثامن: آخاب بن عُمْري المذكور. وقتل في حرب كانت بينه وبين صاحب دمشق[3].

التاسع: آخزيو بن آخاب المذكور وكان موته بأن سقط من روشن له فمات[4].

العاشر: ياهورَام وهو أخو آخزيو المذكور، وكان في أيامه الغلاء[5].

حادي عشرهم: يَاهو وهو ابن تبني المذكور أولاً[6].

وثاني عشرهم: ياحاز بن يَاهو[7].

[١٧] وثالث عشرهم: يوآش بن يهوياحاز[8].

ورابع عشرهم: يربعم الثاني وهو ابن يوآش وقوي في مدة ملكه، وارتجع عدة من قرى بني إسرائيل، وكانت قد خرجت عنهم من حماة إلى كنيس، وعلى عهده كان يونس عليه السلام[9].

وخامس عشرهم: تميحيو ولم تطل مدته[10].

وسادس عشرهم: يافح وعلى أيامه حضر ملك الجزيرة، وغزا الأسباط المذكورين، وأخذ منهم جماعة إلى بلده وأجلى بعضهم إلى خراسان[11].

---

(١) سفر الملوك الأول، الإصحاح السادس عشر، الآيات ٨-١١، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٢.

(٢) سفر الملوك الأول، الإصحاح السادس عشر، الآيات ١٥-٢٨، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٢.

(٣) سفر الملوك الأول، الإصحاح السادس عشر، الآية ٢٩، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٢.

(٤) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الأول، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٢.

(٥) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الأول، الآية ١٧، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٢.

(٦) سفر الملوك الثاني، الإصحاح التاسع، الآية ١-٦، وفيه اسمه ياهو بن يهوشافاط ابن نمشى، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٢.

(٧) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الثالث عشر، واسمه فيها يهو أحاز، أبو الفداء، المختصر، ١/ ٥٢.

(٨) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الرابع عشر، الآية ١٠، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٢.

(٩) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الرابع عشر، الآية ٢٣، أبو الفداء، المختصر، ١/ ٥٢.

(١٠) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الخامس عشر، الآية ٨، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٢.

(١١) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الخامس عشر، الآية ١٣، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٢.

وسابع عشرهم: شاع بن إيلا الرابع[(١)]. ولما توفي أطاع صاحب الجزيرة، وكان اسمه شلمناصر وقيل: فلنصر، وبقي في طاعته تسع سنين، ثم عصاه فأرسل صاحب الجزيرة المذكور وحاصره ثلاث سنين، وفتح بلدة صبصطية، وأجلاه وقومه إلى بلد خراسان، وأسكن موضعهم السامرة[(٢)].

وكان ذلك في السنة السادسة من ملك حزقيا فانضم من سلم من الأسباط إلى حزقيا، ودخلوا تحت طاعته، وملك حزقيا تسعا وعشرين سنة، وكان عمره لما ملك عشرين سنة، وكان من الصلحاء الكبار، وكان قد فرغ عمره قبل موته بخمس عشرة سنة فزاده الله تعالى في عمره خمس عشرة سنة، وأمره أن يتزوج، وأخبره بذلك نبيّ كان في زمانه[(٣)].

وفي أيام ملك حزقيا قصده سنحاريب ملك الجزيرة، فخذله الله تعالى، ووقعت الفتنة في عسكره، فولى راجعاً ثم قتله اثنان من أولاده بنينوى[(٤)].

وكان إشعيا النبي قد أخبر بني إسرائيل أن الله يكفيهم شر [١٨] سنحاريب. ثم إن ولديه اللذين قتلاه بنينوى هربا إلى جبال الموصل ثم سارا إلى القدس وآمنا بحزقيا وكان اسمهما ادرمالح وسراصر. وملك بعد سنحاريب ابنه الآخر واسمه آسَرْحَدُّون، وعظم بذلك أمر حزقيا وهادنته الملوك، وملك حسبما ذكرنا تسعاً وعشرين سنة وتوفي. فتكون وفاة حزقيا في أواخر سنة ستين وثمانمائة لوفاة موسى عليه السلام[(٥)].

ثم ملك بعده ابنه مَنَشى، وكان عمره لما ملك اثنتي عشرة سنة، فعصى لما تملك، وأظهر العصيان والفسق مدة اثنتين وعشرين سنة من ملكه، وغزاه صاحب الجزيرة، ثم إنَّ مَنَشى أقلع عما كان منه، وتاب إلى الله توبة نصوحاً حتى مات. وكانت مدة ملكه خمساً وخمسين سنة، فتكون وفاته في أواخر سنة خمس عشرة وتسعمائة[(٦)].

---

(١) سفر الملوك الثاني، الإصحاح السابع عشر، الآية ١، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٢.

(٢) سفر الملوك الثاني، الإصحاح السابع عشر، الآيات ٣-٦، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٢.

(٣) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الثامن عشر-العشرون، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٢.

(٤) سفر الملوك الثاني، الإصحاح التاسع عشر، الآية ٣٥، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٢-٥٣.

(٥) سفر الملوك الثاني، الإصحاح التاسع عشر، الآية ٣٧، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٣.

(٦) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الحادي والعشرون، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٣.

ثم ملك بعده ابنه آمون سنتين فتكون وفاته في أواخر سنة سبع عشرة وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام[1].

ثم ملك بعده ابنه يُوشِيًا فأظهر الطاعة والعبادة، وجدد عمارة بيت المقدس، وملك يوشيا المذكور إحدى وثلاثين سنة، فتكون وفاته في أواخر سنة ثمان وأربعين وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام[2].

ثم ملك بعده ابنه يهوياجور ولما ملك يهوياجور غزاه فرعون مصر، وأظنه فرعون الأعرج، وأخذ يهوياجور أسيراً إلى مصر فمات بها، وكانت مدة ملكه ثلاثة أشهر [١٩] فيكون انقضاء ملكه في السنة المذكورة أعني سنة ثمان وأربعين وتسعمائة[3].

ولما أسر يهوياجور ملك بعده أخوه يهوياقيم وفي السنة الرابعة من ملكه تولى بخت نصر على بابل وهي سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام[4].

قال الملك المؤيد[5]: وهذا على حكم ما اجتمع لنا من مدد ولايات حُكام بني إسرائيل، والفترات التي كانت بينهم، وأما ما اختاره المؤرخون، فقالوا: إن من وفاة موسى إلى ابتداء ملك بخت نصر تسعمائة وثمان وسبعين سنة ومائتين وثمانية وأربعين يوماً، وهو يزيد على ما اجتمع لنا من المدد المذكورة فوق ست وعشرين سنة، وهو تفاوت قريب. وكان هذا النقص إنما حصل من إسقاط اليهود كسورات المدد فإنه من المستبعد أن يملك الشخص عشرين يوماً أو سنة لا ينقص من الكسور شيئاً ولا تزداد. فلما ذكروا لكل شخص مدة صحيحة سالمة من الكسر نقصت جملة السنين القدر المذكور أعني ستاً وعشرين سنة.

قال: وحيث انتهينا إلى ولاية بخت نصر فنؤرخ منه ما بعده إن شاء الله. وكان ابتداء ولاية بخت نصر في سنة تسع وسبعين وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام.

وفي السنة الأولى من ولاية بخت نصر سار إلى نينوى ففتحها وقتل أهلها وخربها. وفي السنة الرابعة من ملكه وهي السابعة من ملك يهوياقيم ودخل تحت طاعته

---

(١) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الحادي والعشرون، أبو الفداء، المختصر: ١/٥٣.

(٢) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الحادي والعشرون، الآية ١٩، أبو الفداء، المختصر: ١/٥٣.

(٣) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الثاني والعشرون، الآية ٣١، أبو الفداء، المختصر: ١/٥٣.

(٤) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الرابع والعشرون، أبو الفداء، المختصر: ١/٥٣.

(٥) أبو الفداء، المختصر: ١/٥٤.

فأبقاه بخت نصر على ملكه وبقي يهوياقيم تحت طاعة [٢٠] بخت نصر ثلاث سنين. ثم خرج عن طاعته وعصى عليه فأرسل بخت نصر وأمسك يهوياقيم وأمر بإحضاره إليه فمات يهوياقيم في الطريق من الخوف. فيكون مدة يهوياقيم نحو إحدى عشرة سنة ويكون انقضاء ملكه في أوائل سنة ثمان لابتداء ملك بخت نصر(١).

ولما أخذ يهوياقيم المذكور إلى العراق استخلف مكانه ابنه يَحَنْيَو فأقام موضع أبيه مائة يوم ثم أرسل بخت نصر، فأخذه إلى أرض بابل، وأخذ معه جماعة من علماء بني إسرائيل كان من جملتهم دانيال وحزقال النبي وهو من نسل هارون وحين وصل يحنيو سجنه بخت نصر ولم يبرح مسجوناً حتى مات بخت نصر(٢).

ولما أمسك بخت نصر يحنيو نصب مكانه على بني إسرائيل عمه صدقيا فاستمر تحت طاعة بخت نصر، وكان إرميا النبي في أيام صدقيا فبقي يعظ صدقيا، وبني إسرائيل ويهددهم ببخت نصر وهم لا يلتفتون(٣).

وفي السنة التاسعة من ملك صدقيا عصى على بخت نصر فسار إليه بالجيوش، ونزل على تازين ورفينة، وبعث الجيش مع وزيره نبوزراذن وأمره بحصار صدقيا بالقدس، فسار الوزير المذكور بالجيش، وحاصر صدقيا مدة سنتين ونصف أولها عاشر تموز من السنة التاسعة لملك صدقيا، ثم بعد ذلك أخذ القدس بالسيف، وأخذ صدقيا أسيراً، وأخذ معه جملة كبيرة من بني [٢١] إسرائيل، وهدم البيت الذي بناه سليمان وهو آخر ملوك بني إسرائيل(٤).

ولم يتول بعد إعادة العمارة ببيت المقدس على ما يذكر إلَّا من تسمى بالرئاسة فحسب، فيكون انقضاء ملك بني إسرائيل وخراب بيت المقدس على يد بخت نصر سنة عشرين من ولايته تقريباً وهي السنة التاسعة والسبعون والتسعمائة من وفاة موسى عليه السلام. وهي أيضاً سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة خلت من عمارة بيت المقدس واستمر خراباً سبعين سنة ثم عمر على ما سنذكر. انتهى ما نقل من كتب اليهود المذكورة(٥).

---

(١) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الرابع والعشرون، الآية ٦ وما بعدها، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٤-٥٥.

(٢) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الرابع والعشرون، الآية ١٤، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٥.

(٣) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الرابع والعشرون، الآية ١٨، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٥.

(٤) سفر الملوك الثاني، الإصحاح الخامس والعشرون، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٥.

(٥) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٧.

تنبيه: قال الملك المؤيد[1]: لا يغرنك ما طرق سمعك مما نقلناه من هذه الكتب حين تمر على ذكر داود وسليمان عليهما السلام، وذكرهما في جملة الملوك على غير العادة في تفخيم منصب النبوة وتعظيمه، وذكر ما وقع على أيديهما من المعجزات وخوارق العادات على ما دل عليه القرآن العظيم، والأحاديث الصحيحة الصريحة بذلك، فإن النقول كما رأيت عن اليهود، وليس عند اليهود أحد يعتقد بنبوتهما، ولا شيئاً مما يثبت عند المسلمين من ذلك، بل اعتمادهم على أنهما كانا ملكين لا نبيين فاعلم ذلك، والتوراة التي بأيديهم تدل على ذلك، فإما أن يكون هذا الأمر من المبدّل والمحرف على ما عهد، أو من المحذوف حسداً وبغياً على ما ذكر من صفاتهم، ونص عليه القرآن العظيم، والحديث الصحيح الصريح عن عالمهم بالنص عبد الله بن سلام رضي الله عنه: «أنهم قوم بهتٌ»، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل[2].

قال ابن مسكويه في كتاب «**تجارب الأمم**[3]» [٢٢] إن بخت نصر لما غزا القدس وخربه وأباد بني إسرائيل هرب من بني إسرائيل جماعة وأقاموا بمصر عند فرعون فأرسل بخت نصر إلى فرعون مصر يطلبهم منه ويقول هؤلاء عبيدي وقد هربوا إليك فلم يقبل قوله في ردهم بل قال: ليس هم بعبيدك وإنما أحرار فكان هذا هو السبب لقصد بخت نصر غزو مصر، وهرب منهم جماعة إلى الحجاز وأقاموا مع العرب.

فذكر أبو عيسى[4] في كتابه: أن بخت نصر لما فرغ من خراب القدس ومن بني إسرائيل قصد مدينة صور وحاصرها مدة، فجمع أهل صور جميع أموالهم في السفن، وأرسلوها في البحر وبقوا جرائد وجدَّ بخت نصر في الحصار حتى أخذها بالسيف، وقتل صاحب صور، وحصل لعسكر بخت نصر جراح كبير، ولم يجدوا من المكسب طائلاً، وأما السفن التي كانت فيها أموالهم، فإن الله سلط الريح عليها فغرقت عن آخرها.

---

(١) لم نجد هذه الرواية في المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء.

(٢) الذهبي، سير أعلام: السيرة النبوية ١/٢٨٨.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم: ١/٨٢.

(٤) هو أحمد بن علي المنجم وكتابه «البيان عن تاريخ سني زمان العالم على سبيل الحجة والبرهان» انظر أبو الفداء، المختصر: ١/١١، والخبر في ١/٥٦.

ثم سار بخت نصر إلى مصر، والتقى هو وفرعون الأعرج، فانتصر بخت نصر عليه وقتله وصلبه، وحاز أموال مصر وذخائرها، وسبى من كان بمصر من القبط وغيرهم، وبقيت مصر خراباً أربعين سنة، ثم غزا بلاد المغرب وعاد إلى بلاده بابل[١].

وأما بيت المقدس فإنه عمر بعد مكثه سبعين سنة خراباً، فعمره بعض ملوك الفرس واسمه عند اليهود كيرش، وقد اختلف فيه فقيل هو دارا بن بهمن، وقيل: بهمن، وهو الأصح، ويشهد بصحة ذلك كتاب إشعيا، وسيذكر عند ذكر أردشير، بهمن مع ملوك الفرس[٢] [٢٣].

ولما عادت عمارة بيت المقدس تراجعت إليه بنو إسرائيل من العراق وغيره، وكانت عمارته في أول سنة تسعين لابتداء ولاية بخت نصر، وكان من جملة بني إسرائيل حين تراجعوا عزير وكان بالعراق، وقدم معه من بني إسرائيل على ما يزيد على ألفين من العلماء وغيرهم، وترتب مع عزير في القدس مائة وعشرون شيخاً من علماء بني إسرائيل، وكانت التوراة قد عدمت منهم إذ ذاك، فمثلها الله تعالى في صدر العزير، ووضعها لبني إسرائيل يعرفونها بحلالها وحرامها، فأحبوه حباً شديداً، وأصلح العزير أمرهم وأقام بينهم على ذلك[٣].

فروي في بعض كتب اليهود أن العزير لبث مع بني إسرائيل في القدس يدبر أمرهم حتى توفي بعد أن مضى أربعون سنة لعمارة بيت المقدس، فتكون وفاة العزير سنة ثلاثين ومائة لابتداء ملك بخت نصر واسم العزير بالعبرانية عزرا وهو من ولد فينحاس بن العزر بن هارون[٤].

ومن كتب اليهود أن الذي تولى رئاسة بني إسرائيل ببيت المقدس: شمعون الصديق وهو أيضاً من نسل هارون[٥].

ومن كتاب أبي عيسى[٦]: أن الذي تولى رئاسة بني إسرائيل لما تراجعوا إلى

---

(١) أبو الفداء، المختصر: ١/٥٦-٥٧.
(٢) أبو الفداء، المختصر: ١/٥٧.
(٣) أبو الفداء، المختصر: ١/٥٧.
(٤) أبو الفداء، المختصر: ١/٥٧.
(٥) أبو الفداء، المختصر: ١/٥٧.
(٦) أبو الفداء، المختصر: ١/٥٧.

القدس بعد عمارته كانوا تحت حكم الفرس، واستمر ذلك حتى ظهر الإسكندر في سنة أربعمائة وخمس وثلاثين لولاية بخت نصر، وغلبت اليونان على الفرس، ودخلت حينئذ بنو إسرائيل تحت حكم اليونان، وأقام اليونان من بني إسرائيل ولاة عليهم، وكان يقال للمتولي عليهم هردوس [٢٤]، وقيل: هيردوس، واستمر بنو إسرائيل على ذلك حتى خرب بيت المقدس الخراب الثاني، وتشتت منه بنو إسرائيل على ما سنذكره وقد تقدم فيما مضى(١).

ذكر يونس ابن متى ومتى أم يونس ولم يشتهر من بني إسرائيل نبي بأمّه غير عيسى ويونس هكذا ذكره ابن الأثير في الكامل(٢) في ترجمة يونس، وقد قيل إنه من بني إسرائيل وإنه من سبط بنيامين، وقيل: إن بعثة يونس كانت بعد يوثم بن عزياهو أحد الملوك المتقدمي الذكر، وكانت وفاة يوثم في سنة خمس عشرة وثمانمائة لوفاة موسى، وبعث الله يونس عليه السلام في تلك المدة إلى أهل نينوى، وهي قبالة الموصل بينهما دجلة، وكانوا يعبدون الأصنام فنهاهم وتوعدهم العذاب في يوم معلوم إن لم يتوبوا، فلما لم ير العذاب نزل بهم، ولم يعلم بتوبتهم وإيمانهم فذهب مغاضباً(٣).

قال ابن سعيد المغربي(٤): ودخل في سفينة من سفن دجلة فوقفت السفينة ولم تتحرك. فقال رئيسها فيكم من له ذنب وتساهموا على من يلقونه في البحر ووقعت المساهمة على يونس فرموه فالتقمه الحوت وسار به إلى الأيلة وكان من شأنه ما أخبر الله في كتابه العزيز.

ذكر إرميا:

قد تقدم عند ذكر صدقيا أن إرميا كان في أيامه، وبقي إرميا يأمر بني إسرائيل بالتوبة، ويتهددهم ببخت نصر، وهم لا يلتفتون إليه، فلما رأى أنهم لا يرجعون عما هم عليه فارقهم إرميا واختفى حتى غزاهم بخت نصر وخرب القدس [٢٥] حسب ما تقدم ذكره(٥).

---

(١) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٧-٥٨.
(٢) ابن الأثير، الكامل: ١/ ٣٦٠.
(٣) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٨.
(٤) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٨.
(٥) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٥٨-٥٩.

ومن تاريخ ابن سعيد المغربي(١) قال: إن الله تعالى أوحى إلى إرميا أني عامر بيت المقدس فاخرج إليها، فخرج إرميا وأتى القدس وهي خراب، فقال في نفسه: سبحان الله أمرني الله أن أنزل هذه البلدة وإني إن نزلتها عمرها، فمتى يعمرها ومتى يحييها الله بعد موتها. ثم وضع رأسه فنام ومعه حماره وسلة فيها طعام فكان من قصته ما أخبر الله تعالى به في محكم كتابه العزيز في قوله: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾(٢) الآية. وقد قيل إن صاحب هذه القصة هو العزير والأصح أنه إرميا(٣).

قال أبو عيسى(٤) في كتابه: ذكر نقل التوراة وغيرها من كتب الأنبياء من اللغة العبرانية إلى اليونانية. قال: لما ملك الإسكندر، وقهر الفرس، وعظمت مملكة اليونان صار بنو إسرائيل وغيرهم تحت طاعتهم، وتولت ملوك اليونان بعد الإسكندر وكان يقال لكل واحد منهم بطليموس على ما يذكر.

وها هنا يذكر ما تدعو الحاجة إليه لتعلقه ببني إسرائيل فنقول: لما مات الإسكندر ملك بعده بطليموس ابن لاغوس عشرين سنة، ثم ملك بعده بطليموس محب أخيه وهو الذي نقل التوراة وغيرها من كتب الأنبياء من اللغة العبرانية إلى اليونانية في كون نقل التوراة بعد عشرين سنة مضت من ملك الإسكندر بل لموته(٥).

قال أبو عيسى: إن بطليموس الثاني محب أخيه لما تولى وجد جملة من الأسرى منهم ثلاثون ألف نفس [٢٦] من اليهود، فاعتقهم كلهم، وأمرهم بالرجوع إلى بلادهم، ففرح بنو إسرائيل بذلك، وأكثروا له الدعاء والشكر، وأرسل رسولاً إلى بني إسرائيل المقيمين بالقدس، وطلب منهم أن يرسلوا إليه عدة من علماء بني إسرائيل لنقل التوراة وغيرها إلى اللغة اليونانية، فسارعوا إلى امتثال أمره، ثم إن بني إسرائيل تزاحموا على الرواح إليه، وبقي كل منهم يختار ذلك، واختلفوا ثم اتفقوا على أن يبعثوا له من كل سبط من أسباطهم ستة نفر، فبلغ عددهم اثنين وسبعين نفراً، فلما وصلوا إلى بطليموس المذكور أحسن قراهم وصيرهم ستاً وثلاثين فرقة، وخالف بين أسباطهم، وأمرهم

(١) أبو الفداء، المختصر: ٥٩/١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٩.

(٣) أبو الفداء، المختصر: ٥٩/١.

(٤) أبو الفداء، المختصر: ٥٩/١.

(٥) أبو الفداء، المختصر: ٥٩/١.

فترجموا ستاً وثلاثين نسخة بالتوراة، وقابل بطليموس بعضها ببعض فوجدها مستوية لم تختلف اختلافاً يعتد به، وفرق بطليموس النسخ المذكورة في بلاده، وبعد فراغهم من الترجمة أكثر لهم الصلات، وجهزهم إلى بلادهم، وسأله المذكورون في نسخة من تلك النسخ فأسعفهم بواحدة، فأخذها المذكورون، وعادوا بها إلى بني إسرائيل ببيت المقدس، فنسخة التوراة المنقولة لبطليموس حينئذ أصح النسخ وأثبتها[١].

ذكر زكريا وابنه يحيى عليهما السلام:

قال ابن[٢] سعيد المغربي: زكريا من ولد سليمان بن داود وكان نبياً ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، قال: وكان نجاراً وهو الذي كفل مريم بنت عمران بن ماتان من ولد سليمان، وكانت أم مريم اسمها حنّه. وكان زكريا مزوجاً أخت حنة [٢٧] واسمها ايساع، فكانت زوجة زكريا خالة مريم، ولذلك كفل زكريا مريم، فلما كبرت مريم بنى لها زكريا غرفة في المسجد، فانقطعت مريم في تلك الغرفة، وكان لا يدخل على مريم غير زكريا فقط، وأرسل الله جبريل يبشر زكريا مصدقاً بكلمة من الله يعني عيسى ابن مريم، ثم أرسل الله جبريل ونفخ في جيب مريم في الغار، فحبلت بعيسى، وكانت قد حبلت خالتها ايساع بيحيى، وولد يحيى قبل المسيح بستة أشهر، ثم ولدت مريم فلما علمت اليهود أن مريم حبلت من غير بعل اتهموا زكريا بها فطلبوه فهرب واختفى في شجرة عظيمة فقطعوا الشجرة وقطعوا زكريا معها، وكان عمر زكريا يومئذ مائة سنة، وكان قتله بعد ولادة المسيح، وكانت ولادة المسيح لمضي ثلاثمائة وثلاث وستين للإسكندر، فيكون مقتل زكريا بعد ذلك بقليل[٣].

وأمّا يحيى فإنه نبّيء صغيراً، ودعا الناس إلى عبادة الله، ولبس يحيى الشعر، واجتهد في العبادة حتى نحل جسمه، وكان عيسى ابن مريم قد حرم نكاح بنت الأخ، وكان لهردوس الحاكم على بني إسرائيل بنت أخ، وأراد أن يتزوجها حسبما هو جائز في دين اليهودية، فنهاه يحيى عن ذلك، فطلبت أم البنت من هردوس أن يقتل يحيى فلم يجبها فعاودته وسألته البنت أيضاً وألحت عليه فأجابهما إلى ذلك، وأمر بيحيى فذبح لديهما. وكان قتل يحيى قبل رفع المسيح بمدة يسيرة لأن عيسى إنما ابتدأ بالدعوة

---

(١) أبو الفداء، المختصر: ١/٥٩-٦٠.

(٢) في الأصل، أبو، والصواب ما أثبت.

(٣) أبو الفداء، المختصر: ١/٦٠.

لما صار له من العمر ثلاثون سنة، فأمره الله تعالى أن يدعو الناس إلى دين النصرانية [٢٨] فأخذه يحيى، فغمسه في نهر الأردن وخرج، فابتدأ بالدعوة، ومكث المسيح بعد ذلك ثلاث سنين، وذبح يحيى كان بعد مضي ثلاثين سنة من عمر عيسى وقبل رفعه، وكان رفع عيسى بعد نبوته بثلاث سنين، والنصارى تسمي يحيى المذكور يحنّا المعمدان لكونه عمد المسيح كما ذكر(١).

ذكر عيسى ابن مريم عليهما السلام:

أما مريم فاسم أمها حنّه زوج عمران، وكانت حنّه لا تلد، واشتهت الولد فدعت بذلك، ونذرت إن رزقها الله ولداً جعلته من سدنة بيت المقدس، فحملت حنّه، وهلك زوجها عمران وهي حامل، فولدت بنتاً وسمتها مريم، ومعنى مريم العابدة، ثم حملتها وأتت بها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار، وقالت: دونكم هذه المنذورة فتنافسوا فيها لأنها بنت عمران، وكان من أئمتهم، فقال زكريا: أنا أحق بها لأن خالتها زوجتي، وأخذها زكريا وضمها إلى ايساع خالتها، فلما كبرت مريم أفرد لها زكريا غرفة حسبما تقدم ذكره، وأرسل الله جبريل فنفخ في جيب مريم فحبلت بعيسى وولدته ببيت لحم سنة أربع وثلاثمائة لغلبة الإسكندر(٢).

ولما جاءت مريم بعيسى تحمله، قال لها قومها ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾(٣) وأخذوا الحجارة ليرجموها، فتكلم عيسى في المهد، وهو متعلق في منكبها، فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾(٤) الآية فلما سمعوا كلام ابنها تركوها(٥).

ثم إنَّ مريم أخذت عيسى وسارت به إلى مصر، وسار معها ابن عمها يوسف بن يعقوب بن ماتان، وكان يوسف المذكور نجاراً حكيماً، ويزعم بعضهم أن يوسف المذكور [٢٩] تزوج مريم لكنه لم يقربها، وهو أول من أنكر حملها ثم علم وتحقق براءتها وسار معها إلى مصر وأقام هناك اثنتي عشرة سنة ثم عاد عيسى وأمه إلى الشام

---

(١) أبو الفداء، المختصر: ١/٦١.
(٢) أبو الفداء، المختصر: ١/٦٢.
(٣) سورة مريم، الآية ١٧.
(٤) سورة مريم، الآية ٣٠.
(٥) أبو الفداء، المختصر: ١/٦٢.

ونزلا الناصرة وبها سميت النصارى وأقام عيسى حتى بلغ ثلاثين سنة فأوحى الله تعالى إليه وأرسله إلى الناس(١).

قال: في كتاب أبي عيسى: ولما صار لعيسى ثلاثون سنة صار إلى الأردن وهو نهر الغور المسمى بالشريعة، فاعتمد وابتدأ بالدعوة، وكان يحيى بن زكريا هو الذي عمده، وكان ذلك لستة أيام خلت من كانون الثاني لمضي ثلاث وثلاثين سنة وثلاثمائة للإسكندر، وأظهر عيسى عليه السلام معجزات وأحيا ميتاً يقال له عازر بعد ثلاثة أيام من موته، وجعل من الطين طائراً قيل هو الخفاش، وأبرأ الأكمة والأبرص، وكان يمشي على الماء، وأنزل الله تعالى عليه المائدة وأوحى الله إليه الإنجيل(٢).

قال أبو عيسى في كتابه: وكان عيسى عليه السلام يلبس الصوف والشعر، ويأكل من نبات الأرض، وربما يأكل من غزل أمه(٣).

وكان الحواريون الذين اتبعوه اثني عشر رجلاً، وهم: شمعون الصفا، وشمعون القنابي، ويعقوب بن زبدي، ويعقوب بن حلفي، وفولوس، ومارقوس، وأندرواس، وتمريلا، ويوحنا، ولوقا، وتوما، ومتى، وهؤلاء هم الذي سألوه نزول المائدة، فسأل عيسى ربه عز وجل فأنزل عليه سُفرة حمراء مغطاة بمنديل فيها سمكة مشويّة وحولها البقول ماخلا الكراث، وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خل، ومعها [٣٠] خمسة أرغفة على بعضها زيتون، وعلى باقيها رمان وتمر، فأكل منها خلق كثير. ولم تنقص، ولم يأكل منها ذو عاهة إلّا برئ، وكانت تنزل ليلة وتغيب ليلة أربعين ليلة(٤).

قال ابن سعيد: ولما أعلم الله المسيح أنه خارج من الدنيا جزع من ذلك، فدعا الحواريين وصنع لهم طعاماً، وقال: احضروني الليلة، فإنّ لي إليكم حاجة، فلما اجتمعوا بالليل عشاهم، وقام يخدمهم، فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويمسحها بثيابه، فتعاظموا ذلك، فقال: من رَدَّ عليَّ شيئاً مما أصنع فليس مني فتركوه حتى فرغ، فقال: إنما فعلت هذا لتكون لكم أسوة بي في خدمة بعضكم بعضاً، فأما

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح ١، الآيات ١٩-٢٠، الإصحاح ٢، الآيات ٣-٢٣، أبو الفداء، المختصر: ١/ ٦٢.

(٢) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٦٢-٦٣.

(٣) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٦٣.

(٤) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٦٣.

حاجتي بكم فأن تجتهدوا لي في الدعاء أن يؤخر أجلي، فلما أرادوا ذلك ألقى الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا الدعاء، وجعل المسيح يوقظهم ويؤنبهم. فلا يزدادون إلَّا نوماً وتكاسلاً، وعلموا أنهم مغلوبون عن ذلك، فقال المسيح: سبحان الله يذهب بالراعي ويتفرق الغنم، ثم قال لهم: الحق أقول لكم ليكفرنّ بي أحدكم قبل أن يصيح الديك وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة ويأكلن ثمني[1]، وكانت اليهود قد جدت في طلبه فحضر بعض الحواريين [إلى هردوس][2] الحاكم على اليهود، وأتى جماعة من اليهود فقال: ما تجعلون لي إذا دللتكم على المسيح عيسى ابن مريم، فجعلوا له ثلاثين درهماً فأخذها، ودلهم عليه، فرفع الله المسيح إليه وألقى شبهه على الذي دلهم عليه[3].

قال ابن الأثير في الكامل[4]: وقد اختلف العلماء في موته، فقيل: رفع ولم يمت، وقيل: بل توفاه الله ثلاث ساعات ثم أحياه، وتأول قائل هذا قوله تعالى [31] ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[5].

ولما أمسك اليهود الشخص المشبَّه به ربطوه، وجعلوا يقودونه بحبل ويقولون له: أنت كنت تحيي الموتى أفلا تخلص نفسك من هذا الحبل، وجعلوا يبصقون في وجهه ويلقون عليه الشوك، وصلبوه على الخشب، فمكث على الخشب ست ساعات، ثم استوهبه يوسف النجار من الحاكم الذي كان على اليهود، وكان اسمه فيلاطوس ولقَبُه هردوس، ودفنوه في قبر كان يوسف النجار قد أعده له، وأنزل الله المسيح من السماء إلى أمه مريم، وهي تبكي عليه، فقال: إن الله رفعني إليه ولم يصبني إلَّا الخير، وأمرها فجمعت له الحواريين فبثهم في الأرض رسلاً عن الله، وأمرهم أن يبلغوا عنه ما أمره الله به ثم رفعه إليه، وتفرق الحواريون حيث أمرهم. وكان رفع المسيح لمضي ثلاثمائة وست وثلاثين سنة من غلبة الإسكندر على دارا[6].

قال الشهرستاني[7]: ثم إنّ أربعة من الحواريين وهم: مَتّى ولوقا ومرقس ويوحنا

---

(1) إنجيل متى، الإصحاح ٢٦، الآيات ٣٩-٤٦.

(2) ما بين الحاصرتين إضافة من أبي الفداء.

(3) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٦٤.

(4) ابن الأثير، الكامل: ١/ ٣١٩-٣٢١.

(5) سورة آل عمران، الآية ٥٥.

(6) ابن الأثير، الكامل: ١/ ٣٢٠-٣٢١.

(7) الشهرستاني، الملل والنحل: ٢/ ٢٦٤.

اجتمعوا، وجمع كل منهم إنجيلاً، وخاتمة إنجيل مَتّى: أن المسيح قال: إني أَرسلتكم إلى الأمم باسم الأب والابن والروح القدس[1].

وكان بين رفع المسيح وبين مولد النبي ﷺ خمسمائة وخمس وأربعين سنة تقريباً، وكانت ولادة المسيح أيضاً لمضي ثلاث وثلاثين سنة من ملك أغسطس، ولمضي إحدى وعشرين سنة [٣٢] من غلبته على قلوبطرا لأن أغسطس لمضي اثنتي عشرة سنة من ملكه سار من مملكته رومية وملك ديار مصر وقتل قلوبطرا ملكة اليونان[2].

وفي هذه السنة ولد المسيح عليه السلام وقيل غير ذلك، وهذا هو الأقوى، وكانت مدة ملك أغسطس ثلاثاً وأربعين سنة، وعاش المسيح إلى أن رفع ثلاثاً وثلاثين سنة، فيكون رفع المسيح بعد موت أغسطس بثلاث وعشرين سنة، فيكون رفع المسيح في أواخر السنة الأولى من مملكة غانيوس[3].

وأما أُمَّة عيسى فستراهم مذكورون في الأمم، وأما مريم أم عيسى فإنها عاشت نحو ثلاث وخمسين سنة لأنها حملت بالمسيح ولها ثلاث عشرة سنة، وعاشت معه مجتمعة ثلاثاً وثلاثين سنة وكسراً، وبقيت بعده ست سنين[4].

ذكر خراب بيت المقدس «الخراب الثاني» وهلاك اليهود وزوال دولتهم زوالاً لا رجوع بعده:

قد تقدم ذكر عمارة سليمان بن داود لبيت المقدس، وأن سليمان عَمّره وفرغ منه في سنة ست وأربعين وخمسمائة لوفاة موسى، ثم ذكرنا غزو بخت نصر لبيت المقدس مرة بعد أخرى حتى خربه وشتت بني إسرائيل في البلاد، وأن ذلك كان لمضي تسع عشرة سنة من ابتداء ملك بخت نصر، وهو لمضي سنة تسعمائة وسبعة وتسعين لوفاة موسى، وأنَّ بيت المقدس استمر خراباً سبعين سنة [٣٣] ثم عُمِّر فيكون ابتداء عمارته الثانية لمضي ألف وسبع وستين سنة أعني في سنة ثمان وستين بعد الألف لوفاة موسى، ولمضي تسع وثمانين سنة من ابتداء ملك بخت نصر، فتكون عمارته في سنة تسعين من ملك المذكور[5].

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح ٢٨، الآيات ١٩-٢٠.

(٢) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٦٥.

(٣) أبو الفداء، المختصر: ١/٦٦.

(٤) أبو الفداء، المختصر: ١/٦٦.

(٥) أبو الفداء، المختصر: ١/٦٦.

والذي عمره هو ملك الفرس اردشير بهمن واسم أردشير بهمن المذكور عند بني إسرائيل كيرش، وقيل: كورش، وقيل: إنه ملك آخر غير أردشير بهمن[1].

ثم تراجعت إليه بنو إسرائيل، وصاروا تحت حكم الفرس، ثم لما غلبت اليونان على الفرس صارت بنو إسرائيل تحت حكمهم، وكان اليونان يولون من بني إسرائيل عليهم نائباً، وكان لقب كل من يتولى على بني إسرائيل هردوس، وقيل هيردوس، واستمرت بنو إسرائيل كذلك حتى قتلوا زكريا بعد ولادة المسيح حسبما تقدم ذكره. ثم لما ظهر المسيح ودعا الناس بما أمره الله به أراد هردوس قتله، وكان اسم هردوس الذي قصد قتل المسيح فيلاطوس، فرفع الله عيسى ابن مريم إليه وكان منه ومنهم ما تقدم ذكره[2].

وكانت ولادة المسيح لإحدى وعشرين سنة مضت من غلبة أغسطس على قلوبطرا، وكانت مدة أغسطس ثلاثاً وأربعين سنة منها قبل مُلك مصر اثنتي عشرة سنة، وبعد ملك مصر إحدى وثلاثين سنة، فيكون عمر المسيح عند موت أغسطس عشر سنين تقريباً، وجملة ما عاشه المسيح إلى أن رفعه الله إليه ثلاثاً وثلاثين سنة [٣٤] وثلاثة أشهر، فيكون رفعه بعد موت أغسطس بنحو ثلاث وعشرين سنة، والذي ملك بعد أغسطس طيباريوس، وملك طيباريوس اثنين وعشرين سنة ثم ملك بعد طيباريوس غانيوس، فيكون رفع المسيح في السنة الأولى من ملك غانيوس وملك أربع سنين، ثم ملك بعده قلوذيوس أربع عشرة سنة، ثم ملك بعده نارون ثلاث عشرة سنة، ثم ملك بعده آخر قيل إن اسمه أوسيانوس وقيل أسفيسوس عشر سنين، ثم ملك بعده طيطوس[3].

وفي السنة الأولى من ملكه قصد بيت المقدس، وأوقع باليهود، وقتلهم وأسرهم عن آخرهم إلَّا من اختفى، ونهب القدس وخربه، وخرب بيت المقدس وأحرق الهيكل، وأحرق كتبهم. وخلا المقدس من بني إسرائيل كأن لم يغن بالأمس، ولم يعد لهم بعد ذلك رئاسة ولا حكم، وكان ذلك بعد رفع المسيح بنحو أربعين سنة على تفصيل ما تقدم، فيكون خراب بيت المقدس الخراب الثاني[4].

---

(١) أبو الفداء، المختصر: ١/٦٦.
(٢) أبو الفداء، المختصر: ١/٦٧.
(٣) أبو الفداء، المختصر: ١/٦٧.
(٤) أبو الفداء، المختصر: ١/٦٧.

وتشتت اليهود التشتت الذي لم يعودوا بعده لأربعين سنة مضت من رفع المسيح، ولثلاثمائة وست وسبعين سنة مضت لابتداء ملك بخت نصر، فيكون لبث بيت المقدس على عمارته الأولى إلى حين خربه بخت نصر أربعمائة وثلاثاً وخمسين سنة. ثم لبث على التخريب سبعين سنة، ثم عمر ولبث على عمارته الثانية إلى حين خربه طيطوس التخريب الثاني سبعمائة وإحدى وعشرين سنة[١].

قال الملك المؤيد[٢]: ثم إني وجدت في كتاب اسمه العزيزي تصنيف الحسن [٣٥] بن أحمد المهلبي في المسالك والممالك[٣] أن بيت المقدس بعد أن خربه طيطوس التخريب الثاني حسبما ذكر تراجع إلى العمارة قليلاً قليلاً، ورمم شعثه، واستمر عامراً وهي عمارته الثالثة حتى سارت هلانة بنت قسطنطين[٤] إلى القدس في طلب الخشبة التي يزعم النصارى أن المسيح صلب عليها، ولما وصلت إلى القدس بنت كنيسة قمامة على القبر الذي يزعم النصارى أن عيسى دفن به، وخربت هيكل بيت المقدس إلى الأرض، وأمرت أن يلقى في موضعه زبالة البلد، فصار موضع الصخرة مزبلة، وبقي الحال على ذلك حتى قدم عمر بن الخطاب وفتح الهيكل، فدله بعضهم على موضع الهيكل، فنظفه عمر من الزبائل، وبنى به مسجداً، وبقي ذلك المسجد إلى أن تولى الوليد بن عبدالملك الأموي فهدم ذلك المسجد، وبنى على الأساس القديم الأقصى وقبة الصخرة، وبنى هناك قباباً أيضاً سمى بعضها قبة الميزان، وبعضها قبة المعراج، وبعضها قبة السلسلة، كذا نقل العزيزي والعهدة عليه قال: وينبغي أن نلخص كلام العزيزي في خراب هيكل بيت المقدس بالعمارة التي على الصخرة خاصة لأن ذكر صفات المسجد الأقصى جاء في حديث معراج النبي ﷺ والأمر على ذلك إلى يومنا هذا[٥].

وخلاصة ما ذكر: أن هيكل القدس عمره سليمان بن داود، وبقي عامراً حتى خربه بخت نصر. وهو التخريب الأول، ثم عمره كورش العمارة الثانية وبقي حتى خربه

---

(١) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٦٧.

(٢) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٦٨.

(٣) انظر عنه كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي: ١/ ٢٣٠، والكتاب في حكم المفقود.

(٤) كذا في الأصل، والصواب أم قسطنطين.

(٥) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٦٨.

[٣٦] طيطوس التخريب الثاني، ثم تراجع للعمارة قليلاً قليلاً، وبقي عامراً حتى خربته هلانة بنت قسطنطين، وهو التخريب الثالث ثم عمره أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وهو عمارته الرابعة، ثم خرب ذلك وعمره الوليد بن عبدالملك وهي عمارته الخامسة وهو على ذلك إلى يومنا هذا[١]. [٣٧] وأول ما نبدأ بذكر ما كانت عليه الممالك في القديم وقد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب في معاريض الكلام ما فيه إرشاد، ونحن الآن نذكره على ما نقل فيه أخبار دولة دولة، وطائفة طائفة، وبالله نستعين.

أخبار ملوك الهند:

قال المسعودي[٢]: إن الهند كانت في قديم الزمان الفرقة التي فيها الصلاح والحكمة، ثم حاولت أن تضم المملكة، فقال كبراؤهم: نحن كنا أهل البدء وفينا التناهي، وإلينا الغاية فاجمعت إليها ونصبت لها ملكاً وهو البرهمن الأكبر والملك الأعظم، وإليه تنسب طائفة البراهمة لا إلى إبراهيم الخليل عليه السلام.

وفي أيامه استخرج الحديد، وضرب السلاح، ثم بنى الهياكل ورصعها بالجواهر، وصور فيها الأفلاك والبروج والكواكب، وأظهر الحكمة وقدم العلماء، وصنفت له الكتب، ومنهم من قال هو الأب الأول، وزعموا أنه آدم عليه السلام، ومنهم من يقول بل هو رسول أرسل إلى الهند والأكثر على أنه إنما كان ملكاً، فلما هلك جزعت عليه الهند جزعاً شديداً[٣].

ثم ملكت ولده الأكبر يَضِبْ بن البرهمن وهو الباهبود، فسار بسيرة أبيه، وزاد في بناء الهياكل وتقديم الحكماء[٤].

وفي أيامه عمل الفرس النرد، ولعب به، وجعل مثلاً للمكاسب، وأنها لا تنال بالكسب والحيل، وإنما تنال بالمقادير[٥].

ثم ملك بعده رامان، وله حروب مع ملوك فارس والصين[٦].

---

(١) أبو الفداء، المختصر: ١/٦٨.
(٢) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٨٤.
(٣) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٨٤-٨٥.
(٤) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٨٩.
(٥) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٨٩.
(٦) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٨٩.

ثم ملك بعده قور وهو الذي قتله الإسكندر بن فَيْلُبُّس [٣٨] اليوناني مبارزة[١].

ثم ملك بعده دبشليم وهو الذي صنف له كتاب كليلة ودمنة[٢].

ثم ملك بعد بلهيت، وفي أيامه وضعت الشطرنج، فقضى به على النرد، وبين به الظفر الذي سأله الخادم، والنكبة التي تلحق الجاهل[٣].

ثم ملك بعده كوش فأخذت الهند الدّيانات على حسب ما رأى من صلاح الوقت، وما تحمله أهل العصر من التكلف، وصنف له الكتاب الأعظم في معرفة العلل والأدواء والعلاجات، وأشكال الحشائش وصفاتها[٤].

ولما هلك اختلفت آراء الهند وانفرد كل ملك بناحية فتملك أرض السند ملك، وأرض القنوج ملك، وأرض قشمير ملك، وأرض المانكير ملك، وهي الحوزة الكبرى، وكان اسمه البهلري وكانت مدة اجتماع الهند لملك واحد نحو من ألف سنة وستاً وستين سنة، وقيل أكثر من هذا وعدتهم سبعة ملوك[٥].

ذكر أخبار ملوك الصين:

قال المسعودي[٦]: لما قسم فالغ بن عابر بن إرفخشد بن سام بن نوح الأرض بين ولد نوح سار عابور بن سوبيل بن يافث بن نوح[٧] يسرة المشرق، وكان منهم أجناس الترك، وسار الجمهور من ولد عابور على ساحل البحر حتى انتهوا أول أقاصية من بلاد الصين، فتفرقوا في تلك البقاع فسكنوها وعمروها، وكان أول من تملك عليهم نسطرطاس بن ياعور بن بريح بن عابور، ولما ملك شق الأنهار، وغرس الشجر[٨]، وطعم الثمار، وقتل السباع.

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٨٩.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٨٩، ورسمه في الأصل: بشامل والمثبت من المسعودي.

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٩٠.

(٤) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٩١.

(٥) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٩١.

(٦) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ١٣٨.

(٧) في الأصل: عامور بن شريل بن يافث بن نوح والمثبت من المسعودي، والتزم العمري بهذا الرسم فيما بعد من أخبار.

(٨) في الأصل: البحر.

ثم تملك وملك بعده ابنه عَرّون ثم هلك، وتملك بعده ابنه عيرون ثم هلك، وملك بعده ابنه عثينان وطالت مدته في الملك واتسعت مملكته [٣٩] حتى اتصلت ببلاد الترك من بني عمه، واتخذ في أيامه كثير من الصناعات ولطائف الأعمال[١].

ثم هلك وتملك بعده ابنه حرابان، وأمر باتخاذ الفلك وحمل فيها الرجال، وبعثهم بلطائف الصين إلى ملوك الهند والسند وبابل وسائر الممالك، وأمرهم بأن يجلبوا له من طوائف تلك البلاد، ويتعرفوا سياسة كل ملك، ورَغبوا الناس في بلاده، من الجواهر والطب والآلات، فقبلت الملوك هداياه وألحقته بالطرق، واشهر ذكره في الأمم، فقصدوه فعمرت بلاد الصين، واستقامت أمور مملكته ثم هلك، فجزعوا عليه وحزنوا حُزناً شديداً[٢].

ثم ملك بعده ابنه توبال فزاد على من سلف وأحدث السنن المحمودة فيهم وشرع لهم سياسة يدان بها أوجب عليهم فيها صلوات بالإيماء لا ركوع ولا سجود فيها في أوقات عينها، ورسم لهم أعياداً، وأقام لهم نواميس ثم هلك، ولم يزل بعده الملوك تدين ما دان به، وتعمل بنواميسه، وكانت تسمى أهل شرعتهم السُمَّنيّة وهي نحو من عبادات قريش قبل الإسلام، ثم ظهرت في الصين آراء ونحل حدثت من مذاهب الثنوية وأهل الدهر[٣].

قال المسعودي[٤]: وملكهم متصل بملك الطغزغز، وكان اعتقادهم الثنوية. قال: وأهل الصين شعوب وقبائل كقبائل العرب وشعوبها، ولهم مُراعاة بحفظ أنسابهم حتى تصل لعابور، والرجل منهم لا يتزوج من الفخذ التي هو منها، ويزعمون أن ذلك أصح للبقاء وأهم للعمر.

وقال[٥]: ولم تزل أمور الصين مستقيمة إلى سنة أربع وستين ومائتين، فإنه خرج فيها خارجي من غير بيت الملك يقال له يانشو[٦] كان في أول أمره شريراً، ويجمع

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ١٤٠.
(٢) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ١٤٠.
(٣) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ١٤٢.
(٤) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ١٤٤.
(٥) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ١٤٤.
(٦) في الأصل: يانسير.

أهل الزعارة والشر، فلحق الملوك [٤٠] عنه غفلة لخمول ذكره، كان قد أهمل أمره لما تفتى وجمع أهل الزعارة والشر، فاشتد أمره، وشن الغارات، وملك مدينة خانقو، وهي المدينة العظمى، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً، ثم فتح بقية البلاد، واستولى على حوزة الصين، ثم استنجد ملك الصين ليرجان ملك الترك، فأنجده بولده في نحو أربعمائة ألف فارس، وجمع إليه الخارجي، وتلاقيا وكانت الحرب بينهما سجالاً نحو سنة، ثم فقد الخارجي وأسر ولده، وعاد ملك الصين إلى ملكه على وهنٍ لم يجبر، فغلب صاحب كل عمل على عمله، وضعف عن مقاومتهم.

قال[١]: والعامة تسميه يعبور، وتفسيره ابن السماء تعظيماً له، ثم لقب ملك الصين طمعاً[٢] جيان، ثم لقب الخان وهو آخر ما استقر، وسنذكر إن شاء الله في ذكر أولاد جنكز خان ما سقط إلينا عنهم.

ذكر أخبار ملوك الترك:

وهذه الطائفة لم تنقل إلينا أخبارهم مفصلة لعدم العلماء فيهم، وقلة عناياتهم بالعلم، وحفظ مآثر الآباء. وقال المسعودي[٣]: وقد تنازع الناس في الترك فذكر كثير أنهم ولد عابور بن سوبيل بن يافث. ساروا يسرة المشرق فنزلوا به كما ذكرنا.

قال[٤]: فقطع قوم منهم من ولد ارعو على سمت الشمال وانتشروا في الأرض، فصاروا عدة طوائف اللّكز واللان والختل والطيلسان والتتر والموعان، وأهل جبل الصقع من أنواع اللكز واللان والخزر والأبخاز والسّرير والكسك وسائر تلك الأمم المنتشرة في ذلك الصقع والأرمن إلى طرابزبنده إلى بحر مانيطش ونيطش، وبحر الخزر إلى البرغز ومن اتصل بهم.

وعبر ولد عابور جيحون وهم أكثرهم ببلاد الصين وتفرقت بقيتهم فيما بين الصين وجيحون، وانتشروا [٤١] في تلك الديار، فمنهم: الختل وهم سكان خَتلان وورشان والأشروسنة، والصغد وكانوا بين موضع بخارا وسمرقند، ثم الفراغنة والشاش

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ١/١٤٦.
(٢) كذا في الأصل.
(٣) المسعودي، مروج الذهب: ١/١٣٨.
(٤) المسعودي، مروج الذهب: ١/١٣٨.

واسبيجاب، وأهل بلاد فاراب فبنوا المدن والضياع، واستوطنوا وانفرد منهم أُناس غير هؤلاء فسكنوا البوادي[١].

قال المسعودي[٢]: ومن الترك الكماكية والبرغانية والبررية والجغرية، قال: وأشدهم بأساً الغزية، وأحسنهم صورة الخرلخيّه وكانوا على بلاد فرغانة.

قال المسعودي[٣]: وكان فيهم الملك ومنهم خاقان الأكبر، وكان ملكه يجمع سائر ممالك الترك، وينقاد إليه ملوكها، ولحق قوم من ولد عابور تخوم الهند، فأثّر فيهم سُكْنَاها في القرى، ولهم حضر وبواد، وسكن فريق منهم بلاد التبت وكان يُسمى ملكهم خاقان تشبهاً بملوك الترك، وكان ينقاد إلى ملك الترك[٤]. [٤٢]

ذكر أخبار ملوك مصر الأول:

ذكر إبراهيم بن القاسم الكاتب في مختصر العجائب الكبير[٥] قال: أول من ملك مصر قبل الطوفان نقراوس ومعناه مَلِكُ قومه وهو نقراوس الجبار بن مصرليم بن يراكيل ابن زريائيل بن عربان بن آدم. رحلوا لما بغى بعض بني آدم على بعض في نيف وستين رجلاً من بني عربان جبابرة كلهم يطلبون موضعاً ينقطعون فيه، فلما نزلوا على النيل أقاموا عليه وبنوا الأبنية، وقالوا: هذا بلد زرع، فبناه وسماه باسم أبيه تبركاً به، وكان قد تلقى علماً من آبائه عن آدم، وكان نقراوس كاهناً وبنوه هم الذين بنوا بلاد مصر الأعلام وأقاموا الأساطين العظام، وعملوا المصانع، ووضعوا الطلسمات، واستخرجوا المعادن، وكل عملٍ جليل كان في أيدي من بعدهم من المصريين إنما هو من فضل أولئك.

وكانت علومهم مرموزة على الحجارة ففسرها لهم فليمون الكاهن أحد من آمن بنوح عليه السلام، ويقال إنهم الذين أصلحوا مجرى النيل، وكان قبلهم يتفرق وينبث في أرض مصر يميناً وشمالاً وبين الجبلين، ووجه نقراوس إلى بلاد النوبة جماعة هندسوه،

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ١٣٨.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ١٣٨.

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ١٣٩.

(٤) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ١٣٩.

(٥) يظهر أن إبراهيم بن القاسم قد عمل مختصراً لكتاب إبراهيم بن وصيف شاه، وهو مطبوع بتحقيق سيد كسروي من دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، والخبر فيه: ٩٨.

وشقوا نهراً عظيماً منه بنوا عليه المدن، وغرسوا الغروس، ويقال إنه صعد إلى مجرى النيل[١].

ثم هلك وملك بعده ابنه نقارس وتجبر، وبنى مدينة [٤٣] صفح حيطانها بالذهب والحجارة الملونة، وكان له شيطان يعمل التماثيل، ويوقفه على أسرار العقاقير، وسار مغرباً حتى بلغ البحر المحيط، وأقام عليه الأعلام، وزبر[٢] اسمه عليها ثم هلك[٣].

وملك بعده أخوه مصرام، ويقال إنّ به سميت مصر، وهو أحد ما يقال ذلك. ويقال: إنه ذلل الأُسْد، وكان يركبها وكان يتصرف في الروحانيات، وكان قد عمل له جنة واتخذ بها شجرة مولدة يؤكل منها جميع الفواكه، واتخذ فيها قبة من زجاج أحمر على رأسها صنم يدور مع الشمس، ووكل بها، ثم أمر كبراء ملكه أن يجمعوا له، وجلس لهم في مجلس عالٍ مُزين بأصناف الزينة، وبرز إليهم في صورة هائلة ملأت قلوبهم رُعباً فخروا على وجوههم، ودعوا له، فأمر بإحضار الطعام والشراب، فأكلوا وشربوا ورجعوا إلى مواضعهم، ثم لم يروه بعدها. وكان قد بلغ بكهانته ما لم يبلغه آباؤه[٤].

ثم ملك بعده [عنقاطر][٥] فعدل فيهم وبنى[٦] مدينة عجيبة يقال هي العريش، ويقال بل هي قرب العريش، ويقال: إن ادريس عليه السلام رفع في زمانه، ويقال: إنه عمل له قصراً كان يسرج بغير مصابيح، وآلة تقرأ مصاحف القبط التي فيها تواريخهم، وجميع ما يجري إلى آخر الزمان على زعمهم[٧].

ثم هلك وملك بعده ابنه عرناق وهو المسمى بالأثيم، واحتالت عليه امرأة من المغصوبات فسمته فهلك وبقي مدة لا يعرف خبره وكان رسمه[٨] إذا خلا بنسائه لا

---

(١) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ٩٧-٩٨.
(٢) في الأصل: وبرز
(٣) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ٩٨.
(٤) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٠١-١٠٢.
(٥) ما بين الحاصرتين إضافة من مختصر عجائب الدنيا.
(٦) في الأصل هي، وصوبناه ليستقيم المعنى.
(٧) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٠٢.
(٨) في الأصل: اسمه.

يقربه أحد، فلما تأخر خبره هجم عليه فتًى من بني نقراوس يقال له لوخيم[1]، ومعه نفر من أهله، فوجده ملقى على فراشه جيفة، فأوقد له ناراً وأحرقه وجميع النساء اللواتي عنده، فمن كانت من نسائه تركها، ومن كانت من المغصوبات سرحها إلى أهلها [٤٤] وكان عرناق قد اغتصب كل امرأة سمع بحسنها فلما هلك فرح الناس بعود نسائهن وبما نزل به[2].

ثم ملك بعده لوخيم، ولما ملك جمع الناس، وقام على كرسيه، فتكلم وذكر ما كان عليه عرناق الأثيم من سوء السيرة، واغتصاب النساء، وسفك الدماء، ورفض الهياكل، والاستخفاف بالكهنة إلى أن هلك، وأنه أحق بميراث أخيه وجده، وضمن للناس العدل والإحسان، والقيام بأمرهم ودفع الأذى عنهم فرضي به الناس وأطاعوه.

ثم كان من ملوكهم خصليم وهو أول من عمل مقياساً لزيادة الماء وقنّنه على البلاد[3].

ثم هلك وملك بعده ابنه هرصال، ويقال إنه عمل تحت النيل سرباً يجاز منه من أحد جانبيه إلى الآخر، وخرج متنكراً يشق الأمم إلى أن بلغ بابل، ورأى أحوال ملوكها، ويقال إن نوحاً عليه السلام ولد في زمانه، ويقال إنه غاب غيبة طويلة انقطع فيها خبره وأولاده كل واحد منهم فيما كان جعله فيه، والأمور جارية على السداد، فداموا على هذا سبع سنين، ثم وقع بينهم تشاجر، فاجتمع رأي الكهنة أن يملكوا واحداً منهم، وبقي إخوته في أماكنهم لا يلزمهم إلَّا الطاعة[4].

فأقاموا ولده تُدسان، فسار بسير أبيه، وحمد الناس أمره، ثم عمل قصراً من خشب ونقشه بأحسن النقوش، وصور فيه الكواكب ونجّده بالفرش، وحمله على الماء، وكان يتنزه فيه فبينما هو فيه إذ زاد النيل زيادة عظيمة، وهبت ريح عاصفة فانكسر القصر وغرق الملك[5].

---

(١) ورد رسم في أكثر من صورة واعتمدنا هذا الرسم.
(٢) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٠٢-١٠٣.
(٣) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٠٣.
(٤) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٠٤.
(٥) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٠٥.

ثم ملك بعده شمرود ثم قاتله بنو أخيه تُدسان وأقامت الحروب بينهم أياماً ثم انهزم شمرود وإخوته[1].

وملك بعده [٤٥] يومندون بن تُدسان، وكانت أمه ساحرة، وكانت هي التي تدبر أمره، فقتلت كل من كان مع شمرود، وطلب شمرود حتى ظفر به، فشده بين أسطوانتين، ثم أوقد ناراً وجعل يقطعه عضواً عضواً، ويرميه في النار[2].

ثم برع يومندون الملك في الكهانة، وعمل قبة من الزجاج على دوران الفلك يتعرف بها الكائنات[3].

ثم هلك وملك بعده ابنه شرناق فعمل بسيرة أبيه وشق إلى بعض مدائن الغرب نهراً من النيل، وبنى في الأرض منازل وأعلاماً، وقصده ملك من العراق وملك الشام، ثم أراد مصر وخرج إليها متنكراً ليقف على أحوالها، وكان شرناق قد رأى مناماً استدل به على دخوله إلى أرضه فتطلبه وقتله[4].

ثم ملك بعده ابنه سهلوق، وكان كاهناً منجماً، فأفاض العدل، وقسم ماء النيل قسماً موزوناً، وصرف إلى كل ناحية حقاً معلوماً ورتب المراتب[5].

ثم هلك وملك بعده ابنه سوريد فاقتفى سيرة أبيه، وعمل الهياكل، وبنى المنابر، ونصب الأعمال والطلسمات وأظهر عجائب كثيرة ويقال إنه هو الذي بنى الهرمين الكبيرين ويقال غير هذا مما سنذكره إن شاء الله[6].

ثم هلك وملك بعده ابنه هرجيت، وسار بسيرة أبيه، وبنى الهرم الأول من أهرام دهشور، وعمل الكيمياء، واستخرج المعادن، وجمع المال، وشج في زمانه رجل لآخر فأمر بقطع أصابعه، وسرق رجل لآخر فملك المسروق له رق السارق.

ثم هلك وملك بعده ابنه منقاوش، وكان جباراً أثيماً. فآذى [٤٥] الناس وسفك الدماء، واغتصب النساء، واستخرج كنوز آبائه وبنى قصوراً بطّن مجالسها بالذهب

---

(١) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٠٥-١٠٦.

(٢) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٠٦.

(٣) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٠٦.

(٤) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٠٦.

(٥) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٠٧.

(٦) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٠٩.

والفضة، وكان يفترع نساء العامة قبل زواجهن، وسلط رجلاً جباراً اسمه[1] قرناس على الناس، ووجه لمحاربة الأمم الغربية فقتل منهم أمماً ثم هلك قرناس، فأغم منقاوش الملك عليه، وأمر أن يدفن مع الملوك في الهرم[2].

ثم هلك منقاوش وملك بعده ابنه أفروش، وكان عاقلاً، فخالف عوائد أبيه وعدل في الناس، ورد النساء، وبنى أبنية عجيبة، وأثر آثاراً بديعة، وكان يطلب الولد فنكح ثلاثمائة امرأة يبغي الولد منهن، فلم يولد له، وقيل: إن في عصره عقمت الأرحام لما يريد الله عز وجل من هلاك العالم بالطوفان، ووقع الموت في الناس[3] والبهائم.

ثم هلك أفروش وليس له ولد ولا أخ فاجتمع الناس على تمليك رجل من أهل بيت الملك فملكوا عليهم أزمالينوس، وخرج بجيوش عظيمة، ومعه الحكماء بأعمال عظيمة عملوها له، فغزا الأمم تارة هو، وتارة يرسل ابن عم له اسمه فرعان بن مسور، وكان جباراً لا يطاق، ثم سمته امرأة من نسائه عقب فرعان بن مسور فمات مسموماً[4].

وملك بعده فرعان بن مسور وجلس على سرير الملك، فلم ينازعه أحد، وفرح الناس بمكانه، فلما استتب له الملك علا في الأرض، وعتا وتجبر، واغتصب الناس أموالهم وأنفسهم ونساءهم، وكتب إلى الدرمسيل بن فحويل ببابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام، وإحراق السفينة، وكان عند أهل مصر علم بالطوفان، فاتخذوا له سراديب تحت الأرض، وصفحوها بالزجاج، وحبسوا فيها [٤٧] الرياح بتدبيرهم، فاتخذ فرعان الملك منها عدة له ولأهل بيته، وأقام منهمكاً في ضلاله وظلمه، مقبلاً على لعبه ولهوه، واستخف بالكهنة والهياكل، ففسدت في أيامه الأرض، ونقص الزرع، وأجدبت النواحي، وظلم الناس بعضهم بعضاً، ثم جاءهم الطوفان، وأقبل المطر عليهم، فقام فرعان الملك سكران يريد الهرب إلى الهرم فتخلخلت الأرض به، وطلب الأبواب فخانته رجلاه وسقط يخور خوار الثور إلى أن أهلكه الله بالطوفان، وهلك من دخل الأسراب بغمها، وبلغ الماء في الأهرام إلى مكان التربيع، وهو ظاهر عليها إلى الآن،

---

(١) في الأصل: أشهر والمثبت من عجائب الدنيا.

(٢) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١١١.

(٣) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١١٠-١١١.

(٤) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١١١، والعبارة مضطربة ومجملها أن فرعان لما عاد إلى مصر أحبته زوجة الملك فسمت الملك لأجله.

وهلكت الأمم بالطوفان، فكان عدة من ملك مصر إلى مجيء الطوفان تسعة عشر ملكاً[1].

ثم ملكها بعد الطوفان من نذكره على ما ذكره إبراهيم بن القاسم الكاتب نقلاً عن إبراهيم بن وصيف[2] وأولهم: مصريم بن بنصر بن حام بن نوح، وكان جدّه لأبيه إفليمون الحكيم أحد من آمن بنوح عليه السلام فلما أراد نوح قسمة الأرض بين بنيه قال له إفليمون: يا نبي الله ابعث معي ابني حتى أمضي به إلى بلدي لأوقفه على كنوزه، وأعرّفه خفايا علمه ورموزه، فلما قرب من مصر بنى له عريشاً من أغصان الشجر، وستره بحشيش الأرض، ثم بنى له بعد ذلك في الأرض مدينة، ثم زرعوا وغرسوا الأشجار ثم نكح مصريم الملك امرأة من بنات الكهنة فأولدها ولداً سماه قبطيم فهو أبو القبط، ثم نكح قبطيم فولد أربعة وهم قفطريم واشمون وأبريت وصنا، وكثروا وانتشروا في مصر وما يليها في الجنوب، وبنى مدينة رقودة وهي الإسكندرية، وإنما جددها الإسكندر بن فيلبس فسميت به.

ثم عهد مصريم [٤٨] إلى ابنه قبطيم فقسم مصر لبنيه وعهد لهم بعهدٍ كان من أبيه في ذلك، فجعل لقفطريم من قفط إلى أسوان داخلاً في الجنوب، ولأشمون من أشمون إلى منف، ولأبريت الجوف كله إلى الشجرتين إلى أيلة من الحجاز، ولصنا من ناحية صنا والبحيرة إلى قرب برقة ثم بعث أخاً له اسمه فارق بن مصريم، وقال له: لك من برقة إلى الغرب فهو صاحب إفريقية وولده الأفارق، ثم هلك[3].

وملك بعده ابنه قفطريم وكان أكبر أولاده، وكان جباراً عنيداً، ووضع أساس الأهرام الدهشورية، ووسع عمل العجائب بالصعيد ثم هلك[4].

وملك بعده ابنه البردسير فتجبر وتكبر، وقال بالسحر، وعمل به، واحتجب بالخافية، وقهر أعمامه، وصعد على مجرى النيل إلى البطيحة التي ينصب إليها، وعدّل جانبيها حتى لا تفيض، وبنى هنالك أبنية غريبة، وعمل عجائب كثيرة، ثم هلك[5].

---

(١) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١١١-١١٢.
(٢) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١١٣.
(٣) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١١٤.
(٤) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١١٥.
(٥) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١١٧.

• وملك بعده ابنه عديم، وزنى في أيامه رجل بامرأة فأمر بهما فصلبا، وكان أول من صلب وعمل قنطرة على النيل في أول بلاد النوبة، ثم لم تزل حتى هدمها فرعون موسى ثم هلك[1].

وملك بعده ابنه شَدّات، ومن الناس من ينسب إليه بناء الأهرام، والأكثر على أنّ هرمي الجيزة من قبل الطوفان، وإنما بنى الأهرام الدهشورية كمل على أساس قفطريم، والناس تغلط فتجعل هذا هو شداد بن عاد العادي، وما الأمر كذلك، وإنما اشتبه عليهم، فهذا شدّات بن عديم وذاك شداد بن عاد. وهذا شدات بن عديم هو الذي بنى الهيكل بأزمنت، وعمل عجائب كثيرة ثم هلك[2].

وملك[3] بعده ابنه منقاوس فأظهر مصاحف الحكم، وعمل طلسمات لمنع الرمل [٤٩] عن مكان الزرع، وكان سحاراً يتجلى على أصحابه في صورة وجه عظيم مهول، وكان ربما خاطبهم ولا يرونه، ثم غبر مدة لا يرونه، ورآه فيها ابنه عديم فخاطبه، وأمره بالجلوس على سرير ملكه فجلس عديم بن منقاوس وكان جباراً لا يطاق، ويقال إنّ في وقته كان نزول الملكين اللذين يعلمان الناس السحر والقبط تزعم أنهما نزلا بمصر، ثم نقلا إلى بابل.

ثم ملك بعده أخوه مناوس بن منقاوس فطلب الحكمة وأكرم أهلها، وبذل لهم الجوائز، وعمل أعمالاً حكيمة، ثم هلك وملك بعده ابنه مرميس فلم يعمل أعجوبة ولا أثر أثراً حتى كأنه لم يكن من الملوك.

ثم نذكر أخبار أشمون وبنيه وهو أشمون بن قبطيم بن مصريم بن بنصر بن حام ابن نوح أخو قفطريم أبو الملوك المقدم ذكرهم، وكان ملك أشمون من الأشمونين إلى منف، ومن الشرق إلى البحر الملح، ومن الغرب إلى حدود برقة، وكان ينزل مدينة الأشمونين وله بنيت وباسمه سميت وهو أول من اتخذ الملاعب.

وحكي أنّ رجلاً أتى عبدالعزيز بن مروان وهو على مصر، فقال له: إنه تاه في صحراء الشرق فوقع على مدينة خراب فيها شجرة تحمل من كل فاكهة فأكل منها وتزود فسأل عبدالعزيز القبط عنها فقال له رجل منهم: هذه إحدى مدينتي هرمس وفيها كنوز

---

(١) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١١٩.

(٢) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٢١.

(٣) الأخبار من هنا حتى الإشارة التي تلي كما غير موجودة في المطبوع من مختصر عجائب الدنيا.

كثيرة فوجه عبدالعزيز معه جماعة وحمل معهم زاداً وماءً، وأقاموا يطوفون شهراً في تلك الصحاري فلم يقفوا لها على أثر.

ثم هلك وملك بعده ابنه مناقيوس وكان جلداً محنكاً بالتجارب، فاستأنف العمارة وبنى القرى، ونصب الأعلام، ثم هلك.

وملك بعده ابنه ولم يسمه إبراهيم بن القاسم [٥٠] فاستقر ابنه، وكان أجرم من أبيه، فعظم في عيون أهل مصر، وكانت له امرأتان يجمعهما في مجلس واحد، فمال يوماً للواحدة فغارت الأخرى فقامت فأخذت سكيناً ودخلت فضربت تلك المرأة بالسكين، فقام الملك دونها يمنع عنها فضربته على فؤاده فخر صريعاً فهلك.

وملك بعده ابنه مرقورة، وكان حازماً لبيباً عاقلاً، قيماً بالعمارة وترتيب المراتب، وجعل لرأس الكهان الحكومة في أمر الدين.

ثم ملك بعده ابنه بلاطس وكان صبياً وكانت أمه تدبر الملك مع الوزراء والكهان، وكان محباً للصيد ثم حصل له خدر مات منه وانتقل الملك إلى أعمامه.

ثم نذكر أخبار أبريت بن قبطيم بن مصريم بن بنصر بن حام بن نوح وكان أبريت قد انتقل إلى ما جعل له أبوه قبطيم ثم هلك.

وملك بعده ابنته ولم تُسم لنا فدبرت الملك وساسته بأيد وقوة. ثم ماتت.

فملك بعدها أخوها فليمون بن أبريت فجدد رسوم الوزراء والكهان وصدر عن رأيهم، وجدّ في العمارات، وطلب الحكم، وعمل بها وفي زمانه بنيت تنس الأولى، وغرقها النيل، وبنيت دمياط ثم هلك.

وملك بعده ابنه فرسيون فأقام الهياكل والكهنة وطلب الحكمة، وعشقته إحدى نساء أبيه، وبعثت إلى ساحرة بمنف فسألتها أن تسحره لها فإذا الساحرة قد عشقته أشد من عشقها، فسعت إليه بامرأة أبيه، وعرّفته بأمرها، فأبعد امرأة أبيه ومنعها من الدخول إليه، وبلغ ملكاً من ملوك حمير أن مُلْك مصر صار إلى غلام حدث غرّ، وكان فرسيون حدثاً غرّاً، فطمع الحميري فيه، وسار إليه في جموع عظيمة، فخرج فرسيون [٥١] نحوه والتقوا بأيلة واقتتلوا قتالاً شديداً، ثم أتت الساحرة إلى فرسيون وشرطت عليه حكمها إذا هي عملت له عملاً يغلب به عَدُوه، فعملت عملاً هرب به الحميري في نفر يسير، وقتل بقية أصحاب الحميري، وعاد فرسيون غانماً إلى منف، وأتت إليه الساحرة، واحتكمت أن يتزوجها، فتزوج بها، فشق هذا على امرأة أبيه فدست جارية

لها على ساق الملك، فاختلطت بجواريه حتى تمكنت من شرابه، فألقت فيه سماً وعادت فأخبرت مولاتها، فدخلت إلى الملك فسجدت له، وقالت: أيها الملك أقصيتني وأدنيت هذه الساحرة، فخانت الملك، وسمت شرابه في إناءٍ صفته كذا وكذا فليسقها الملك منه ليعلم صدقي، فدعا بالإناء فوجده على ما ذكرت، فدعا الساحرة وأمرها بشرب قدح منه فشربت، ولم تعلم ما فيه فسقط لحمها عن عظمها، فأمر بها فدفنت، وعاد إلى امرأة أبيه وتزوج بها وحسن حالها عنده، ثم هلك.

وملك بعده ثلاث أو أربعة من أولاد أبريت على اختلاف الرواية في العدد ولم يسموا لنا.

ثم نذكر أخبار صنا بن قبطيم بن مصريم بن بنصر بن حام بن نوح، وكان قد انتقل إلى ما جعل له أبوه قبطيم، وله في البر ما بين البحيرة وبرقة آثار عجيبة وبقايا مدن كان بناها، وساق إليها أنهاراً من النيل، ولا يزال من دخل في تلك الصحاري يحكي ما رأى فيها من الآثار والعجائب ويقص الأخبار والغرائب[١].

ومن ملوكهم: مرقونس، وكان حكيماً مولعاً بالنجوم والحكمة، وعمل عجائب كثيرة ثم هلك[٢].

وملك بعده ابنه: أنساد، وكان معجباً جباراً، طماح العين، طماع اليدين [٥٢] فاغتصب امرأة من نساء أبيه، وانكشف أمره معها فجرت بينه وبين أرباب دولته هنات، فعزم على الركوب إلى صحراء الغرب على أنه يتصيد هناك، وأمر الجيش أن يركب معه، ويتزود لثلاثة أيام ففعلوا، وسار حتى إذا اختلط الظلام رجع بالجيش حتى وافى باب مدينته، فأمر أصحابه أن يضعوا فيهم السيف ثم احتال عليه خاصته بطباخه وساقيه فسمّاه فهلك[٣].

وملك بعده ابنه صنا قال إبراهيم بن القاسم[٤]: وأكثر القبط تزعم أنه ليس بابنه ولكنه أخوه وأنهما ابنا مرقونس، وعمل العجائب والطلسمات، وردّ الكهنة إلى

---

(١) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ٦٢.
(٢) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٢١.
(٣) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٢٣.
(٤) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٢٣.

مراتبهم، ونفى الملهين، وأهل البطالة، وقمع أهل الشر والأشر، وعظم شأنه حتى استكمل جميع ملك بني مصريم، واستقل به ثم هلك.

وملك بعده ابنه تدارس وملك جميع ما كان اجتمع لأبيه، وكان ذا أيد وقوة، فأظهر العدل، وأقام الهياكل وأهلها أحسن قيام، ويقال إنه هو الذي حفر خليج سخا، وقصد بعض عمالقة الشام، فخرج إليه واستباحه، ودخل إلى فلسطين فقتل فيها خلقاً وسبى بعض حكمائها، وأسكنهم مصر، فهابته الملوك ثم طمع طوائف من السودان في أرضه، فجهز إليهم قائداً له بعسكر فهزمهم وقتلهم ثم هلك(1).

وملك بعده ابنه ماليوس ويقال إنه كان مخالفاً لآبائه في عبادة الكواكب والبقر، ويقال إنه كان موحداً على دين أجداده القدماء قبطيم ومصريم لمنام رآه، وكانت القبط تذمه لذلك ثم هلك(2).

وملك بعده ابنه حُرما ولم يمت أبوه حتى شرح له التوحيد، وأمره أن يدين به، وكان [53] على ذلك مدة حياة أبيه، ثم رجع إلى عبادة الأصنام ويقال: إنه غزا اليمن، ثم هلك.

وملك بعده ابنه كلكن وأول ما سكن رقودة ثم رجع إلى منف وعمل له ناووساً أعد فيه ما أراد من الذهب والجواهر والعقاقير وأنواع الحكم ثم غاب فلم يقفوا على أثره.

وملك بعده ابنه ماليا وكان شرهاً كثير الرّفاهية غير ناظر في الحكمة، وكان له ابن اسمه طوطيس كان يستجهل أباه، فأعمل الحيلة في قتله، وتقحم عليه وهو سكران فقتله.

وملك بعده ابنه المذكور طوطيس فكان جباراً شديداً جريّاً مهيباً والقبط تزعم أنه أول الفراعنة بمصر، وأنه فرعون إبراهيم الخليل، وأكثر القتل حتى قتل أقرباءه وبني عمه وأهل بيته وخدمه ونساءه ورؤساء الكهنة والحكماء، وكان حريصاً على الولد، فلم يرزق إلَّا بنتاً واحدة، وكانت حكيمة ذات عقل، فكانت تمنعه من كثير مما يريد، فلما رأت بغض الناس له خافت على زوال ملكهم فسمته.

---

(1) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٢٦.

(2) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٢٧.

وملكت بعده[1]. وهي حُوريا بنت طوطيس فجلست على سرير الملك ووعدت الناس بالإحسان، وخرج عليها رجل من ولد أبريت اسمه انداخس[2]، فجهزت إليه جيشاً فهزمته، ثم أراد الزواج بها، فكانت في ذلك أمور آخرها أنها استدعته لتتزوج به، فلما دخل عليها فصدت عروقه حتى نزف دمه، وقالت: دماء الملوك شفاء، ثم قطعت رأسه، وأمرت فطيف به، وهابتها الملوك، ثم اعتلت فاجتمع أهل مملكتها، وسألوها أن تملّك عليهم ملكاً بعدها[3].

فقلدت عليهم عمتها دليفة بنت مأمون[4] ثم هلكت وملكت دليفة بنت مأمون، ويقال مأموم، فأحسنت إلى الناس، ووضعت خراج سنة وخرج عليها [٥٤] خارجي اسمه أيمن خال انداخس الخارج على حوريا بنت طوطيس، وهو من أهل بيت الملك، وانتصر ببعض ملوك العمالقة فانهزم أصحابها، ومضت إلى الصعيد، فنزلت الأشمونين، وأنفذت من قدرت عليه من الجيوش لملاقاة أيمن، فتلاقوا بنواحي الفيوم، وظهروا على أيمن ثم كان معه ساحر عمل له عملاً أشفق منه أهل مصر، فمشت بينهم السفراء على مناصفة المملكة، فلما رأت دليفة القهر سمّت نفسها[5].

وملك بعدها أيمن الخارجي المذكور فتجبر، وقتل خلقاً ممن حاربه، وكان الوليد ابن دومغ العمليقي قد خرج في جيش كثيف يتنقل في البلدان، ويقهر ملوكها ليسكن ما يوافقه منها، فلما صار بالشام انتهى إليه خبر مصر، وأنّ أمرها قد صار إلى النساء، فوجه غلاماً له اسمه عَون إلى مصر ففتحها، ومولاه لا يعرف خبره، ولا يشك أنه هلك هو ومن معه لما كان يسمع عن طلسمات مصر وسحرتها، ثم بلغه خبر عون، فسار إليه وخرج عون لتلقيه، وعرّفه أنه كان قد عزم على المصير إليه، وإنما أراد تعديل البلد وإصلاحهم، فقبل قوله ودخل إلى مصر واستتب بها ملك الوليد بن دومغ العمليقي[6].

ثم سنح له أن يخرج فيقف على مصب النيل فتوجه في جيش كثيف وسار في أمم

---

(١) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ٧٠-٧١.
(٢) في مختصر عجائب الدنيا اسمه: أندلس: ٩٠.
(٣) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ٧١-٧٥.
(٤) في مختصر عجائب الدنيا اسمه: مأمور.
(٥) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ٧٦.
(٦) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ٧٧.

السودان، ومر على أرض الذهب ثم بلغ البطيحة ويقال إنه وصل إلى جبل القمر، ودخل إلى هيكل الشمس المبني هناك، وغاب أربعين سنة، وأما عون فإنه بعد غيبة الوليد بسبع سنين ادعى الملك، وأنكر أن يكون غلام الوليد، وقال: إنما أنا أخوه، وأوصى إليَّ بالملك بعده، وأسنى جوائز الناس، وجلبهم بسحره وباللين لهم فأحبهم وأحبوه [٥٥]. ولم يترك امرأة من بنات ملوك مصر حتى تزوجها، ثم رأى في منامه مولاه الوليد بن دومغ وهو يوبخه على ما فعل فما شك أنه يعود وبنى مدينة، وحصنها بالسحر، فلما قرب الوليد خرج عون بأهله، ومن معه إلى تلك المدينة، فلما دخل الوليد منف فسأل عن عون، فقالوا: فرّ منك وعرفوه أنه لا يقدر عليه بجيش، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه، ويحذره التخلف، فردّ جوابه يقول: ما على الملك مني مؤنة، وأنا عبده، ولا أتعرض إلى بلاده، وأنا في هذا الموضع أرد كل عدو يأتيه من نواحي الغرب، ولا أقدر على المصير إليه لخوفي منه، فليقرَّني الملك على حالي كأحد عماله، وأنا أوجه إليه ما يلزمني من الخراج والهدايا، ووجه إليه بأموال جليلة وجوهر نفيس، فكف عنه وأقام الوليد بمصر مستعبداً أهلها، واستباح حريمهم وأموالهم فأبغضوه وسئموا منه. ثم إنه ركب ليتصيد فألقاه فرسه في وهدةٍ فهلك[1].

ثم ملك بعده ابنه الريان وهو فرعون يوسف والقبط تسميه نهراوش، وكان ينكر فعل أبيه فأحسن السيرة وأنعم[2].

ثم ملك على الرعية رجلاً اسمه قطفير وقيل أطفين من أولاد الوزراء وهو المسمى بالعزيز فتمكن لعقله الراجح ورأيه الصائب وخلا الريان بلذاته، فقصده أبو قابوس العمليقي فأنفذ إليه الريان جيشاً كثيفاً، فأقام يحاربه ثلاث سنين ثم ظفر به العمليقي، ودخل أرض مصر، فانتبه الريان من نومه، وجمع له جمعاً كبيراً، وخرج بهم إليه ولاقاه فانهزم العمليقي واتبعه الريان إلى حدود الشام، وقيل بل بلغ الموصل ثم عاد إلى مصر[3].

وفي أيامه قدم يوسف عليه السلام مصر صغيراً، وقد تقدم ذكره فيما سلف من هذا

---

(١) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ٧٧-٨٢.

(٢) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ٨٢.

(٣) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ٨٢-٨٣.

الكتاب [٥٦] ويقال: إن الريان كان آمن على يده ثم هلك الريان[١].

وملك بعده ابنه: دريموس ويسميه أهل الأثر دارم، وكان يوسف عليه السلام خليفته كما كان مع أبيه، وذلك بعهدٍ تقدم من الريان، فشرع دريموس يخالف عادة أبيه، وكان يوسف عليه السلام يسدده، فربما قبل منه وربما خالفه، وظهر في أيامه معدن فضة على ثلاثة أيام من النيل، وركب في ليلة مقمرة مركباً صغيراً ليعدي به عرض النيل، فثارت ريح عاصفة فغرق هو ومن معه، وأصبح الناس ساكنين فيه لا يعلمون ما نزل به إلى أن وجدت جثته بشطنوف فعرف بخاتمه وبجوهر كان تقلد به، فحمل إلى منف[٢].

وملك بعده ابنه معاديوس ويسميه أهل الأثر معدان بن دارم وكثر في زمانه بنو إسرائيل فعزلهم في مكان قبلي منف، فاجتمعوا فيه وبنوا لهم معبداً كانوا يتعبدون فيه، ويتلون صحف إبراهيم عليه السلام، وعتا معاديوس وكفر وادّعى الربوبية[٣].

ثم ملك ابنه اكشامش وتغيب أبوه معاديوس وأهل الأثر تسميه كاشم بن معدان، وعَمّر اكشامش الملك مدناً كثيرة، وطالب الناس بلزوم الأعمال وإظهار الصنائع. وفي أيامه استعبدت بنو إسرائيل عن رأي وزير كان له اسمه طلما، ويقال إن أول وضع منارة الإسكندرية كان في أيامه. ثم تغيب اكشامش وبقي وزيره يدبر الملك إحدى عشرة سنة، ثم ظهر أنه كان قد سقى الملك سُماً مات به، فطالبه الناس بأن يريهم الملك، فقال لهم: إنه تغيب وعهد إلى ابنه لاطس فلم يقبلوا ذلك منه فركب الجيش بالسلاح، وأجلس لاطس على سرير الملك فصرف طلما واستخلف رجلاً اسمه [٥٧] لاهوق من ولد صا الملك، وبعث طلما عامداً على الصعيد، ثم ظلم لاطس وتجبر ومنع الناس فضول ما في أيديهم وطلب النساء وابتز كثيراً منهن وشدد في استعباد بني إسرائيل[٤].

وأما طلما فإنه لما خرج إلى الصعيد دعا إلى نفسه فجهز إليه لاطس من يحاربه فظفر طلما بمحاربه واعتقله ثم خلاه وقربه وأدخله في أصحابه فبعث لاطس قائداً آخر ثم خرج إليه لاطس فحاربه طلما في جمع من السحرة، فظفر بلاطس وقتله وسار حتى دخل منف وعاث فيها واستتب ملك طلما ويسمى أيضاً طمايرقوس وهو طلما بن

---

(١) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ٩٠.
(٢) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ٩٠.
(٣) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ٩٢.
(٤) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٢٨-١٣٠.

قومس، وتزعم القبط أنه فرعون موسى، وأما أهل الأثر فتسميه الوليد بن مصعب، وتقول هو من العمالقة، وتقول: الفراعنة سبعة أولهم طوطيس بن ماليا، ثم الوليد بن دومغ، ثم ابنه الريان بن الوليد، ثم دريموس ثم معاديوس، ثم اكشامش، ثم طلما[1].

ولما جلس طلما اضطرب عليه الناس فبذل الأموال، وسل السيف، وأرغب من أطاعه، وأرهب من عصاه، فاعتدل له الأمر وزاد الخراج في زمانه، يقال إنه بلغ سبعة وتسعين ألف ألف دينار، وهو أول من عرَّف العرفاء على الناس، وكان في صحابته من الإسرائيليين عمران أبو موسى عليه السلام، وهو أخو مزاحم لأبويه ومزاحم هو أبو آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وقد تقدم في هذا الكتاب أخبار موسى عليه السلام[2].

وأما ملوك مصر بعد غرق فرعون[3]: فأولهم، دلوكة ولها شهرة في ملوك مصر، وهي التي بنت الحائط المعروف بحائط العجوز يحيط بالديار المصرية على مكان العمارة سفلاً وعلواً، وجعلت عليه الدّيادب [58] والنظارة للإعلام بالمتجددات يرفع النيران بالليل والدخان بالنهار، وكانت ساحرة ولها أخبار مشهورة ثم هلكت.

وملك بعدها دركوش بن بلطوش[4]. ثم ملك بعده ابنه بورش ثم ملك بعده ابن نعاش ثم ملك بعده أخوه دينا بن بورش ثم ملك بعده بولطش ثم ملك بعده بولطش بن منتاكيل ثم ملك بعده ابنه مالس ثم ملك بعده يوليه بن منتاكيل وهو المسمى بفرعون الأعرج وسار في الأرض وكانت له حروب بها وغزا بني إسرائيل وأراد خراب بيت المقدس ثم هلك، وملك بعده ونيوس بن مرينوس ثم هلك وملك بعده قومس بن نعاش ثم هلك.

وملك بعده ميكابيل وكانت له حروب مع العرب وهو الذي غزاه بخت نصر فقتله، وقتل رجاله، وخرب أرض مصر، وقيل: إنها خربت مدة أربعين سنة حتى يقال إنه لم يبق للنساء رجال من ذوي نسبهم وأنهن عَلّين عليهم العبيد فكل القبط لأولاد زنوة من ذلك اليوم.

---

(١) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٣٠-١٣٦.

(٢) ابن وصيف شاه، مختصر عجائب الدنيا: ١٣٥.

(٣) ما ورد هنا عن ملوك مصر بعد فرعون موسى منقول حرفياً عن المسعودي، مروج الذهب: ١/٣٦٧-٣٦٨، ٣٧٣-٣٧٤.

(٤) اسمه في مروج الذهب: دركوس بن بلوطس.

ثم غلبت الفرس على مصر ثم كانت بين فارس والروم حروب كثيرة وصار أهل مصر يؤدون خراجين خراجاً لفارس وخراجاً للروم ثم انجلت الفرس عن مصر والشام لأمرٍ حدث في بلادهم، فغلبت الروم على مصر والشام، وأظهروا النصرانية واستمر ذلك إلى أن جاء الله بالإسلام، وكان المقوقس في سلطان هرقل ينوب عنه، ولم تزل مصر والشام في أيدي ملوك الروم إلى أن فتحت في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1].

وعدد [58] ملوك مصر إلى آخر أيام الفراعنة اثنان وثلاثون ملكاً وملكة بمن فيهم من العمالقة خارجاً عمن كان قبل الطوفان، وكان على ما قيل مدة ملكهم لها من أول الفراعنة ومن بعدهم والعماليق والفرس والروم واليونان ألفي سنة وثلاثمائة سنة والله أعلم[2].

ذكر أخبار ملوك الفرس:

وقد اختلف في نسب الفرس، فقال هشام بن محمد: هم من ولد فارس بن سابور بن سام بن نوح، وقيل إنه من ولد هدرم بن أرفخشد بن سام بن نوح. وزعم آخر أنهم من ولد بوّان بن ارّان بن الأسود بن سام بن نوح وإلى بوان هذا ينسب شعب بوّان.

وزعم آخر أنهم أولاد رشاور غوشي بنات لوط عليه السلام. وزعم آخر أنهم من ولد يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم. ومن الناس من يقول إنهم من ولد إيران بن أفريدون. ولا خلاف بين الفرس أنهم من ولد كيومرت. وتقول الفرس هو الأب الأول وتقول هو آدم عليه السلام. ويقول آخرون منهم بل هو ولد آدم لصلبه[3].

قلت: أقرب الأشياء أنهم من ولد نوح عليه السلام وعلى هذا أكثر النسابين والله أعلم.

فأما دولهم[4] فمن الناس من زعم أنهم أربعة أصناف:

---

(1) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٣٧٤.

(2) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٣٧٥.

(3) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٤٤-٢٤٥.

(4) هذا الفصل منقول بالكامل عن أبي الفداء، المختصر: ١/ ٦٩-٩٤.

الأول: من كيومرت إلى أفريدون وهم الجرهانية وقيل الجهدانية.

والثاني: من كيان إلى دارا بن دارا وهم الكيانية.

والثالث: ملوك الطوائف.

والرابع: الساسانية.

ومن الناس من جعلهم صنفين [٦٠] الأول: من كيومرت إلى دارا بن دارا والثاني من أردشير بن بابك القائم بجمع الملك بعد ملوك الطوائف إلى يزدجرد بن شهريار المقتول في خلافة أمير المؤمنين عثمان ﷺ ومدة ملكهم ثلاثة آلاف وثلاثمائة وست وعشرون سنة.

فالفرس الأول: أولهم كيومرت وقيل جيومرت قالوا: هو آدم، وقالوا: هو ابن آدم لصلبه وقالوا: هو ولد لأود بن إرم بن سام بن نوح، وقيل: إنه أول ملك ملك من بني آدم، وكان ينزل أرض اصطخر من بلاد فارس حتى مات. وملك بعده ابنه[١]. ثم هلك وملك بعده ابنه أوشهنج وقيل: بل هو أخوه، وإنه أوشهنج بن فيزداد بن كيومرت، وقيل أوسهنج بن فيسداد بن كيومرت، قالوا: ونزل الهند ونظم الملك ورتب الأعمال ثم مات وملك بعده طهومرت وقيل طمهورت بن يونجهان بن أوشهنج، وقيل: بل بينهما عدة آباء، وكان ينزل بنيسابور، ويقال إنه أول من كتب بالفارسية، وظهر في أيامه يوداسف ودعا إلى دين الصابئة ثم مات، وملك بعده أخوه جمشيد وتفسيره سيد الشعاع، وسمي بذلك لوضاءة وجهه، ولما ملك صنف الناس طبقات ووظف الوظائف واتخذ أربعة خواتم خاتماً للحرب وللشرط وكتب عليه الأناة وخاتماً للخراج وجباية الأموال وكتب عليه العمارة، وخاتماً للبريد وكتب عليه الوحي وخاتماً للمظالم وكتب عليه العدل، وبقيت هذه الرسوم إلى أن جاء الإسلام، ثم طالت أيامه وثقلت وطأته، ثم انهمك على اللذات وترك ما لابد للملك من أنه يتولاه بنفسه فخرج عليه بيوراسب وكان من جملة عماله فاستصلح [٦١] الناس لنفسه، وجمعهم عليه ثم قصد جمشيد وظفر به ونشره بمنشار ثم ملك بعد جمشيد بيوراسب ويسميه العرب الضحاك[٢].

قالوا: وهو بيوراسب بن أووند اسف بن معاذ بن طوخ بن فيروال بن شاغل بن

---

(١) بياض في الأصل بقدر كلمة.

(٢) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٧٠.

فرس بن كيومرت، وسمي الدّهاك لكثرة ما دهك من العالم فاستخف فقيل الضحاك، وزعم قوم أنه نمرود وقيل: بل كان من عمال بيوراسب ويقال إنه ملك ألف سنة فظهر منه خبث شديد وعدوان زائد وذبح أبناء الناس لسلعتين كانتا على كتفيه وذبح فيهم ابنين لرجل حدّاد من أهل أصبهان اسمه كابي، واحداً بعد واحد فجزع لذلك أبوهما وبلغ على ولديه من الحزن مبلغاً عظيماً فقام فأخذ عصاً فعلق عليها النطع الذي كان يفرشه لعمل الحدادة ويقال: كان جلد أسدٍ ويقال: بل كان جلد نمر ودعا الناس إلى مجاهدة بيوراسب فحمل الناس ما كانوا فيه من جهد البلاء بملك بيوراسب على متابعة كابي في الخروج عليه وقصد بمن معه بيوراسب فلما أشرف عليه هرب بيوراسب ويقال إنه اتبعه وقيده وجعله بجبل دیناوند وحكاياته مشهورة وللناس فيه أقوال كثيرة وقد تقدم ذكره في هذا الكتاب. ثم قصد الناس تمليك كابي فامتنع من ذلك وقال: بل التمسوا رجلاً من بيت الملك فالتمسوه فوجدوه أفريدون وكان قد استخفى من بيوراسب فملكوه عليهم وصار كابي من جملة أعوانه واستقر في الملك أفريدون بن أتقيان وتبرك الفرس بذلك العلم الكابياني فحملوه وهو المسمى بالدرفس وقد تقدم ذكره[1].

ولما استقل أفريدون تبع بيوراسب فأدركه عند جبل دیناوند فقتله وهو الأقرب، وأحسن أفريدون السيرة ورد المظالم [٦١] وبعض الفرس تزعم أن أفريدون هو إبراهيم الخليل عليه السلام وأن بيوراسب هو النمرود كما تقدم وليس بشيء وسمي كي أفريدون وهو أول من تسمى كي وهي كلمة أراد بها التنزيه وتعني الروحاني أو المتصل بالروحانية، ويقال إنه أول من ذلل الفيلة، وقاتل بها الأعداء والهند تمنع هذا وتكذب قائله، وكان لأفريدون ثلاثة أولاد هم: سلم وطوخ وإيرج وقيل: في إيرج إن اسمه إيوان فخشي أفريدون خلافهم بعده فقسم الملك بينهم فجعل لسلم الروم والشام وما يليه إلى نهاية المغرب، وجعل لطوخ الترك والصين وما يليهما وجعل لإيرج العراق وفارس وخراسان وما يليهما إلى نهاية الهند[2].

وفي ذلك يقول الشاعر[3]: [الرمل]

وقسمنا ملكنا في أرضنا قسمة اللّحم على ظهر الوضم

(١) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٧٢.

(٢) الطبري، تاريخ: ٢١٢-٢١٣.

(٣) الشعر في المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٣٢.

فجعلنا الروم والشام إلى مغرب الشمس إلى الملك سلم
ولطوخ جعل الترك له وبلاد الصين يحويها القسم
ولإيران أخذنا عنوة فارس الملك وفزنا بالنعم

فلما مات أفريدون وثب سلم وطوخ بأخيهما إيرج وهو إيران فقتلاه وملكا الأرض بينهما، ثم نشأ لإيرج بن أفريدون ابن يقال له منوجهر، وقيل: إنما هو ابن بنت افريدون على ملك أبيه إيران ونزعه واستقل منوجهر المذكور بملك أبيه العراق وفارس وخراسان وجرت بينه وبين ابن طوخ ملك الترك حُروب ثم ظفر منوجهر وأخذ ثأره منهما[1].

ويقال إن في أيامه كان ظهور موسى عليه السلام. ثم مات وغلب ملك الترك على إقليم بابل اثنتي عشرة سنة [٦٣] وأكثر الفساد وخرب البلاد وطم الأنهار ودفن القنى وقحط الناس[2].

ثم ظهر زو بن طهماسب فأخرجه عن بلاد فارس إلى تركستان، وملك زو بن طهماسب وقيل اسمه زد، وقيل: زاغ، وقيل: زاب، وقيل: زاسب وهم من ولد منوجهر وبينه وبين منوجهر أبا، فلم الشعث وعمر ما دثر ويقال إنه أول من نوع الأطعمة وقسم الغنائم. ثم ملك بعده كرشاسب بن اشباس وأمه من سبط بنيامين بن يعقوب عليه السلام، وكان مسكنه ببابل وبعض المؤرخين لم تذكره[3].

وقال ابن مسكويه[4]: إنه كان وزيراً لزو وأنه من ولد طوخ بن أفريدون.

ثم ملك بعده كيقباذ بن زو وكان إقامته ببلخ وملك بعده ابن ابنه كيكاوس بن كييه ابن كيقباذ، ولما ملك سكن ببلخ وشدد على أعدائه، وولد له ابن لم ير مثله في عصره حسناً، وتمام خلق فسماه سياوخش وضمه إلى رستم بن دستان، فشغفت به امرأة أبيه، وانكشف أبوه على أمره معها، فخاف عاقبة أبيه فتلطف له رستم حتى جهزه أبوه إلى حرب أفراسياب ملك الترك فلما لاقاه طلب سياوخش منه الأمان، ولحق بأفراسياب فأكرمه وزوجه بابنته ثم بدا لأفراسياب فقتله وكانت ابنته قد اشتملت على حمل من

---

(١) الطبري، تاريخ، ١/ ٢١٤.
(٢) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٣٣.
(٣) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٧٣.
(٤) مسكويه، تجارب الأمم: ١/ ٧٠.

سياوخش فأراد إسقاطه وتحيل لذلك فما قدر، ثم وضعت ولداً فسمته كيخسرو واستتر أمر الولد ثم احتال جده لأبيه كيكاوس حتى أخرج ذلك الصبي وأمه من بلاد الترك إليه[1].

وللفرس في أمر كيكاوس خرافات كثيرة فمنهم من يزعم أنه سليمان بن داود عليه السلام، ومنهم من يقول إنه صعد إلى السماء ومنهم من يقول إن الشياطين مسخته، وأما جمهور النقل فهو أن كيكاوس احتجب وآثر الخلوة ففسد عليه ملكه وغزته الملوك ثم مات[2].

فملك بعده [٦٤] ابن ابنه كيخسرو بن سياوخش بن كيكاوس، وفي أيامه كان سليمان عليه السلام وأغزى جنوده أفراسياب واقتتلا، وغلب كيخسرو على أفراسياب، وقتل إصفهده المرشح للملك بعده، وجماعة من إخوته وأولاده، وأسر برون قاتل سياوخش بيده ثم أتى كيخسرو موضع الملحمة وتلقاه مقدم جيشه جودرز فقتل قاتل أبيه ثم أتى الخبر إلى أفراسياب بوصول كيخسرو فخرج إليه في جيوش عظيمة فهابه كيخسرو وظن أنه لا قبل له به ثم تلاقيا ودام القتال بينهما أربعة أيام فقتل مقدم عسكر أفراسياب وكانت الدائرة على الترك وانهزم أفراسياب واتبعه كيخسرو حتى أدركه بأذربيجان وظفر به وأوثقه بالحديد ووبخه على فعله بأبيه ثم ذبحه على ما يقال. ويقال إنه لم يظفر به وأن أفراسياب إنما مات بعد ذلك[3].

ثم رجع كيخسرو وتزهد وأقام في الملك لهراسف وهو لهراسف بن ينوحى بن كمس وهو ابن أخي كيكاوس، وهو ممن تلقب بكي، وهو باني بلخ، وكان بعيد الهمة تؤدي إليه الملوك المجاورة الأتاوة، ثم اعتزل الملك ونصب ابنه بشتاسف وهو ممن تلقب بكي وكان بخت نصر من عماله أبيه ثم من عماله وحديثه مشهور لا حاجة بنا إلى ذكره وعمر بشتاسف مدينة نسا واعتنى ببسط ديوان الرسائل، وزاد في تقنين الدواوين[4].

وظهر في أيامه زرادشت وأراده على قبول دينه، فامتنع ثم قبل دينه، وأتاه بكتاب

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم: ١/ ٧٣-٧٤.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم: ١/ ٧٥.

(٣) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٧٤.

(٤) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٣٥.

الزند فوضعه باصطخر، ووكل به الهرابذة، ومنع من تعليمه العامة وبنى في حدوده المصاقبة للهند بيوتاً للنيران، وهادن ملك الترك، ثم وقع بينهما [٦٥] وخرجا للقتال واقتتلا، فكانت الدائرة على الترك ثم نشأ ابنه اسفنديار وغزا الترك وأنكى فيهم وعظم قدر اسفنديار وعلا صيته[١].

ثم قتل ولم يستقل بالملك، وإنما ملك بعد بشتاسف ابن ابنه أردشير بهمن بن اسفنديار بن بشتاسف وتفسير بهمن بالعربية الحسن النية، واتسعت ممالكه ونفذت أوامره، وبنى بهمن بناءً بالسواد، وكان كريماً متواضعاً، وكانت تخرج كتبه: من أردشير بهمن عبد الله وخادم الله والسائس لأمركم. ويقال إنه غزا رومية الداخلة[٢]. ومن المؤرخين من يقول إنه هو الذي جهز بخت نصر.

وملك بعده ابنته جماز زهرازاد وهي المسماة جماني أم ابنه دارا الأكبر وكانت جماني بنت أردشير بهمن قد حملت من أبيها، فدبرت الملك إلى أن كبر ابنها[٣].

ثم ملك وهو دارا الأكبر ونزل بابل، وبنى دارابجرد، ورتب دواب البريد[٤].

ثم ملك بعده ابنه دارا بن دارا وكان حقوداً جباراً، وغزاه الإسكندر بن فيلبس الإسكندر اليوناني، وخان دارا أصحابه فقتلوه، وخبره معروف، وتقدمت إليه الإشارة، وسنذكره إن شاء الله عند ذكر الإسكندر بأبسط من هذه العبارة، ثم استقل الإسكندر بملك فارس مع الروم ثم ملك ملوك الطوائف برأي أرسطو حتى لا تجتمع لهم كلمة، فلما اقتسموا الممالك تفرقت كلمتهم فأمنت الروم غائلتهم[٥].

ذكر ملوك الطوائف[٦]:

فمنهم آشك بن دارا الأكبر وكانوا يعظمونه ويبدؤون باسمه إذا كتبوا إليه إجلالاً له من غير طاعة له، وكان مقيماً بسواد العراق وغلب على عامل الروم فعظمته ملوك الطوائف لهذا[٧].

---

(١) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٧٧.
(٢) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٧٧.
(٣) أبو الفداء، المختصر: ١/ ٧٧.
(٤) مسكويه، تجارب الأمم: ١/ ٩٣.
(٥) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٣٩.
(٦) هذا الفصل منقول عن أبي الفداء، المختصر: ١/ ٧٩.
(٧) مسكويه، تجارب الأمم: ١/ ١٠٥.

ومنهم جوذّرز بن أشكان وهو الذي غزا بني إسرائيل المرة [٦٦] الثانية بعد قتلهم يحيى بن زكريا عليه السلام[١].

وكان من سنّة الفرس بعد الإسكندر أن تعظم من ملك بلاد الجبل وهم الأشغانية، وأولهم: أشك بن أشكان ثم ملك بعده أخوه سابور وفي أيامه ظهر المسيح عليه السلام، ثم ملك جوذرز بن اشغانا الأكبر. ثم ملك بيري ثم ملك جوذرز ثم ملك كسرى ثم ملك بلاش ثم ملك أردشير بن بابك، وهو أول ملوك الساسانية، وهو الذي جمع الملك وسيأتي ذكره[٢].

وفي أيام ملوك الطوائف اصطلمت طسم وجديس على ما [هو] مذكور. وكانت مدة ملوك الطوائف إلى أن وثب أردشير وجمع الملك مائتي سنة وستاً وستين سنة[٣].

ذكر أخبار الملوك الساسانية:

وهم الفرس الآخر وأول من ملك منهم هو: أردشير بن بابك الأصغر، وكان من أعظم ملوك الطوائف، ووثب على الملك، واستولى عليه، وكتب إلى ملوك الطوائف كتاباً مضمونه: بسم الله الرحمن الرحيم: من أردشير المستأثر دونه بحقه المغلوب على تراث آبائه الداعي إلى قوام دين الله وسنة المستنصر بالله الذي وعد المحققين بالفلج، وجعل لهم العواقب إلى من بلغه كتابي من ملوك الطوائف، سلام الله عليكم بقدر ما تستوجبون بمعرفة الحق وإنكار الباطل والجور، ودعاهم إلى الطاعة، فمنهم من أقرّ له بالطاعة، ومنهم من تربص حتى قدم عليه، ومنهم من عصاه فكانت عاقبة أمره إلى القتل والبوار، حتى استوسق له الأمر[٤].

وكانت الأشغانية ممن امتنعت، فحلف أن لا يبقي منهم أحداً فلما غلب عليهم وَجَدَ فيهم ابنة ملكهم، وكانت بارعة الجمال وافرة العقل، فقال لها: أنت من بنات ملوكهم؟ فقالت: بل من خدمهم، فاصطفاها لنفسه فحملت منه، فلما حملت [٦٧] منه شهرت نفسها، وقالت: أنا ابنة ملكهم، فأمر شيخاً يثق به اسمه جندبان[٥] يودعها بطن

---

(١) مسكويه، تجارب الأمم: ١/ ١٠٥.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم: ١/ ١٠٦.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم: ١/ ١٠٦، ١١٨.

(٤) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٥٠.

(٥) رسم اسمه في الطبري: مرجبذا أبرسام.

الأرض إشارة إلى قتلها. فقالت له: أيها الشيخ إني قد حملت من الملك فلا تبطل زرعه، فعمل لها سرباً تحت الأرض وجعلها فيه، ثم عمد إلى مذاكيره فجبها ووضعها في حُقّ وختم عليه ورجع إلى الملك، وقال: امتثلت أمر الملك، ودفع إليه الحق، فقال: ما هذا؟ فقال: إن لي فيه وديعة، وأحب أن يكون عند الملك إلى أن يحتاج إليها، فأخذ الملك الحُق وأمر بالاحتفاظ به وأقامت الجارية في السِّرب حتى وضعت ولداً ذكراً فسماه الشيخ شاه بوراي ولد الملك وعمّر أردشير بن بابك دهراً ولم يولد له فرآه الشيخ حزيناً فقال له: ما هذا الحزن سَرَّك الله أيها الملك وعمرك، فقال: من أجل أنه ليس لي ولد يرث ملكي، فقال له الشيخ: إن لك عندي ولداً طيباً فادع بالحق، فأمر به فأحضر وفض ختمه، فإذا فيه مذاكير الشيخ وكان فيه الحديث أنه جب نفسه حتى لا يجد عائب إلى عيبه سبيلاً، فسر أردشير بذلك، وأمر بإحضار الغلام بين مائة غلام من أقرانه في مثل شبهه وزيّه، ففعل ذلك ثم دخلوا عليه فعرفه أردشير من بينهم وقبلته نفسه، ثم أمرهم أن يلعبوا بالصوالج في حجرة الإيوان، فدخلت الكرة الإيوان فأحجمت الغلمان عن دخوله، ولم يحجم سابور بل دخل وأخذ الكرة، فقال أردشير: هذا ابني حقاً ثم أمر فعقد له التاج(١).

ثم هلك وملك بعده ابنه شابور والناس تقول سابور بالسين المهملة، والعرب تسميه سابور الجنود، وهو الذي حصر الضَّيْزن وملك الحصن وهو من مباني العرب المشهورة(٢).

وفي أيامه ظهر ماني الزنديق تلميذ فادرون [٦٨] ثم هلك(٣).

وملك بعده ابنه هرمز وتسمى بهرمز البطل ويسمى بهرمز الجريء وبنى هو رام هرمز من كور الأهواز. ثم هلك(٤).

وملك بعده ابنه بهرام، وأجاب ماني الزنديق إلى القول بالمنوية احتيالاً عليه حتى أحضر ماني دعاته، فلما اجتمعوا قتلهم، وقتل ماني وسلخه، وبهذا ماني قيل الزنادقة لكل مارق في الدين لأنهم كانوا إذا أتاهم أحد زيادة على كتاب الزند سموه زندياً

---

(١) الطبري، تاريخ: ٢/ ٤٦.
(٢) الطبري، تاريخ: ٢/ ٤٥، ٤٧.
(٣) الطبري، تاريخ: ٢/ ٥٠.
(٤) الطبري، تاريخ: ٢/ ٥٣.

فأطلقت العرب هذا الاسم على من اعتقد العدم وأنكر المعاد[1].

ثم هلك وملك بعده ابنه بهرام بن بهرام وكان قد لعب في أول ملكه ثم صلح ثم ملك بعده ابنه بهرام بن بهرام بن بهرام وكان يُدعى شكان شاه وهي شاه شاه أي ملك الملوك. ثم هلك وملك بعده أخوه نرسي بن بهرام بن بهرام ثم هلك وملك بعده ابنه هرمز بن نرسي وكان فظّاً إلا أنه يرفق بالرعية[2].

ثم هلك وملك بعده ابنه سابور الذي يقال له ذو الأكتاف، وكان هرمز قد تركه حملاً فعقد له التاج وهو في بطن أمه، فقامت به الوزراء فطمعت الملوك المجاورة في مملكته، وكانت ملوك العرب أشدهم طمعاً لقرب المجاور واستولت إياد بن نزار على سواد العراق، وقيل لها طبق لإطباقها على البلاد، وكان ملكها الحارث بن الأغر الإيادي، فلما تزعزع سابور بعث الوزير ليعرض عليه الأمور، فلما أكمل ست عشرة سنة غزا العرب، وكان في جيشه رجل منهم اسمه لقيط، فكتب إلى إياد ينذرهم[3]: [الوافر]

سلام في الصحيفة من لقيط	إلى من بالجزيرة من إياد
فإن الليث يأتيكم دلافاً	فلا يحبسكم سوق النقاد [69]
أتاكم منهم سبعون ألفاً	يزجون المكاتب كالجراد

فلم يعبأوا بكتابه فأتاهم سابور وظفر بهم، وعمهم بالفيل، ولم يفلت منهم إلا نفر لحقوا بأرض وبار، وخلع سابور أكتاف كثير منهم، فقالوا: ذا الأكتاف[4].

ثم سار سابور إلى الروم ففتح مدناً ثم دخل متنكراً إلى القسطنطينية، فصادف وليمة لقيصر فدخل في جملة الناس، وجلس على بعض موائدهم، وكان قيصر قد أمر مصوراً أتى عسكر سابور فرآه وصوره، وأتى بالصورة إلى قيصر فأمر بها فصورت على آنية الشراب، فأتى بعض الخدم بكأس منها، ثم جعل ينظر إلى سابور، وإلى الصورة التي على الكأس فرآها تتشاكل، فأعلم قيصراً بالخبر فأحضره وسأله عن خبره، فقال: أنا من أساورة سابور، وهربت منه لأمر خفته، فقدمه إلى السيف، فأقر بنفسه فجعل في

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٥٨.

(٢) الطبري، تاريخ: ٢/ ٥٤.

(٣) الشعر في المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٦٣.

(٤) الطبري، تاريخ: ٢/ ٥٥، المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٦٣.

جلد بقرة، وسار قيصر في جنوده حتى توسط العراق وشن الغارات وعقر النخل وانتهى إلى مدينة سابور وقد تحصن بها وجوه فارس فنزل بها، ثم حضر عيد النصارى فأغفل المتوكلون بسابور أمره، وأخذ منه الشراب، وكان بالقرب منه أسارى من الفرس، فكلمهم فحل بعضهم بعضاً ثم صبوا عليه زقاق الزيت فلان عليه الجلد وتخلص، وأتى المدينة فكلمهم فرفعوه بالحبال ففتح خزائن السلاح، وخرج على الروم فكبسهم فانهزموا، وأتى بقيصر أسيراً فأبقى عليه، وضم إليه من أُسر من أصحابه وأخذهم بغرس الزيتون بالعراق بدلاً عما عقروا من النخل ففعلوا، ولم يكن قبلها بالعراق زيتون[١].

وفي ذلك يقول بعض شعراء الفرس[٢]: [٧٠] [البسيط]

وكان سابور صَفْواً في أرومته	اختير منها فأضحى خير مختار
إذ كان بالروم جاسوساً يطوف بها	وليس يحفل فيها كيد مكّار
فاستأسروه وكانت كبوة عجباً	وزلة سبقت من غير عَثَّار
وأصبح الملك الرومي مغتزياً	أرض العراق على هول وأخطار
فراطن الفرس بالأبواب فافترقوا	كما تجاوب أسد الغاب بالغار
فجذ بالسيف أصل الروم فامتحقوا	لله درك من طلاب أوتار
إذ يغرسون من الزيتون ما عضدوا	من النخيل وما حقّوا بمنشار

وهذا سابور هو الذي بنى الإيوان المعروف بإيوان كسرى وبنى السوس والكرج، وجدد بناء نيسابور، وبنى بالسواد مدينة نرجس سابور، وبنى الأنبار، ومدائن أخرى بالسند وسجستان، ونقل طبيباً من الهند فأسكنه السوس فورث طبّه أهل السوس[٣].

ثم هلك وملك بعده أخوه أردشير بن هرمز، وكان شريراً فخلع، وملك بعده ابن أخيه سابور وهو سابور بن سابور، وكانت له حروب مع إياد وغيرها، ثم سقط عليه فسطاط فمات، وملك بعده أخوه بهرام بن سابور وهو الملقب كرمان شاه لأنّ أباه ولاه كرمان، ثم هلك[٤].

(١) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٦٥-٢٦٧.
(٢) الشعر في المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٦٧.
(٣) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٦٧.
(٤) الطبري، تاريخ: ٢/ ٦٢.

وملك بعده ابنه يزدجرد بن بهرام ويعرف بالأثيم وكان ذميم الصفات، وزعم الفرس أنه كان ذات يوم مطلعاً من قصره إذ رأى فرساً عائداً لم ير مثله قط في الخيل حتى وقف على بابه، فعجب الناس له، فأمر يزدجرد أن يسرج ويلجم ويدخل عليه فحاول السُّوّاس ذلك منه فعجزوا عنه فخرج يزدجرد وتقدم إليه فأسرجه [٧١] وألجمه ولببه وهو لا يتحرك، فلما رفع ذنبه ليثفره رمحه على فؤاده فهلك ثم لم ير للفرس بعد ذلك[١].

وكان ابنه بهرام جور في حجر النعمان بن المنذر بن ماء السماء، فعدل عنه الفرس لكراهيتهم ركبه، وملكوا عليه كسرى من عترة ساسان، فاستعان بهرام جور بالعرب، وأرسل يعلم للفرس بإنكاره لسيرة أبيه، ووعدهم بإصلاح ما فسد، وأنه إن مضى لدسته ولم يف لهم تبرأ من الملك طائعاً، فمال إليه قوم وبقيت طائفة مع كسرى، فأجمعوا رأيهم أن يضعوا التاج على التخت بين أسدين مشبلين، فمن تناوله فهو الملك، وكان بهرام جور شجاعاً بطلاً فلما وقف هو وكسرى إلى جانب الأسدين هابهما كسرى فوثب بهرام جور فجازهما، ولبس التاج وصعد التخت وجازهما[٢].

وزعم الفرس أنه لما ركب ظهر الأسد، عصر جبينه بفخذيه، فلما تمكن منه قبض على أذنيه، ولم يزل يضرب رأس الأسد رأس الآخر حتى قتلهما وهذا بعيد وقوعه[٣].

وملك بهرام جور بن يزدجرد، فأحسن السيرة، وغبر على هذا زماناً ثم آثر اللهو، وكثرت خلواته بأصحاب الملاهي، فطمع من حوله من الملوك فيه وخرج إلى خاقان ملك الترك في مائتين وخمسين ألفاً، فهال الفرس جمعهم فدخل عليه عظماء دولته ونبهوه، فبقي يجيب القوم بأن يقول: الله ربنا قوي ونحن أولياؤه، ثم أقبل على ما هو من اللهو والصيد مُدلاً ببأسه، ثم أظهر أنه يريد أذربيجان ليتنسك في بيت نارها، ويتوجه منها إلى أرمينية يتصيد في آجامها، وسار في سبعة من عظماء الفرس أهل البيوتات، وثلاثمائة من رابطته ذوي بأس وشدة، فما شك الناس أنه هرب من خاقان [٧٢] واهتمت الفرس ثم أرسله خاقان، وبذل الطاعة له، وتقرر الإتاوة عليهم، وسمع

---

(١) الطبري، تاريخ: ٢/ ٦٣.

(٢) الطبري، تاريخ: ٢/ ٦٨-٧٥.

(٣) الطبري، تاريخ: ٢/ ٧٤.

بذلك خاقان فاطمأن، وسار بهرام جور مخفًا، وقارب خاقان من حيث لا يشعر به وبيَّته، وهجم عليه فقتله بيده، وعلمت الأتراك بذلك فانهزمت لا يلوون على شيء، فأكثر بهرام جور فيهم القتل وأمعن في طلبهم وغنم غنائم لم يسمع بمثلها، وكان مما غنمه تاج خاقان وإكليله، وغلب على بلاد الترك، وعاد بما غنم ثم لم يسمع بمثلها وكتب إلى أهله بملكه يعلمهم بما حصل له على قلة من كان معه[1].

وقال سابور وكان يتكلم بلغات كثيرة منها العربية[2]: [الطويل]

أقول له لما فضضت جموعه ... كأنك لم تسمع بصولات بهرام

وأنني حامي مُلْكِ فارس كلها ... وما خير ملك لا يكون له حامي

ومن شعره[3]: [الوافر]

لقد علم الأنام بكل أرض ... بأنهمو قَدَ اضحوا لي عبيدا

ملكت ملوكهم وقهرت منهم ... عزيزهم المسوَّد والمسودا

فتلك أسودهم تبغي حذاري ... وترهب من مخافتي الورودا

وكنت إذا تشاوس ملك أرض ... عبأت له الكتائب والجنودا

فتعطيني المقادة أو أوافي ... به يشكو السلاسل والقيودا

ثم بعث بهرام جور أحد قواده إلى ما وراء النهر فغزاهم فأقروا له بالطاعة وأداء الجزية، ثم إنه أسقط خراج بلاده ثلاث سنين، وما كان قد تأخر من قسط تلك السنة، وهو سبعون ألف ألف درهم، وفرق في أهل البيوت والأحساب عشرين ألف ألف درهم ونحل بيت النار بأذربيجان جميع ما غنمه من الترك من اليواقيت والجواهر والتاج والإكليل[4].

ثم دخل الهند منكراً، وحضر بين يدي [٧٣] ملكه، وهو لا يعرفه، وأظهر قدامه عجباً من شجاعته في حرب كانت قامت بين ملك الهند وبين عدوٍّ له ثم عرّفه بنفسه فزوجه ابنته وأقطعه السند ومكران والديبل، وأشهد له بذلك، ثم كان خراجها يحمل

---

(١) الطبري، تاريخ: ٢/ ٧٥-٧٩.
(٢) الشعر في المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٧٠.
(٣) الشعر في المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٧٠.
(٤) الطبري، تاريخ: ٢/ ٧٧-٧٨.

إليه ثم أغزى قائداً له القسطنطينية فدخلها وهادن ملك الروم على إتاوة قررها عليه[١].

ثم دخل بهرام جور اليمن، وجاز إلى بلاد السودان، فأوقع بهم، ثم عاد إلى مملكته ثم توجه إلى الصيد، وشدّ على حمار وحش، وأمعن في طلبه فارتطم فرسه به في ماء سبخة فغرق، وتوجهت أمه وأنفقت مالاً عظيماً على إخراجه فما قدرت[٢].

وملك بعده ابنه يزدجرد وسار بسيرة أبيه. ثم هلك[٣].

فملك ابنه هرمز، وقهر أخاه فيروز، وخرج فيروز هارباً منه، فاستنجد بملك الهياطلة، فجاء إليه بجيش طخارستان وطوائف خراسان وقاتله وظفر به فحبسه[٤].

وملك فيروز بن يزدجرد وأظهر العدل، وكان يتدين إلَّا أنه توالى القحط في زمانه سبع سنين، فأحسن فيها إلى الناس، وقسم فيهم بيوت الأموال حتى يقال إنه لم يهلك من رعيته في تلك السنين من المجاعة إلَّا رجل واحد، ثم أغيث الناس في السنة الثامنة، فأخذ في غزو أعدائه، ثم غزا الهياطلة لأمور نقمها عليهم، منها أنهم كانوا يفعلون فعل قوم لوط، واعملوا حيلة اغتر بها فيروز فدخل إلى مفاوز معطشة، فهلك أكثر من معه ثم صالح ملك الهياطلة ثم غدر وقصدهم فخرجوا إليه ثم احتفروا خندقاً عميقاً وغطوه بخشب ضعيف، وألقوا عليه التراب ثم ارتحلوا عنه غير بعيد، فلما مروا عليه تردى فيروز وعامة جنوده في الخندق فهلكوا[٥] [٧٤].

وملك بعده ابنه بلاش وكان كثير العمارة ثم هلك[٦].

وملك بعده أخوه قباذ بن فيروز وكان قد سار يستنصر بخاقان على أخيه، ومرّ بقرية فتزوج فيها بابنة رجل من الأساورة، فحملت منه بأنوشروان، فلما عاد وملك أتى بها وبابنه ففرح بهما وبنى مدناً منها حلوان[٧].

وظهر في أيامه مزدق تقال بالقاف، وتقال بالكاف و تفسيره جديد الملك، وإليه

---

(١) الطبري، تاريخ: ٢/ ٧٩.
(٢) الطبري، تاريخ: ٢/ ٨٠-٨١.
(٣) الطبري، تاريخ: ٢/ ٨١.
(٤) الطبري، تاريخ: ٢/ ٨٢.
(٥) الطبري، تاريخ: ٢/ ٨٤-٨٧.
(٦) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٧٢.
(٧) الطبري، تاريخ: ٢/ ٩٢.

تضاف المزدقية، ويقال لهم العدليّة، وتبعه قباذ الملك، وكان قول مزدق: بأن لا تملك الفضول في النساء والأموال، فثار معه السَّفلة حتى كانوا يدخلون معه على الرجل في داره فيغلبونه على ما فيها من ماله ونسائه، وعمَّ الضرر، واجتمعت الفرس على خلع قباذ فخلعوه وملكوا عليهم جاماسف بن فيروز، فحبس أخاه قباذ، ثم تحيل قباذ حتى هرب، ولحق بملك الهياطلة يستنجده[1].

ويقال إنه في هذه المرة تزوج بأم أنوشروان بارشهر وهذا خلاف القول الأول، وأقام قباذ ست سنين عند ملك الهياطلة، ثم عاد قباذ بن فيروز المذكور آنفاً بجيوش واستتب له الملك، ووجد عظيماً من الفرس اسمه ابن ساجورا قد قتل مزدق، فقتله به، وقيل: إنما قتل مزدق أنوشروان فيما بعد. ثم غزا قباذ الروم وفتح آمد ثم أدبر ملكه لسوء معتقده[2].

ووقع بينه وبين الحارث بن عمرو الكندي، وكان الحارث قد قتل النعمان وانتقل إليه ملكه، فبعث إلى تبع باليمن وأطمعه في ملك الفرس، فخرج إليه وشق نهر الحيرة، ونزل عليه، ووجه ابن أخيه شمر ذا الجناح إلى قباذ فهزمه شمر ذو الجناح إلى الري ثم أدركه فقتله[3].

وملك بعده [٧٥] ابنه كسرى أنوشروان، وكان من أشهر ملوكهم، وكان وافر العدل، جيد الرأي، دقيق النظر، فجدد سيرة أردشير، وعمل بها، وقتل المانوية، وثبت المجوسية الأولى[4].

وولد في أيامه سيدنا رسول الله ﷺ وقال: ولدت في زمن الملك العادل وقد تقدم ذكر ذلك وأحوال أنوشروان مشهورة فلهذا اختصرناها، ثم هلك[5].

وملك بعده ابنه هرمز، وكان جميل السيرة، محمود الأثر وآل أمره إلى أن خلع وسمل، وكان قد خرج عليه بهرام جوبين وليس هو من بيت الملك، وجلس على تخت الملك، وكان أبرويز بن هرمز قد أقيم بعد أبيه، وسار هو وجوبين متسابقين إلى

---

(١) الطبري، تاريخ: ٢/ ٩٣.
(٢) الطبري، تاريخ: ٢/ ٩٠-٩١.
(٣) الطبري، تاريخ: ٢/ ٩٥-٩٦.
(٤) الطبري، تاريخ: ٢/ ٩٨.
(٥) الطبري، تاريخ، ٢/ ١٧٣.

المدائن، ثم تلاقيا على النهروان، وهزم أبرويز فاستشار أباه أين يقصد، فأشار إليه بالمصير إلى الروم، فسار ورجع قوم ممن معه فقتلوا أباه هرمز، وأما أبرويز فإنه أخذ على الفرات على طريق المفازة، فنزل ببعض الديارات لأخذ الراحة، فوافت إليه خيل بهرام جوبين فأشار عليه بندويه أحد أصحابه بأن ينجو بنفسه ويدعه والخيل، فنجا أبرويز ودخل بندويه في جميع أصحاب فيروز الدير وأغلقوا بابه، ثم أطلع بندويه رأسه إلى عسكر جوبين، وقد أطافوا بالدير. وقال لهم: أمهلوني إلى بكرة غد، وأنا أصير معكم إلى الملك بهرام جوبين، فظنوه فيروز وباتوا يحرسونه إلى الصبح، فلما أصبح استمهلهم إلى آخر النهار وكان قصده أن يكون أبرويز قد أبعد، فلما كان آخر النهار فتح الباب ونزل إلى جيش بهرام، وأعلمهم بأمره، فعلموا أن الحيلة قد تمت عليهم حتى ذهب أبرويز فأمسكوا بندويه وأُتي به [٧٦] إلى جوبين فحبسه(١).

وأما ما كان من أبرويز فإنه أتى ملك الروم، ولم يزل يلاطفه حتى زوجه ابنته، وأمده بالجيوش ونصره على جوبين، واستقل أبرويز بن هرمز المذكور آنفاً بالملك، وهرب جوبين إلى بلاد الترك، وأعمل عليه أبرويز الحيلة بمهاداة ابنة ملك الترك حتى قتل، ثم مات ملك الروم وجرت بين ابنه وبين أبرويز أمور يطول شرحها وكان في أيام أبرويز يوم ذي قار(٢).

ثم تسلط عليه ابنه شيرويه لامتداده في الظلم، وسجنه تحت الأرض، ثم وثب عليه قوم فقتلوه بغير علم شيرويه، ولمضي ثمان وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً من ملكه كانت الهجرة الشريفة النبوية من مكة إلى المدينة(٣).

ثم ملك بعده ابنه شيرويه وهو قباذ وهلك بعد أبيه بثمانية أشهر ثم ملك بعده ابنه أردشير ثم قتل وملك بعده شهربران ولم يكن من بيت الملك ثم قتل هو وجماعة ممن ساعده على قتل أردشير، والملك بعده، ثم ملك بعده بوران دخت بنت أبرويز فأحسنت السيرة، وردت خشبة الصليب على ملك الروم(٤).

ثم ملك رجل اسمه جشنيشده ابن عم أبرويز، وقيل: إنما ملك يزدجرد بن

---

(١) الطبري، تاريخ: ٢/ ١٧٥.

(٢) الطبري، تاريخ: ٢/ ١٧٩.

(٣) مسكويه، تجارب الأمم: ١/ ٢٤٦.

(٤) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٨٩-٢٩٠.

أنوشروان وكانت المدة شهراً واحداً إما لهذا أو لهذا. ثم ملك آزرميدخت بنت كسرى وكانت أجمل نساء دهرها، وكان عظيم فارس يومئذ فرخ هرمز، فأرسل يسألها التزويج، فقالت: التزويج للملكة لا يجوز، ولكن صر إليّ ليلة كذا، وأمرت صاحب حرسها بقتله إذا جاء، فلما جاء قتله، فسمع بهذا ولده رستم بن فرخ هرمز وهو المحارب للمسلمين نوبة القادسية، وكان هو وأبوه [٧٧] من عظماء البهالوين وفرسان الفرس أقبل في جند عظيم حتى نزل المدائن، وقبض على آزرميدخت وقتلها، واختلف فيمن ملك بعدها، فقيل: رجل من عقب أردشير كان ينزل الأهواز اسمه كسرى نهر ثم قتل بعد أيام، وقيل: رجل كان يسكن ميسان اسمه فيروز، وكان عظيم الهامة، فلما لبس التاج، قال: ما أضيق هذا التاج، فتطير العظماء من قوله فقتلوه(١).

ثم أتى رجل آخر من ولد أبرويز كان لجأ إلى نواحي نصيبين اسمه فرخ باد خسرو فانقاد الناس له طوعاً زماناً يسيراً، ثم استعصوا عليه، وكان أهل اصطخر قد بلغهم اضطراب الأمر، وكان قد لجأ إليهم يزدجرد بن شهريار بن أبرويز خوفاً من شيرويه، فجاءوا إليه، وهو في بيت نار أردشير فتوجوه هناك وملكوه، وكان حدثاً، ثم أقبلوا به إلى المدائن وقتلوا فرخ باد خسرو بحيل احتالوها عليه(٢).

وملك يزدجرد بن شهريار بن أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان بن بهرام بن يزدجرد بن سابور بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك، وكان الوزراء وعظماء الدولة يدبرون أمره لحداثة سنه، وهو آخر ملوك الفرس، وبموته ماتت مملكتهم، وانقرضت دولتهم، وكان مقتله في خلافة عثمان بن عفان ﷺ لسبع سنين خلت منها، وهي سنة إحدى وثلاثين من الهجرة، وكانت مدة ملكه عشرين سنة إلَّا أنه كان في غالبها شريداً طريداً لاستيلاء الإسلام على بلاده مدة أيام عمر بن الخطاب ﷺ وصدراً من الخلافة العثمانية بعده(٣).

فعدة ملوك الفرس الأول والساسانية اثنان وخمسون ملكاً منهم ثلاث نساء، فالفرس الأول عشرون ملكاً وامرأة واحدة، والفرس الثانية وهم الساسانية اثنان وثلاثون ملكاً منهم امرأتان [٧٨] وقال بعض المؤرخين: كانوا ستين ملكاً، ومدة

---

(١) الطبري، تاريخ: ٢/ ٢٣٢-٢٣٣.
(٢) الطبري، تاريخ: ٢/ ٢٣٤.
(٣) الطبري، تاريخ: ٢/ ٢٣٤.

ملكهم أربعة آلاف سنة وسبعون سنة، الأولى: ثلاثة آلاف وثلاثمائة سنة وعشرون سنة وأشهر، والثانية: ستمائة وخمسة وسبعون سنة وأشهر[1].

ذكر أخبار ملوك اليونان:

واختلف فيهم الناس فقائل هم من الروم من ولد إسحق عليه السلام وقائل هم أولاد يونان بن يافث بن نوح. وقائل بل هم من ولد آراش بن باران بن سام بن نوح. وذهب المسعودي والكندي إلى أنهم من يونان أخي قحطان من ولد عابر بن شالح بن أرفخشد ابن سام بن نوح[2].

وقد رد الناشئ على الكندي قوله فقال[3]: [الطويل]

أبا يوسف إني نظرت فلم أجد ... على الفحص رأياً صح منك ولا عقدا

وصرت حكيماً عند قوم إذا أمر ... بلاهم جميعاً لم يجد عندهم عهدا

أتقرن إلحاداً بدين محمد ... لقد جئت شيئاً يا أخا كندة إدّا

وتخلط يوناناً بقحطان ضلّةً ... لعمري لقد باعدت بينهما جدّا

ولما كثر ولد يونان خرج وطلب موضعاً يسكنه فأتى إلى موضع من الغرب في جهة الشمال، فأقام به هو ومن معه، وجعل وصيته إلى ولده الأكبر جرينوس فغلب على بلاد مما حوله[4].

وقال بطلميوس: إن أول ملك منهم فيلبس، وقيل بالصاد، وقيل: فلفوس والأول أشهر، ثم ملك بعد ابنه الإسكندر ذو القرنين وهو صاحب الخضر والله أعلم، وهو الذي قتل دارا بن دارا وغلب على ملك الأرض، وأحواله معروفة فلا حاجة إلى ذكرها[5].

ولما توفي جعل في تابوت من الذهب واجتمع الحكماء [٧٩]، فقال الأول: قد كان الإسكندر يكنز الذهب وقد أصبح اليوم يكنزه الذهب.

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ١/ ٢٩٠.
(٢) المسعودي، مروج الذهب، ١/ ٢٩٤-٢٩٥.
(٣) المسعودي، مروج الذهب، ١/ ٢٩٥.
(٤) المسعودي، مروج الذهب، ١/ ٢٩٥.
(٥) المسعودي، مروج الذهب، ١/ ٢٩٦.

وقال الثاني وقد رأى الناس يبكون حوله: لقد حركنا الإسكندر بسكونه.

وقال الثالث: قد كان الإسكندر يعظنا في حياته وهو اليوم أوعظ منه أمس.

وقال الرابع: لقد جاب الإسكندر الأرضين وملكها ثم حصل منها في أربعة قوائم.

وقال الخامس: انظروا إلى حلم النائم كيف انقضى وإلى ظل الغمام كيف انجلى.

وقال السادس: لقد أمات هذا الميت كثيراً من الناس لئلا يموت وقد مات الآن.

وقال السابع: ما لك لا تقلّ عضواً من أعضائك وقد كنت تستقلّ بملك العباد.

وقال الثامن: ما لك لا ترغب بنفسك عن المكان الضيق وقد كنت ترغب بها عن رُحب البلاد.

وقال التاسع: قد كان لا يقدر عنده على الكلام والآن لا يقدر عنده على الصمت.

وقال العاشر: لقد كان غالباً فصار مغلوباً وآكلاً فصار مأكولاً.

وقال الحادي عشر: ما كان أقبح إفراطك في التجبر أمس مع شدة خضوعك اليوم.

وقالت بنت دارا بن دارا. وكان قد تزوجها بعد أبيه: ما كنت أحسب أن غالب أبي يُغلب.

وقال الطباخ: قد نضدت النضائد، وألقيت الوسائد، ونصبت الموائد ولست أرى عميد القوم[1].

ولما مات الإسكندر عرض الملك على ابنه فأباه واختار النسك فملك بعده عشرة ملوك تسعة رجال وامرأة. فالأول: كان شاباً حكيماً مدبراً ويقال إنه أول من اقتنى البُزاة وضرّاها ولعب بها. والثاني: هو الذي يقال له محب الأخ واسمه: بينقلوس. والثالث: هو صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطي. والرابع: هو الذي يقال له محب الأم. والخامس: هو الذي يعرف بالصائغ. والسادس: هو الإسكندراني. والسابع [٨٠] هو المعروف بالجد، والثامن: هو الجوال، والتاسع: هو الحديث والعاشر: امرأة

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ١/٢٩٨.

اسمها قلوبطرة بنت بطلميوس الحرب وكانت حكيمة متفلسفة. ولها كتب مصنفة في الطب، ومات زوجها وكان اسمه أنطونيوس. وكان مشاركاً لها في ملك مقدونيا، وهي بمصر، ولما أراد الله ذهاب ملك اليونانيين أيّد عليهم أغسطس ملك رومية. وكان له مع قلوبطرة وزوجها حروب كثيرة ثم قتل زوجها وانتصر أغسطس وأراد أن يتزوجها فتطلبت حيّة تكون بين الحجاز ومصر والشام تراعي الإنسان ثم تقفز عليه على عضو تعاينه فتتفل عليه سُماً فيموت لوقته، ولا يعلم كيف مات، ثم لما كان يوم دخول أغسطس بها فرشت الرياحين في مجلسها وفرقت حشمها ثم قربت يدها إلى الإناء الذي فيه الحية فماتت لوقتها، وانسابت الحية في تلك الرياحين، فدخل أغسطس فنظر إليها جالسة، وهو يظن أنها في قيد الحياة، فلما دنا منها تبين أنها ميتة، فنظر إلى تلك الرياحين فقفزت عليه تلك الحية فرمته بسمها، وكان قد خفّ بالضرب الأول فبطل شقه الذي ضربته فيه، ولولا أن سمها كان قد نقص لمات، فعجب من أمرها وأمره، وكانت هذه قلوبطرة آخر من ملك من اليونان[١].

ذكر أخبار ملوك السُّريان:

وقد اختلف فيهم فقائل هم النبط وقائل هم إخوة يودمابين بن نبيط[٢]. قلت: وابن وحشية يقول في مواضع من كتابه في الفلاحة النبطية، قلنا عن معشر النبط، وقالت الجرامقة، وقلنا نحن كذا، فقالت الجرامقة: لمعاد أشياء في وجدهم لنا كذا، والذي يظهر والله أعلم أنه يعني بقوله الجرامقة السريان [٨١] وبهذا ظهر أنهم غير النبط وهو الأقرب وأول من ملك منهم: شوسان وانقاد له ملك الأرض، ثم ملك بعده بربر، ثم ملك بعده سماسير بن أنونا. ثم ملك بعده أهريمون فخط الخطط، وكور الكور، ثم قصده رسل أحد ملوك الهند، وأتى له على طريق سجستان على نهر هزبند وجاذبه نحو سنة، ثم قتل السرياني واستولى ملك الهند على المملكة ثم دافعه ملك العراق وأعاد ملك السريانيين إليهم، فملكوا عليهم يسنوا بن سماسير ثم هلك، فملكوا بعده أهريمون ثم هلك فملكوا بعده هوريا ثم هلك فملكوا بعده مارون[٣].

ثم هلك فملكوا بعده ازور وأخوه خلنجاس، ويقال إنّ أحد هذين الملكين كان

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٣٠٩-٣١٤.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ١٩٤ (طبعة دار القلم).

(٣) اليعقوبي، تاريخ: ١/ ٨١.

جالساً ذات يوم في أعلى قصره فنظر إلى طائر قد فرخ هنالك، وهو يصيح ويضرب بجناحيه، فنظر الملك إلى حيّة تنساب إلى الوكر لتأكل فراخ الطائر فدعا بقوس وسهم ورمى الحيّة فقتلها، وسلم الفراخ، وغاب الطائر، وعاد إلى الملك بعد هنيهة وفي منقاره حب وفي مخالبه حب، فلما وازى الملك ألقى الحب بين يديه، فتناوله الملك وقال: ما ألقى هذا الطائر هذا الحب إلَّا لأمر قصد به مكافأتنا على ما فعلناه من خلاص فراخه، ولم يعرف ما هو ذلك الحب، فاستدعى الحكماء وأراهم إياه، فقال له حكيم منهم: ينبغي أن يودع بطن الأرض لننظر ما يكون منه، فأحضر الأكرة وأمرهم بزرعه فزرعوه، والملك يُراعيه حتى طلع وأزهر وحصرم وأعنب وهم لا يقربونه خشية أن يكون متلفاً، فأمر الملك أن يعصر ماؤه ويودع الآنية وإخراج الحب منه وترك بعضه على حاله، فلما صار في الآنية غلى وقذف بالزبد وفاحت له روائح عبقة [٨٢]، فقال الملك: عليّ بشيخ كبير، فأتى فسقاه من ذلك العصير، فلما شرب منه ثلاثاً صال وتكلم وصفق بيديه وحرك رأسه ووقع برجليه على الأرض، وظهر عليه الطرب والفرح. وتغنى، فقال الملك: هذا الشراب مذهب للعقل، وأخلق به أن يكون قتالاً ألا ترون إلى هذا الشيخ كيف عاد إلى حال الصبا وقوة الشباب، ثم أمر الملك بالشيخ فرقد وسكر ونام، فقال الملك: هلك. ثم إنه أفاق وطلب الزيادة من الشراب، وقال: لقد شربته فكشف عني الهموم والغموم، وأزال عني الأحزان، فقال الملك: هذا أشرف شراب الرجل فكثر من غرس الكروم واختص به دون غيره، واستعمله بقية أيامه، ثم انتشر في الأرض(١).

قلت: والذي يحكى أن العنب كان مما زرعه آدم عليه السلام حين أهبط إلى الأرض وإنما استخرج الخمر في زمان نوح عليه السلام وبين هذين القولين بون كبير والله أعلم أيهما كان(٢).

ذكر أخبار الملوك الكلدانيين:

وهم ملوك النبط ملوك بابل، وذهب أهل العناية بأخبار ملوك العالم أنهم ملوك العالم الذين مهدوا الأرض بالعمارة، وأن الفرس الأول إنما أخذت الملك منهم كما أخذت الروم من اليونان(٣).

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ١/١٩٨-١٩٩ (دار القلم).
(٢) المسعودي، مروج الذهب: ١/١٩٩ (دار القلم).
(٣) المسعودي، مروج الذهب: ١/٢٠٢ (دار القلم).

وكان أول من ملك منهم: نمرود الجبار وقد تقدم ذكره في أخبار إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وذكرناه في ضمن أخبار ملوك الفرس، وإن يكن نمرود أول ملوك هؤلاء. فليس هو الذي ولد إبراهيم عليه السلام في زمانه قطعاً لأن الفرس إنما ملكت بعد ملوك النبط والفرس من قبل زمن إبراهيم عليه السلام [٨٣] ويزيد هذا القول تأكيداً أن النبط تدّعي أنها ملكت الأرض دهراً طويلاً، ومدة ما بين إبراهيم ونبينا محمد ﷺ لا يسع أن تنقضي فيه دولة النبط الكلدانيين ثم دولة الفرس فكل دولة مهما دامت زماناً كبيراً وعبرت آلاف السنين لا سيما وقد حول نمرود هو أول الكلدانيين وإبراهيم عليه السلام ولد في زمان النمرود محقق فتعين أن هذا النمرود ليس بذاك قطعاً.

قالوا: ونمرود هذا هو الذي احتفر أنهار العراق أخذه من الفرات، ويقال: إن منها نهر كوثى على طريق الكوفة، وهو من قصر ابن هبيرة وبغداد. ثم هلك وملك بعده أبولس وكان عظيماً جباراً في الأرض، ثم ملك بعده سوسوس ثم هلك، وملك بعده كورش ثم ملك بعده أذفر نحو ثم ملك بعده سيزهم، ثم ملك بعده قوسيس، ثم ملك بعده اينوس، ثم ملك بعده ايلاوس ثم ملك بعده انخلوس ثم ملك بعده اومويس ثم ملك بعده بعنكلوس ثم ملك بعده ماسفرس، ثم ملك بعده وسطاليم، ثم ملك بعده اسطوس، ثم ملك بعده العداس، ثم ملك بعده اطيروس، ثم ملك بعده ساوساس ثم ملك بعده فارينوس ثم ملك بعده شرسا اردموس، ثم ملك بعده لعروس، ثم ملك بعده طاطاوس، ثم ملك بعده لاوسس ثم ملك بعده فريطوس ثم ملك بعده فروطاوس ثم ملك بعده قراقيس ثم ملك بعده توليس فيطروس ثم ملك بعده هيقلس ثم تملك، وملك بعده سموحد ثم ملك بعده مردوخ ثم ملك بعده سنحاريب(١).

قلت: وهو الذي غزا القدس ثم ملك بعده منوشا ثم ملك بعده [٨٤] بخت نصر الجبار، وقد تقدم ذكره في ذكر ملوك الفرس وتقدم القول أنه لم يكن ملكاً وإنما كان مرزباناً لملوك الفرس الأول إلَّا أن يكون هذا غير ذاك.

قلت: وهذا هو الأظهر لأن ذاك غزا القدس بعد استخفاف بني إسرائيل بالأنبياء عليهم السلام. ودولة الفرس كانت قبل كثرتهم عليهم السلام والنبط قبلهم، فتبين أن هذا ليس بذاك والله أعلم.

---

(١) اليعقوبي، تاريخ: ١/ ٨٢-٨٣.

ثم ملك بعده بنطسقر ثم ملك بعده دارنوس، ثم ملك بعده كسرحوس، ثم ملك بعده قرطبا ثم ملك بعده فنحمسنة ثم ملك بعده أحرست، ثم ملك بعده شعا، ثم ملك بعده دارنوس ثم ملك بعده انطحست ثم ملك بعده اليسع(١).

وقد قال المسعودي(٢): وهؤلاء الملوك الذين أتينا على أسمائهم، وذكرنا مدة ملكهم هم الذين شيدوا البنيان، ومدنوا المدن، وكوروا الكور، وحفروا الأنهار، وغرسوا الأشجار، واستنبطوا المياه، وأثاروا الأرض وعمروها، واستخرجوا المعادن من الحديد والنحاس والرصاص وغير ذلك، وطبعوا السيوف، واتخذوا عُدة الحرب، وأسسوا قوانين الحروب، ورتبوا الميمنة والميسرة والأجنحة والقلب، وجعلوا ذلك مثال أجزاء الأعضاء الإنسان، ورتبوا الأعلام فجعلوا أعلام القلب على صفة الفيلة والنسور وما عظم من أجناس الحيوان، وجعلوا أعلام الميمنة والميسرة على صورة السباع، وجعلوا الأجنحة أمثال ما لطف منها كالنمر والذئب، وجعلوا في الطلائع كصور الحيات، وما خفي فعله من هوام الأرض، وتغلغل القوم هذه المعاني، وهذا الذي ذكرناه في أخبارهم هو بعض [٨٥] المشهور عنهم.

ذكر أخبار ملوك الروم:

وهم طائفتان الأولى والثانية. فالأولى: عبّاد الأصنام، وكانوا رومية والثانية: المتنصرة وكانوا بالقسطنطينية اختلف الناس في معنى تسميتهم الروم، فقيل: لانتسابهم إلى مدينة رومية، واسمها بالرومية رماس، ويؤيد هذا أن خلص الروم يسمون أنفسهم بالرومية روميس. ومنهم يقول: هو اسم أبيهم الأول وهو: روم بن سماحلين بن هوبان ابن علقا بن العيص بن اسحق بن إبراهيم، ومنهم من قال: إنما هو رومس بن ابطي بن نويفل بن رومي بن الأصفر بن النقر بن العيص بن اسحق بن إبراهيم. وهذا القول أنسب لتسميتهم لأنفسهم رومس، وهو مناسب لتسمية من سماهم الروم وتكون النسبة إلى نعفى والأصفر. وكل هذه الأقوال تخالف قول الفرس أنهم من ولد سلم بن أفريدون كما قدمنا ذكره وهو الأظهر أنهم ليسوا من ولد أفريدون وإنما ندر من خرافات الفرس(٣).

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ٢٠٦/١ (دار القلم).

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ٢٠٦/١ (دار القلم).

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ٢٨٦/١-٢٨٧ (دار القلم)

ولما غلبوا على اليونان ملك منهم ملوك الروم عباد الأصنام وكان أول من ملك منهم طوخاس وهو جانيوس الأصغر بن روم بن سماحلين، وتلقب بقيصر فجرت عادة كل من ملك منهم يسمى قيصر. وملك بعده قيصر واسمه غالوس بن أولوس، وقيل: بل أول من ملك منهم غالوس بن أولوس وأنه هو أول من ملك بعد اليونانيين برومية تلقب بقيصر، وقال: رومية بنيت قبل ملوك الروم بأربعمائة سنة، وهذا يؤيد قول من يقول إنهم نسبوا إلى اسم الأب الأول المدينة[١].

ثم ملك بعده يوليس، ثم ملك بعده أغسطس، ويقال إن هذا هو أول من تلقب بقيصر ومعناها بقر قالوا: لأن [٨٦] أمه ماتت، وهو حمل في بطنها فنقر جنبها، وأخرج منه، وكان يفخر بهذا، ويقول: إن النساء لم تلده، وقيل: إن معنى قيصر حلس لأنه ولد بشعر يبلغ عينيه، واسم الشعر بالعجمية خشارية وقيل خشايره فعرب فقيل قيصر وهو الذي أراد الزواج بقلوبطرة ملكة اليونان وقد تقدم حديثهما هناك وعاش بقية عمره، وقد بطل شقه بما أصابه ضربة الحيّة المقدمة الذكر[٢].

ثم ملك بعده طباريس ولثلاث سنين بقيت من ملكه رفع المسيح ﷺ، واختلفت الروم بعده، وبقيت تتنازع الملك قريب ثلاثمائة سنة، ولا لهم نظام يضمهم ولا ملك يجمعهم[٣].

ثم ملكوا عليهم طباريس بن غانس، ثم ملك بعده قلوديس وهو أول من تابع المسيح ﷺ من ملوك الروم وقيل: حلفا ممن حالفه، وكانت الروم قبله تعبد التماثيل، واجتمع الحكماء بعده على نيرون ورغب في عبادة التماثيل والأصنام. ثم ملك بعده ططس وأسبايوس مشتركين في الملك وسار إلى الشام وكانت لمملكته حروب عظيمة مع بني إسرائيل فقتلا منهم ثلاثمائة ألف وخربا البيت المقدس وأزالا رسمه[٤].

قال المسعودي[٥]: وذكر في بعض التواريخ أن الله عاقب الروم من ذلك اليوم بأن يسبى منهم كل يوم سبي ولا يوم إلا والسبي واقع فيهم قلَّ ذلك أو كثر.

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٨٨ (دار القلم).

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٨٩-٢٩٠.

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٩١.

(٤) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٩١-٢٩٤.

(٥) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٩٤.

ثم ملك بعدهما دومطيايس، ثم ملك بعده بيرنوس، ثم ملك بعده طريانوس، ثم ملك بعده أدرنالس وأخرب سائر ما بقي بالشام لبني إسرائيل، ثم ملك بعده ابطونيس وبنى البيت المقدس وسماه ايليا، ثم ملك بعده فرمورين [٨٧]. ثم ملك بعده سريرس. ثم ملك بعده ابنه انطويس، ثم ملك بعده ابنه انطويس بن انطويس، ثم ملك بعده الإسكندر ماماياس وتفسيره الفاجر[١].

ثم ملك بعده غردياس ثم ملك بعده دقيانوس، وقيل ديقيونس، وقيل دقيوس وكان يعبد الأصنام هو ومن تقدم خلا قلوديس المتابع للمسيح عليه السلام فأمعن في قتل النصارى، وهرب للخوف منه أصحاب الكهف، وكانوا من أبناء الملوك يوحدون الله عز وجل ويؤمنون بالمسيح عليه السلام وقصتهم مشهورة وقد تقدم في هذا الكتاب ذكر الكهف فلا حاجة بنا إلى التطويل بذكرهم.

ثم هلك دقيانوس الملك الجبار، وملك بعده فلطيانس. ثم لم يكن بعده إلا ملوك الروم المتنصرة[٢].

وهذه أخبار ملوك الروم المتنصرة، وهم ملوك القسطنطينية، وكان أول من ملك منهم قسطنطين، وكان برومية، ثم بنى برزنطيا وهي القسطنطينية، وانتقل إليها، وكان خروجه من رومية ومسكنه بها، وانتقاله إلى دين النصرانية لست خلت من ملكه، وخرجت أمه هلاني إلى أرض الشام، وبنت الكنائس وبنت كنيسة حمص على أربعة أركان، وأتت بيت المقدس وطلبت الخشبة التي زعمت النصارى أن المسيح عليه السلام صلب عليها، فلما ظفرت بتلك الخشبة حلتها بالذهب والفضة واتخذت يوم وجودها عيداً وهو يوم الصليب لأربع عشرة ليلة خلت من أيلول، واستخرجت الدفائن بمصر والشام، وصرفتها في بناء الكنائس وتسييد دين النصرانية، فكل كنيسة بمصر والشام من بناء هيلاني الملكة المذكورة[٣].

ولسبع عشرة سنة خلت من ملك قسطنطين اجتمع ثلاثمائة [٨٨] وثمانية عشر أسقف بمدينة نقية بأرض الروم، فأقاموا دين النصرانية وهذا الاجتماع هو أول الاجتماعات الستة التي تذكرها الروم في كلامهم وتسميها القوانين وتقول السندوسات

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٩٤-٢٩٥.
(٢) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٩٥.
(٣) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٩٧-٢٩٨ (دار القلم).

وإحداها أسندوس[1] الأول بنيقية وكان الاجتماع فيه على أريوس وهذا اتفاق من سائر أهل دين النصرانية. والثاني: بقسطنطينية على مقوديس وعدة المجتمعين فيه من الأساقفة مائة وخمسون رجلاً. والثالث: بأفسيس وعدة من اجتمع فيه من الأساقفة مائة رجل. والرابع: بحلقورية وعدة من اجتمع فيه من الأساقفة ستمائة وستون رجلاً. والخامس: بقسطنطينية وعدد من اجتمع فيه من الأساقفة مائة وستة وأربعون رجلاً. والسادس: كان في المدن وعدة من اجتمع فيه من الأساقفة مائتان وتسعة وثمانون رجلاً[2].

قال: وكان السبب في دخول قسطنطين في دين النصرانية أنه كان قد خرج في بعض حروب البرجان فكانت الحرب بينهم سجالاً نحواً من سنة كانت آخرها عليه قتل فيها خلق من أصحابه، وخاف البوار فأري في منامه كأن رماحاً نزلت من السماء فيها أعلام على رؤوسها صلبان من الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الجواهر والخشب، وقيل له: خذ هذه الرماح، وقاتل بها عدوك تنتصر، فجعل يحارب في اليوم فرأى عدوه قد انهزم فاستيقظ من نومه فدعا بالرماح فَرَكَّبَ عليها الصلبان مثل ما رأى، وحملها في عسكره، وزحف على عدوه فكسرهم، وأخذهم بالسيف ورجع إلى مدينة نيقية، وسأل عن تلك الصلبان وهل تعرفونها في شيء من الآراء والنحل؟ فقيل له إن بأرض الشام وبيت المقدس قوماً هذا رأيهم ومذهبهم وأخبروه [89] بما فعله من كان قبله من الملوك المتنصرة، فبعث إلى الشام وبيت المقدس فأحضر ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً، أتوه بنيقية فقص عليهم أمره فشرعوا له دين النصرانية فهذا هو السنودس الأول[3].

وقيل إن أمه كانت قد تنصرت قبل ذلك وأخفت هذا عنه، فلما رأى تلك الرؤيا أظهرت له دينها فبايعها. ثم هلك لتمام إحدى وثلاثين سنة من أول ملكه وقيل لتمام خمس وعشرين سنة[4].

وملك بعده ابنه قسطنطين بن قسطنطين في الكنائس، وشيد دين النصرانية[5].

---

(١) هي المجامع المسكونية السبعة التي عقدت أثناء قيام الإمبراطورية البيزنطية.
(٢) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٩٨.
(٣) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٩٨-٢٩٩ (دار القلم).
(٤) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٢٩٧.
(٥) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٣١١.

ثم ملك بعده ابن عمه لفيانس المعروف بالحيفي ويسمى بالرّباط ولما ملك رجع عن دين النصرانية وغيّر رسومها وغزا العراق في ملك سابور بن أردشير فأتاه سهم غرب فذبحه فلما هلك فزع من كان معه من الملوك والبطارقة إلى بطريق كان معظماً عندهم اسمه يونياس كان كاتباً للملك الماضي، فأبى عليهم إلّا إن رجعوا إلى دين النصرانية فأجابوه إلى ذلك، وملك عليهم بونياس وكانت له مع سابور مراسلات ومهادنة واجتماع ثم انصرف بالجيوش موادعاً لسابور، وأخلف عليه ما أتلف لفيانس من أرضه بأموالٍ حملها إليه وهدايا ألطاف الروم وجدد النصرانية وشيد معالمها، وكان ملكه سنة واحدة[1].

ثم ملك بعده أوالس فكان على دين النصرانية ثم رجع عنه وهلك في بعض حروبه وكان ملكه أربع عشرة سنة، وقيل إن في أيامه استيقظ أهل الكهف[2].

ثم ملك بعده غراطيالس وكانت مُدة ملكه خمس عشرة سنة، ولسنة من ملكه كان اجتماع النصرانية وهو آخر الاجتماعات فأتموا القول في روح القدس [٩٠] وهو السنودس الثاني[3].

ثم ملك بعده برامسيس وتفسير هذا الاسم عطية الله فقام بدين النصرانية، وعظم أمره وابتنى الكنائس، ولم يكن من الروم ولا من أهل بيت المقدس بل كان أصله من الإشبان، وهم بعض الأمم الأول السالفة ممن كانت ملكت الروم ومصر والمغرب والأندلس والأشهر أنهم من ولد يافث بن نوح وهم اللذارقة وملوك الأندلس واحدهم لذريق، وقيل كانوا على دين المجوس، وقيل: بل كانوا صابئة وعبّاد أصنام وكان مدة ملكه تسع عشرة سنة[4].

ثم هلك وملك بعده أوقاديس وكانت مدة ملكه أربع عشرة سنة. ثم ملك بعد قدوسيس وسكن مدينة أفسيس وجمع مائتي أسقف وهو الاجتماع الثالث من السنودسات ولعن فيه نسطورس البطريرك وإليه تنسب النصارى النسطورية، وكانت مدة ملكه اثنتين وأربعين سنة[5].

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٣٠١.
(٢) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٣٠٢.
(٣) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٣٠٢.
(٤) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٣٠٢.
(٥) المسعودي، مروج الذهب: ١/ ٣٠٣.

ثم هلك وملك بعده مرقياقس وهو زوج بلخياريا وكان ملكهما سبع سنين وفي أيامهما كان حرب اليعاقبة، ووقوع الخلاف بينهم في الثالوث. ثم هلكا وملك بعدهما ليون الأصغر وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة وأخرج لسفره اليعقوبي بطريرك الإسكندرية واجتمع له من الأساقفة ستمائة وثلاثون أسقفاً. وفي تاريخ الروم: أنهم ستمائة وستون رجلاً وذلك بحلقورية وهذا الاجتماع هو السنودس الرابع عند الملكية، واليعاقبة لا تعد بهذا السندوس، واليعاقبة أضيفت إلى يعقوب البرذعاني وبه عرفت، وكان من أهل أنطاكية يعمل بها البراذع. ثم ملك بعده ابن له لم يعرف اسمه على دين الملكية وكانت [٩١] مدة ملكه إلى أن هلك سنة، ثم هلك وملك بعده بنير وهو من بلاد الأرميان وكان يميل إلى رأي اليعاقبة وله حروب مع خوارج خرجوا عليه، وكان له الظفر عليهم، وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة، ثم ملك بعده نسطابن، وكان يذهب إلى مدينة اليعاقبة وهو الذي بنى مدينة عمورية وأصاب كنوزاً ودفائن عظيمة وكانت مدة ملكه تسعاً وعشرين سنة. ثم ملك بعده نوسطيانس تسع سنين. ثم ملك بعده سطانس وكانت مدة ملكه تسعاً وثلاثين سنة وقيل: بل كانت أربعاً وثلاثين سنة وأظهر دين الملكية وسيَّدَهُ وبنى كنيسة الرها وكانت أحد مباني العالم العجيبة، وكان بها منديل تعظمه النصارى، ويقول إن النوع الناصري يعني المسيح عليه السلام نشف به لما أخرج من ماء المعمودية، ولم يزل بها إلى أن اشتد أمر الروم على المسلمين في محاصرة الرها فصالحوهم به، ووقعت عليه الهدنه وفرح به الروم فرحاً كاد يذهب بعقولهم(١).

ثم هلك وملك بعده ابن أخيه فوسطيس وكان ملكه ثلاث عشرة سنة. ثم هلك وملك بعده طباريس وكان مدة ملكه أربع سنين وأظهر في ملكه أنواعاً من اللباس والآلات وآنية الذهب والفضة وغير ذلك مما تداولت الملوك العمل به بعده. ثم ملك بعده فوقاس وكان ملكه ثمان سنين.

ثم ملك بعده هرقل وكان بطريقاً في بعض الجزائر قبل ذلك ولما ملك عمر بيت المقدس وكان ذلك بعد انكشاف الفرس عن الشام وبنى الكنائس ولسبع سنين خلت من ملكه [٩٢] كانت هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة(٢).

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ١/٣٠٣-٣٠٤.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ١/٣٠٤-٣٠٥.

وأما ملوكهم بعد الإسلام فسنذكرهم. قال المسعودي[1]: وجدت في كتب التواريخ تنازعاً في مولد النبي ﷺ في عصر من كان من ملوك الروم فمنهم من ذهب إلى ما قدمناه ومنهم أن مولده كان في [عصر] يوسطينوس وكان ملكه سبعاً وعشرين سنة ثم ملك بعده يوسطينوس الثاني وكان ملكه عشرين سنة ثم ملك بعده هرقل بن يوسطينوس وهو الذي ضرب الدنانير والدراهم الهرقلية وكان ملكه خمس عشرة سنة ثم ملك بعده ابنه هورق بن هرقل وهو الذي كتب الزيجات في النجوم وعليه تعمل أصحاب الحساب في تواريخ ملوك الروم كان في وقت ظهور الإسلام وخلافة أبي بكر وعمر. هرقل وليس هذا الترتيب. فيما عداها من كتب تواريخ أصحاب السير.

وفي تواريخ أصحاب السير[2]: أن رسول الله ﷺ هاجر وملك الروم قيصر بن قوق. ثم ملك بعده قيصر بن قيصر وذلك في أيام أبي بكر ﷺ، ثم ملك بعده هرقل ابن قيصر في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وهو الذي حاربه أمراء الإسلام الذين فتحوا الشام. ثم ملك بعده مورق بن هرقل في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، ثم ملك بعده فوق بن مورق في خلافة علي بن أبي طالب ﷺ، ثم ملك بعده قلفط بن مورق بقية أيام معاوية وكانت بينهما مراسلات مهاديات واسم يزيد بن معاوية ومن بعده إلى صدر من خلافة عبد الملك بن مروان وعمر بن عبدالعزيز. ثم اضطرب ملك الروم لما كان من أمر مسلمة بن عبد الملك [٩٣] وغزو المسلمين لهم في البر والبحر فملكوا عليهم رجلاً من غير بيت الملك من أهل مرعش اسمه جُرجُس وكان ملكه تسع عشرة سنة ولم يزل ملك الروم في اضطراب إلى أن ملك قسطنطين بن اليون في خلافة السفاح والمنصور ثم ملك بعده ابنه اليون وكانت أمه ايريني ملكة معه ومشاركة له في الملك أيام المهدي والهادي ثم ملك بعده ابنه قسطنطين وكانت أمه مشاركة له ثم سملت عيناها بعد موته، ثم ملك بعده نقفور بن استبراق وغزاه الرشيد فأعطى القود من نفسه فانصرف عنه ثم غدر نقفور فكتم الرشيد أمره لعارض علة وَجَدَها بالرقة ثم تجهز وغزاه فنزل على هرقلة سنة سبعين ومائة فحاصرها سبعة عشر يوماً ثم فتحها عنوة. ثم ملك ابنه استبراق أيام الأمين ثم غلب عليه قسطنطين بن قلفط فملك توفيل في خلافة المأمون ثم ملك بعده ابنه ميخائيل بن توفيل في خلافة المعتصم بعد فتح عمورية. ثم

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ٣٠٦/١.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ٣٠٦/١-٣١٤.

ملك بعده ابنه مخائيل خلافة الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين.

ثم كان بين الروم تنازع فملكوا عليهم بصيل الصقلبي ولم يكن من أهل بيت الملك أيام المعتز والمهتدي والمعتمد وصدراً من أيام المعتضد. ثم ملك بعده ابنه الإسكندروس فلم يحمده الروم فخلعوه ومَلَكوا أخاه لاوي بن اليون بقية أيام المعتضد والمكتفي وصدراً من خلافة المقتدر ثم هلك وخلف ولداً صغيراً اسمه قسطنطين فملك وغلب على مشاركته ارمنوس بطريق البحر فتزوج قسطنطين بابنته وداما بقية أيام المقتدر [٩٤] والقاهر والراضي والمتقي إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة[١].

قال المسعودي[٢]: وملوك الروم في هذا الوقت يعني وقت تاريخه وهو السنة المذكورة ثلاثة فالمدبر الأمور أرمنوس المتغلب والملك الوارث للملك قسطنطين بن لاوي المذكور والثالث ابن لأرمانوس البطريق المتغلب اسمه اصطفانوس يخاطب بالملك، وجعل ارمنوس له ابناً آخر على الكرسي بالقسطنطينية يخاطب بالبطريك لا بالملك كان قد خصاه قبل ذلك وقربه إلى الكنيسة وعنه يأخذون دينهم.

فعدة المتنصرة من قسطنطين بن هلاني مظهر دين النصرانية بالروم إلى وقت المسعودي إحدى وأربعون ملكاً لا يعد ارمنوس فيهم، ومدة ملكهم خمسمائة سنة وسبع سنين. وأما الروم الأول برومية إلى قسطنطين المذكور فعدتهم تسعة وأربعون ملكاً، ومدتهم على ما ذكر من الخلاف أربعمائة سنة وستة وثلاثون سنة وسبعة أشهر وستة أيام[٣]. [٩٥]

ذكر ملوك الافرنجة:

قال المسعودي[٤]: لا خلاف أن الإفرنجة والجلالقة والصقالبة والنوكبرد والاشبان والترك والخزر والبرخان واللان ويأجوج ومأجوج وغير هؤلاء ممن سكن بلاد الشمال من ولد يافث بن نوح، والإفرنجة أشد هؤلاء بأساً وأمنعهم وأكثرهم عدة وأوسعهم ملكاً وأحسنهم نظاماً وانقياداً لملوكهم وأكثرهم طاعة.

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ٣١٣/١.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ٣١٣/١-٣١٤.

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ٣١٤/١.

(٤) المسعودي، مروج الذهب: ٣٤٠/٢.

قلت: وعلى المسعودي رد في هذا القول: فإن الترك أوسع ملكاً وهم أكثر انقياداً وطاعة لملوكهم من الفرنج بلا خلاف.

وقال[1]: والجلالقة أشد من الافرنجة وأعظم منهم نكاية والرجل الواحد منهم يقاوم عدة من الإفرنجة وفي هذا نظر وكان أول مبدأ الإفرنج قبل ظهور الإسلام ومن جزيرة رودس وجزيرة اقريطش ثم ملكوا في الغرب واستولوا على معظمه.

وأول ملوكهم كان اسمه قلويا وكان مجوسياً فنصرته امرأة وعرضت له ذلك وحسنته فوافقها، ثم ملك بعده ابنه دفسوب ثم ملك بعده ابنه قارلة، ثم ملك بعده ابنه بيبق ثم ملك بعده ابنه قارلة وكان في أيامه الحكم صاحب الأندلس وتدافع أولاده بعده واقتتلت حتى كادت الفرنج تفانى. ثم ملك لذريق بن قارلة ثم ملك بعده ابنه قارله بن لذريق ثم ملك بعده لذريق بن قارله ثم خرج عليه قائد الفرنج اسمه نوسة وصالح المجوس على ستمائة رطل ذهب وستمائة رطل فضة يوفيها إليهم، ثم ملك بعده قارله ابن لذريق بن قارله، ثم ملك بعده ابنه لذريق بن قارله [٩٦]. هذا آخر ما ذكره إلى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ثم اتسعت بعد ذلك ممالكهم ولم يتحرر لنا أسماء من ملك منهم وإنما ذكرت جملة من أخبار الفرنج عقب ذكر الأقاليم وفيه كفاية[2].

ذكر ملوك السودان:

قال المسعودي[3]: لما تفرق ولد نوح في الأرض سار ولد كوش بن كنعان بن حام نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر ثم افترقوا فسارت طائفة مشرقين وهم النوبة والحبشة والزنج، وسارت طائفة مغربين فهم الزنج المكمين والمسلوا وبربرا وغيرهم من هذه الأنواع وافترقت النوبة فرقتين شرقي النيل وغربه، وأناخت على شطه، واتصلت ديارها بديار مصر وطالت بلادها مصعدة ومدة ملك هذه الفرقة. والفريق الآخر يقال له علوة ومدينة ملكها سرية، وأما البجة فنزلت بين القلزم ونيل مصر وملكوا عليهم ملوكاً، وفي أرضهم معادن ذهب وقد انضافت إليهم طائفة من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان تزوجوا من البجة وزوجوهم واختلطوا بهم حتى بقوا كالشيء الواحد.

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ٣٤٠.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ٣٦.

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ٧.

وأما الحبشة وهم أجل هذه الطوائف وأعلاهم قدراً وأفخرهم جنساً وخيار بلادهم اليمن وأقرب عرض البحر بينهما ما بين ساحل مدينة الأوقة من بلاد الحبشة وبين ساحل زبيد وهو ثلاثة أيام وهو أول عرض هذا البحر ومنه عبر الحبشة إلى اليمن حين ملكه في أيام ذي نواس[1].

قال المسعودي[2]: وهناك جزائر بين الشاطئين منها جزيرة العقل فيها ما يشرب فيفعل في القرائح والذكاء فعلاً جميلاً، وعامة [٩٧] الحبشة امتدت مغربة فمنهم: الزّغاوة، وكوكو، وفافوا، وفرندة، ومروس والاية، والقوماطين، ودويلة، والقرمة، ولكل طائفة من طوائف الحبشة هؤلاء وغيرهم ملوك يرجعون إليهم وصاحب امحرة الآن هو الحاكم على ملوك الحبشان.

ذكر أخبار ملوك قحطان:

كان من ملك حمير باليمن سمي ملكاً وكانت ملوكهم ربما ساحوا في الأرض ومنهم أسعد أبو كرب من بلغ المغرب وتوغل في المشرق ومرّ بأطراف الهند ويقال إنه ما تجاوز سمرقند.

وأول ملوك قحطان عبد شمس وهو سبأ بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ ابن أرفخشد بن سام بن نوح. وقيل: إن قحطان هو أول من ملك وأنه أول من نطق بالعربية وحياهُ أهله بتحية الملوك وهي قوله: أبيت اللعن وأنعم صباحاً والأكثر على أنه عبد شمس[3].

ثم ملك ابنه حمير بن سبأ، وكان يلقب بالعرنجح وقيل إنه إنما سمي حمير لكثرة لباسه الأحمر، وكان في زمان مدار بن إسماعيل بن إبراهيم، ثم ملك أخوه كهلان، ثم أبو مالك عسكر بن سبأ، ثم كهلان الرّائش، وقيل: إنما ملك بعد كهلان كهلان الرائش وهو الحارث بن شداد وهو أول من غزا منهم، ومات في أيامه لقمان النسور[4].

---

(١) في الأصل أبي نواس، وصوبناه من المسعودي ٢/ ٢٠.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ٢١، ٢٢.

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ٨٠.

(٤) ابن قتيبة، المعارف: ٦٢٦.

ولهذا كهلان الرائش شعر ذكر فيه رسول الله ﷺ منه[1]: [الوافر]

ويملك بعدهم رجلٌ عظيم ... نبي لا يرخص في الحرام
يسمى أحمداً يا ليت أني ... اعمَّر بعد مخرجه بعام [٩٨]

وقيل: إن حمير إنما عهد إلى ابن ابنه الملطاط بن عمرو بن حمير، وفي أيامه انقرض ملك صحار وجاسم ابني دارم، قالوا: ثم ملك ابنه أبرهة ذو المنار وسمي بذي المنار لأنه لما أوغل في المغرب أمر بمنائر عملت في الطريق ليهتدي بها في مرجعه[2].

وقال المسعودي[3]: إن الذي ملك بعد الرائش جبار بن غالب بن زيد بن كهلان، ثم ملك بعده أبرهة، ثم ملك ابنه افريقيس ذو الأذعار. وقال: إنه هو الذي نفى البربر من أرض فلسطين إلى الغرب، وكانوا بقية من قبل يوشع عليه السلام ثم ملك ابنه القيدر ويكون ذا الشناتر ويقال: بل إنما ملك بعد افريقس أخوه العبد بن أبرهة، ثم ملك بعده الهدهاد بن عمرو بن شرحبيل.

وقال ابن قتيبة[4]: هو أد بن شرحبيل بن عمرو بن الرّائش وهو أبو بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام. واختلف فيمن بعده. فقال المسعودي[5]: تبع الأول، وقال ابن قتيبة[6]: إنما ملك بعده ابنته بلقيس، ثم عمها ياسر بن عمرو بن شرحبيل ويعرف بناشر أنعم، وسار إلى الغرب وانتهى إلى وادي الرمل. ثم ملك أبو كرب شمر بن أفريقش واسمه أسعد، ويسمى يرعش لارتعاش كان به، وخرج إلى العراق، ويقال إن بشتاسف أعطاه وهو أحد ملوك العالم الذين طافوا الأرض.

ثم ملك ابنه أبو مالك ثم بعده ابنه تبع الأقرن وفي أوانه كان بوار طسم وجديس وسيل العرم وتفرق سبأ، ثم ملك بعده أسعد بن عمرو وأتى مكة وكسا البيت وعلق عليه باباً من الذهب[7].

---

(١) الشعر في ابن قتيبة، المعارف: ٦٢٧.
(٢) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ٨١.
(٣) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ٨١.
(٤) ابن قتيبة، المعارف: ٦٢٨.
(٥) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ٨١.
(٦) ابن قتيبة، المعارف: ٦٢٨.
(٧) ابن قتيبة، المعارف: ٦٢٩-٦٣١.

ثم ملك بعده ابنه مرشد بن عبد كلال بن تبع الأقرن ويعرف بذي الأعواد [٩٩] ثم ملك بعده أولاده، وكانوا أربعة، وكانوا مشركين وخرجوا إلى مكة ليقلعوا الحجر الأسود، ويبنوا بيتاً بصنعاء يكون حج الناس إليه، فأجمعت كنانة وقلدوا أمرهم فهر بن مالك، والتقوا فقتل ثلاثة من الملوك وأسروا الرابع. ثم ملكت بعدهم أختهم أنصعّة بنت ذي الأعواد، وكانت فاجرة فقتلها قومها. ثم ملك يكرب بن عمرو بن أسعد بن عمرو. ثم ملك ابنه أسعد وغزا بني معد طالباً بدم الملوك الثلاثة فاجتمعوا، وقلدوا أمرهم لأمية بن عوف الكناني المعروف بالعلس ثم قعدت ربيعة لكون الرئيس من مضر فصالحوه وودوا له الملوك كل واحد ألف ناقة وهكذا كانت دية الملوك في الجاهلية، ومن ذلك اليوم وقع الشر بين ربيعة ومضر، وغزا الهند في البحر. ثم ملك ابنه حسان وأتى مدن الحجاز[١].

وله شعر يذكر فيه النبي ﷺ ومنه: [المتقارب]

شهدت على أحمد أنه ... رسول الله بادي النسم

فلو مُدَّ عمري إلى عمره ... لكنت وزيراً له وابن عم

وقصد العراق بعد موت هرمز وسابور ذو الأكتاف صغير فأعطوه الطاعة والخراج.

وقال ابن مسكويه[٢]: كان ملك الفرس قباذ ثم ملك بعده أخوه عمرو وكان قد قتل أخاه وقتل في قومه، ثم قتل، وملك ربيعة بن نصر ثم ملك حمير بعده إبراهيم بن الصبّاح بن لهيعة بن شيبة الحمد بن مرشد بن الحر بن سيف بن مصلح بن عمرو بن مالك بن زيد بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سعد بن زرعة بن ذي المنار، ثم ملك بعده عمه صهبان [١٠٠] بن محرث، واستعمل ولد سعد بن عدنان ابن خالة الحارث بن عمرو آكل المرار جد امرئ القيس الشاعر، فقسم الحارث ملكه بين ولده، وكانوا ثلاثة فملك ابنه حجراً على أسد وكنانة، وشرحبيل على قيس وتميم، ومالك على ربيعة، ثم قتل صهبان بن محرث، وملك بعده الصبّاح بن إبراهيم بن الصباح، ثم ملك بعده ابن عم له، ثم ملك بعده ذو نواس زرعة، ولما ملك تهود وقتل قوماً كانوا صاروا باليمن على دين المسيح عليه السلام. وفي أيامه كان أصحاب الأخدود وهو آخر ملوك قحطان باليمن.

---

(١) ابن قتيبة، المعارف: ٦٣٤-٦٣٧.

(٢) مسكويه، تجارب الأمم: ١/ ١٧٥.

ثم استولت الحبشة على ملك اليمن، واستولى عليه أبرهة وهو الذي قصد البيت الحرام وصدّ عنه، ثم ملك بعده ابنه مسروق ثم زال ملكه على يد سيف بن ذي يزن، وعاد الملك إلى حمير، وكان قد أتى القسطنطينية ثم تنصر، فقال: لا أنجدك على الحبشة، فإنهم على ديني فأتى كسرى فأنجده فنصره[1].

ذكر أخبار ملوك آل جفنة:

وهم من قحطان وأولهم: الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان يكنى بأبي شمر، ثم تداولها منهم سبعة وثلاثون ملكاً ومدة ملكهم ستمائة سنة وستة عشر سنة وكان آخرهم جبلة بن الأيهم المتنصر على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وقصته معروفة[2].

ذكر أخبار ملوك الحيرة:

وهم من قحطان وأولهم: مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن الأزد بن العوف [١٠١] بن يزيد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وكان ربيعة بن نصر قد بعثهم إلى سابور فأسكنهم الحيرة. ثم ملك بعده ابنه جذيمة الوضاح وهو الذي قتلته الزبّاء، وقصته معروفة، ثم ملك ابن أخته عمرو بن عدي بن ربيعة، وهو الذي أخذ ثأر خاله الوضاح، وفيه قيل: «لأمر ما جدع قصير أنفه» وفيه قيل: شبَّ عمرو عن الطوق، وكل ذلك في حكاية مع الزباء لأخذ ثأر الوضاح، ثم ملك امرؤ القيس وأمه مارية المضروب المثل بقرطها وهو الذي انخلع من ملكه ولبس المسوح وساح. وقال فيه عدي بن زيد الأبيات المشهورة وقد تقدم[3].

ثم ملك بعده المنذر بن الأسود ويقال إن الأسود هو الذي انتصر على غسان وقتل عدة من ملوكهم وأراد العفو عنهم، فقام ابن عمه أبو دينه وأنشده: [البسيط]

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا	ولا تسوغه المقدار ما وهبا
وأحزم الناس من إن فرصة عرضت	لم تجعل النسب الموصول منقضبا
وأنصف الناس في كل المواطن من	سقى المعاديَ بالكأس الذي شربا

---

(١) ابن قتيبة، المعارف: ٦٣٨-٦٣٩

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٢١.

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ٩٨.

وليس يظلمهم من راح نصرتهم ... بحد سيف به من قتلهم ضربا
والعفو إلا عن الأكفاء مكرمة ... من قال غير الذي قد قلته كذبا
قتلت عمراً وتستبقي يزيد لقد ... رأيت رأيا يجر الويل والحربا
لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها ... إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا
هم جردوا السيف فاجعلهم له جزراً ... وأوقدوا النار فاجعلهم بها حطبا
إن تعف عنهم يقول الناس كلهم ... لم يعف حلماً ولكن عفوه رهبا [١٠٢]
وكان أحسن من ذا العفو لو ... هربوا لكنهم أنفوا من مثلك الهربا
هذا أهلة غسان ومجدهم ... عالٍ فإن حاولوا ملكاً فلا عجبا
وعرّضوا بفداء واصفين لنا ... خيلاً وإبلاً تروق العجم والعربا
أيحلبون دماً منا ونحلبهم ... رسلاً لقد شرفونا في الورى حلبا
علام تقبل منهم فدية وهم ... لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا

ثم ملك بعده ابنه عمرو. ثم ملك بعده أخوه النعمان بن المنذر وهو آخر من ملك منهم. ثم ملك بعده إياس بن قبيصة وأتى الله بالإسلام(١).

وأما أيام العرب

فمن ذلك وقعة طسم وجديس.

وطسم هو ابن لاوذ بن إرم بن سام، وجديس بن عابر بن إرم بن سام وهم العرب العاربة. ومنزلهم اليمامة، وكان ملكهم عملوق بن طسم، وهو الذي كان يبدأ بالأبكار فيفتضهن ثم يزففن إلى بعولتهن، وغبر على هذا دهراً حتى أُهديت إليه عفيرة بنت غفار الجديسية أخت [الأسود بن](٢) غفّار سيد جديس، ويقال اسمها الشموس، فلما افترعها خرجت على قومها في دمائها شاقة جيبها عن قبلها ودبرها، وهي تقول(٣): [السريع]

لا أحد أذل من جديس ... أهكذا يفعل بالعروس

(١) ابن قتيبة، المعارف: ٦٤٦-٦٥٠.
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والإضافة من المسعودي.
(٣) الشعر في المسعودي، مروج الذهب: ١٤٦/٢.

يـرضـى بـهـذا بـالـقـوى حـرّ	هـذا وقـد أعـطـى وسـيـق الـمـهـر
لأخـذة الـمـوت كـذا لـنـفـسـه	خـيـر مـن أن يـفـعـل ذا بـعـرسـه

ثم قالت تحرض جديس على طسم[1]: [الطويل]

أيـصـلـح مـا يـؤتـى إلـى فـتـيـاتـكـم	وأنـتم رجال فيكمو عدد الرمل [١٠٣]
أيـصـلـح تـمـسـي فـي الـدمـا فـتـيـاتـكـم	صبيحة زفت في النساء إلى البعل
فـإن كـنـتـمـوا لا تـغـضـبـوا عـنـد هـذه	فـكـونـوا نـسـاء لا تـفـيـق مـن الـكـحـل
ودونـكـم طـيـب الـعـروس فـإنـمـا	خـلـقـتـم لأبـواب الـعـرائـس والـغـسـل
فـلـو أنـنـا كـنـا رجـالاً وكـنـتـم	نـسـاءً لـكـنـا لا نـقـرُّ عـلـى الـذلّ
فـقـبـحـاً وشـيـكـاً لـلـذي لـيـس دافـعـاً	ويـخـتـال يـمـشـي بـيـنـنـا مـشـيـة الـفـحـل
فـمـوتـوا كـرامـاً واصـبـروا لـعـدوكـم	لـحـرب تـلـظـى بـالـضـرام مـن الـجـزل
ولا تـجـزعـوا فـي الـحـرب يـا قـوم إنـهـا	تـقـوم بـأقـوام كـرام عـلـى رجـل

فاجتمعت جديس فجمعهم الأسود بن غفار، ودعا طسماً إلى ضيافة أعدها لهم، ودفنوا سيوفهم في الرمل، فلما أتوهم استثارت جديس سيوفها وشدوا عليهم فما أفلت إلَّا رياح بن مرة، ومر إلى حسان بن تبع واستعان به فأمر بالمسير لأخذ ثأرهم، فلما كانوا على ثلاثة أيام من اليمامة، قال له رياح: أيها الملك إنَّ لي أختاً مزوجة فيهم تنظر إلى الراكب يعني الزرقاء على مسيرة ثلاث ليال؛ وأخاف أن تنذر قومها، فأمر كل أحدٍ أن يقتلع شجرة من الأرض، ويجعلها أمامه فنظرت، فقالت: يا جديس لقد سارت إليكم الشجر، فقالوا لها: وما ذاك؟ قالت: أرى شجراً من ورائه بشراً، وإني لأرى رجلاً من وراء الشجرة ينهش كتفاً[2] ويخصف نعلاً، فكذبوها، وغفلوا عن أخذ الأهبة. حتى صبحتهم حمير واستباحوا اليمامة، قتلاً وسبياً[3] وهرب الأسود حتى نزل بطيء فأجاروه وقبله فيهم ثم أخذت الزرقاء وسملت[4].

---

(١) الشعر في المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٤٧.

(٢) في الأصل: يهن كفاً والمثبت من المسعودي.

(٣) في الأصل: ولا وسيبا والمثبت من المسعودي.

(٤) المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ١٤٦-١٤٩.

ذكر حروب قيس:

فمنها يوم منعج[1]:

وكان لغني على قيس، وتسمى يوم الردهة وبه قتل شأس بن زهير [١٠٤] بن خذيمة بن رواحة العبسي قتله رياح بن الأسد الغنوي.

ويوم النفراوات[2]:

وكان لبني عامر على عبس، وفيه قتل زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي وقتله خالد بن جعفر الكلابي.

ويوم بطن عاقل[3]:

وكان لذبيان على بني عامر، وفيه قتل خالد بن جعفر الكلابي ببطن عاقل.

ويوم رحرحان[4]:

وكان لعامر[5] على تميم.

ويوم شعب جبلة[6]:

وكان لعامر وعبس على ذُبيان وتميم وكان من أعظم أيام العرب.

ويوم الخربة[7]:

وفيه قتل الحارث بن ظالم وهو قاتل خالد بن جعفر.

وحرب داحس والغبراء: هي من حروب قيس.

قال أبو عبيدة[8]: حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ابني بغيض بن ريث بن غطفان.

---

(١) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٩٥، وفي الأصل: منجع والمثبت من أبي عبيدة.
(٢) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ١٠٥.
(٣) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ١١٩.
(٤) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ١٢٧.
(٥) في الأصل: وكان أقام والمثبت من أبي عبيدة.
(٦) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٢٣٤.
(٧) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ١٤٠، وفي الأصل: الحربية والمثبت من أبي عبيدة.
(٨) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ١٧٧.

وكان السبب الذي هاجها أن قيس بن زهير وحمل بن بدر تراهنا على داحس والغبراء أيهما يكون له السبق، وكان داحس فحلاً لقيس بن زهير، والغبراء حجر لحمل ابن بدر فتواضعا الرّهان على مائة بعير، وجعلا منتهى الغاية مائة غلوة، والمضمار أربعين ليلة ثم قاداهما إلى رأس الميدان بعد أن ضمّراهما أربعين ليلة وكان في طرف الغاية شعاب كثيرة، فأكمن حمل بن بدر في تلك الشعاب فتياناً على طريق الفرسين، وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردوه عن الغاية، ثم أرسلوهما، فلما أحضرا أخرجت الأنثى عن الفحل، فقال حمل بن بدر: سبقتك يا قيس، فقال قيس: رويداً بعد وإن الجدد إلى الوعث، وترشح أعطاف الفحل، فلما أوغلا عن الجدد، وخرجا إلى الوعث بَرَزَ داحس عن الغبراء فقال قيس: جري المذكيات غلاب، فذهبت مثلاً، فلما شارف داحس الغاية، ودنا من الفتية، وثبوا في وجه داحس فردوه عن الغاية، ففي ذلك يقول قيس بن زهير: [١٠٥] [الوافر]

وما لاقيت من حمل بن بدر ... وإخوته على ذات الأصاد

هم فخروا عليَّ بغير فخرٍ ... وردوا دون غايته جوادي

وثارت الحرب بين عبس وذبيان ابني بغيض فذكرت أربعين سنة لم تنتج ناقة ولا قرين فيها لاشتغالهم بالحرب، فبعث حذيفة بن بدر ابنه مالكاً إلى قيس بن زهير، يطلب منه حق السبق، فقال قيس: كلا لا مطلتك به ثم أخذ الرمح فطعنه فدق صلبه، ورجعت فرسه غائرة، واجتمع الناس، فحملوا دية مالك مائة ناقة عشراء، وزعموا أن الربيع بن زياد العبسي حملها وحده فقبضها حذيفة، وسكن الناس، ثم إن مالك بن زهير نزل اللقطاطة من أرض السرية فأخبر حذيفة بمكانه، فعدا عليه فقتله، ففي ذلك يقول عنترة[1]: [الطويل]

فلله عينا من رأى مثل مالك ... عقيرة قوم إن جرى فرسان

فليتهما لم يجريا قيد غلوة ... وليتهما لم يرسلا لرهان

فقالت بنو جذيمة[2]: مالك بن زهير بمالك بن حذيفة، وردوا علينا مالنا فأبى حذيفة أن يرد شيئاً وكان الربيع بن زياد مجاوراً لبني فزارة.

---

(١) عنترة، الديوان: ٢/ ١٦٠.

(٢) في الأصل: حذيفة والمثبت من أبي عبيدة.

قال[١]: فلما قتل مالك بن زهير جعل بنو فزارة يتساءلون ويقولون: ما فعل حماركم، قالوا: صدناه، فقال لهم الربيع: ما هذا الوحي، قالوا: قتلنا مالك بن زهير، قال: بئس ما فعلتم بقومكم قبلتم الديّة ورضيتم بها ثم غَدرتم، قالوا: لولا أنك جار لقتلناك، وكانت خفرة الجار ثلاثاً، فقالوا: لك ثلاث ليال اخرج عنا، فخرج واتبعوه فلم يلحقوه حتى لحق بقومه، وأتاه قيس بن زهير يعاقده، ثم نهضت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان إلى بني فزارة وذبيان [١٠٦] ورئيسهم الربيع بن زياد، ورئيس بني فزارة حذيفة بن بدر.

ويوم المريقب[٢]: وكان لبني عبس على ذبيان.

ويوم حسا[٣]:

وكان لذبيان على عبس.

ويوم اليعمرية[٤]:

وكان لعبس على ذبيان.

ويوم الهباءة[٥]:

وكان لعبس على ذبيان.

ويوم الفروق[٦]:

وكان لبني عبس.

ثم يوم قطن[٧].

ثم يوم غدير قلهى[٨]:

---

(١) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ١٩٥.

(٢) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٢١٠.

(٣) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٢١٠.

(٤) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٢١٢.

(٥) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٢١٤.

(٦) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٢٢٣.

(٧) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٢٧٩.

(٨) في الأصل: قلبي والمثبت من أبي عبيدة.

قال أبو عبيدة[1]: فاصطلح الحيّان إلّا بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان، فإنهم أبوا ذلك، وقالوا: لا نرضى حتى يودى قتلانا ويهدر دم من قتلنا، فخرجوا من قطن حتى وردوا غدير قلهى، فسبقهم بنو عبس إلى الماء فمنعوهم حتى كادوا يموتون، عطشاً، فأصلح بينهم عوف ومعقل أبنا سبيع من بني ثعلبة وإياهما يعني زهير بقوله: [الطويل]

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

فوردوا حرباً وخرجوا عنه سلماً. تم خبر داحس والغبراء.

ويوم الرّقم[2]:

وكان لغطفان على بني عامر.

ويوم النُّتاءة[3]:

وكان لعبس على بني عامر.

ويوم شواحط[4]:

وكان لبني محارب على بني عامر.

ويوم حوزة الأول[5]:

وكان لسليم على غطفان.

ويوم حوزة الثاني[6].

ويوم اللوى[7]:

وكانا لغطفان على هوازن.

ويوم الصّلعاء[8]:

وكان لهوازن على غطفان.

---

(١) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٢٨٨.
(٢) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٤٩.
(٣) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥٥٣، في الأصل: النباة والمثبت من أبي عبيدة.
(٤) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٢٦٨، في الأصل سراحط والمثبت من أبي عبيدة.
(٥) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٣٢٠.
(٦) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٣٢٠.
(٧) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٢٩٠.
(٨) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٣١٠.

ذكر حروب قيس وكنانة:

فمنها يوم الكديد[1]:

وكان لسليم على كنانة.

ويوم كنانة[2]:

وكان لكنانة على سليم.

ويوم الفيفاء[3]:

وكان لسليم على كنانة.

ذكر حروب قيس وتميم:

فمنها يوم السؤبان[4]:

وكان لبني عامر على تميم.

ويوم أقرن[5]: [١٠٧]

وكان لبني عبس على بني دارم.

ويوم المرّوت[6]:

وكان لبني عنبر على بني قشير.

ويوم دارة مأسل[7]:

وكان لبني تميم على قيس.

---

(١) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٢٩٩.

(٢) هو يوم برزة. أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٣١١.

(٣) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٣١٥.

(٤) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ١٧١ (وهو يوم القريتين أيضاً)، وفي الأصل، السنونات والمثبت من أبي عبيدة.

(٥) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٣٤٥.

(٦) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٣٤٧، في الأصل: المروات والمثبت من أبي عبيدة.

(٧) ابن عبدربه، العقد الفريد: ٦/٣٧.

ويوم النِّباح وثَيْتَل[1]:

وكان لتميم على بكر.

ويوم زرود[2]:

وكان لبني يربوع على بني تغلب، وهذا هو يوم زرود الثاني وأمّا الأول فسيأتي ذكره.

ويوم ذي طلوح[3]:

وكان لبني يربوع على بكر.

ويوم الحائر[4]:

ويعرف بيوم ملهم وكان لبني يربوع على بكر.

ويوم القحقح[5]:

وهو يوم مالّة وكان لبني يربوع على بكر.

ويوم رأس العين[6]:

وكان لبني يربوع على بكر.

ويوم العظالي[7]:

ويسمى يوم الإفاقة، ويوم الإياد، ويوم أعشاس، ويوم مليحة، وكان لبني يربوع على بكر.

ويوم الغبيط[8]:

ويقال له يوم الثعالب وكان لبني يربوع على بكر.

---

(١) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٢٩.
(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/ ٤٢.
(٣) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٣٧٥.
(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/ ٤٢.
(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/ ٤٢.
(٦) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/ ٤٢.
(٧) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٣٩٠، وفي الأصل: العطال والمثبت من أبي عبيدة.
(٨) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٣٦٢.

ويوم مخطط[1]:

وكان لبني يربوع على بكر.

ويوم جدود[2]:

وكان لبني يربوع على بني سعد بن زيد مناة.

ويوم سفوان:

قال أبو عبيدة[3]: التقت بنو مازن وبنو شيبان على ماء يقال له سفوان، زعمت بنو شيبان أنه لهم، وأرادوا أن يخلوا تميماً عنه فاقتتلوا قتالاً شديداً، وظهرت عليهم بنو تميم وثاوروهم حتى بلغوا المحدث، وكانوا قبل ذلك يتواعدون بني مازن، فقال في ذلك الوداك المازني[4]: [الطويل]

رويداً بني شيبان بعض وعيدكم ... تلاقوا أعداء خيلي على سَفَوان

تلاقوا جياداً لا تحيد عن الوغى ... إذا الخيل جالت في القنا المتداني

عليها الكماة الغرّ من آل مازنٍ ... ليوث[5] طعانٍ كل يوم طعان

مقاديم وصّالون في الروع خطوهم ... بكل رقيق الشفرتين يماني [١٠٨]

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم ... لأيّة أرضٍ أو لأيٍّ مكان

ويوم الشقيقة[6]:

وهو يوم نقاء الحسن، وكان لبني ضبة على بني شيبان وفيه قتل بسطام بن قيس، وأسر أخوه بجاد بن قيس في سبعين من بني شيبان فقال شمعلة[7] بن الأخضر بن هبيرة[8]: [الوافر]

---

(١) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٣٦، في الأصل: حطط والمثبت من أبي عبيدة.

(٢) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٠٩.

(٣) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٣٢.

(٤) الشعر في أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٣٤.

(٥) في الأصل: اولات والمثبت من أبي عبيدة.

(٦) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٠٠.

(٧) في الأصل: شموله والمثبت في أبي عبيدة.

(٨) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٠٧.

ويوم شقائق الحسنين لاقت | بنو شيبان آجالاً قصارا
شككنا بالرماح وهنَّ زور | صماخي كبشهم حتى استدارا

ذكر أيام بكر على تميم:

فمنها يوم الزُّورين[1]:

وكان لبكر على تميم.

ويوم الشيطين[2]:

وكان لبكر على تميم.

ويوم صعقوق[3]:

وكان لبكر على تميم.

ويوم مبايض[4]:

وكان لبكر على تميم.

ويوم فيحان[5]:

وكان لبكر على تميم ويوم ذي قار الأول. وكان لبكر على تميم. قال[6]: فخرج عتيبة في نحو من خمسة عشر فارساً من بني يربوع فكمن في جنبي ذي قار حتى مرت بهم إبل بني الحصين وهي بالفداوية اسم ماء لهم، فصاحوا فيمن فيها من الحامية والرّعاء، ثم استاقوها فأخلف للربيع ما ذهب له وقال[7]: [الوافر]

ألم ترني أفأت على ربيعٍ | جلاداً في مباركها وخورا
وأني قد تركت بني حُصين | بذي قار يرمون الأمورا

(١) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٣٨، وفي الأصل: الرويرين والمثبت من أبي عبيدة.
(٢) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٤٢.
(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/ ٥٥.
(٤) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٤٥.
(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/ ٤٥٣، في الأصل: فنجار والمثبت من ابن عبد ربه.
(٦) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٥٣.
(٧) الشعر في أبي عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٥٤.

ويوم الحاجز[١]:

وكان لبني بكر على تميم.

ويوم الشقيق[٢]:

وكان لبكر على تميم وفيه قتل كليب بن وائل وقتله شيبان.

ويوم النُّهى[٣]:

وكان لبني تغلب على شيبان.

ويوم واردات[٤]:

وكان لبني تغلب على بني شيبان.

ويوم تحلاق اللمم[٥]:

وكان لبني شيبان على تغلب.

ويوم عنيزة[٦]:

وكان لبني تغلب على بني شيبان.

ويوم قضة[٧] [١٠٩]:

وكان لبني شيبان على تغلب.

ويوم الكلاب الأول: وكان من حديثه.

قال أبو عبيدة[٨]: لما تسافهت بكر بن وائل وعليها سفاؤها وتقاطعت أرحامها ارتأى رؤساؤهم، فقالوا: إن سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا فأكل القوي الضعيف فنرى أن نملك علينا ملكاً نعطيه الشاة والبعير فيأخذ للضعيف من القوي ويرد على المظلوم

---

(١) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٥٥.

(٢) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٣١٩.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/ ٦٤.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/ ٦٣.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/ ٦٦.

(٦) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/ ٦٤.

(٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/ ٦٦.

(٨) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٥.

من الظالم، ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون فيفسد ذات بيننا ولكنا نأتي تبعاً فيملكه علينا. فأتوه فملك عليهم الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي فقدم فنزل بطن عاقل ثم غزا ببكر بن وائل حتى انتزع عامة ما في أيدي ملوك الحيرة اللخميين وملوك الشام الغسانيين وردهم إلى قاصي أعمالهم ثم طعن في بطنه فمات، فدفن ببطن عاقل فاختلف ابناه شرحبيل وسلمة في الملك فتواعدا الكلاب فأقبل شرحبيل في ضبة والركاب لها وبني يربوع وبكر بن وائل وأقبل سلمة في تغلب والنمر وبهراء ومن تبعه من بني مالك بن حنظلة وعليهم سفيان بن مجاشع وعلى تغلب السفاح لأنه سفح أسقية قومه. وقال لهم: ابدروا إلى ماء الكلاب فسبقوا ونزلوا عليه وإنما خرجت بكر مع شرحبيل لعداوتها لبني تغلب فالتقوا على الكلاب واستحرَّ القتل في بني يربوع وشد أبو حنش على شرحبيل فقتله وكان شرحبيل حتى قتل ابنه حنشاً فأراد أبو حنش أن يأتي برأسه إلى سلمة فخافه فبعثه مع عسيف له فلما رآه سلمة دمعت عيناه وقال له: أنت قتلته؟ قال: لا ولكنه قتله أبو حنش، فقال: إنما أدفع الثواب إلى قاتله فهرب [١١٠] أبو حنش، عنه فقال سلمة في ذلك[١]: [الوافر]

ألا أبلغ أبا حنش رسولاً ... فما لك لا تجيء إلى الثواب

تعلم أن خير الناس ميت ... قتيلاً بين أحجار الكلاب

ويوم الكلاب الثاني[٢]: وكان من خبره أن كسرى كان قد أوقع ببني تميم بمدينة هجر لإغارتهم على لطمة له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير. ثم خافوا طمع العرب فيهم لأجل إيقاع كسرى بهم فارتحلوا فنزلوا الكلاب إلى مدة فمر بهم ذو العينين فأتى أهل هجر فدلهم عليه فخرج اليزيديون: يزيد بن هوبر وزيد بن عبد المدان وزيد بن المأموم وزيد بن المحروم وكلهم حارثيون ومعهم عبد يغوث الحارثي حتى أتوا بلاد باهلة فدس جزء بن جزء الباهلي إلى آل تميم فأعلمهم الخبر فاعتدّوا لهم وتلاقوا فكانت الدائرة على الحارثيين ومن معهم.

ويوم طِخفة:

قال[٣]: كانت الرفادة رفادة الملوك لعتاب بن هرم بن رباح ثم كانت لقيس بن

---

(١) الشعر في أبي عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥٦.

(٢) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٦٦، في الأصل: الطلب والمثبت من أبي عبيدة.

(٣) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٥٧.

عتاب فسأل حاجب بن زرارة النعمان أن يجعلها للحارث بن قرط بن سفيان بن مجاشع فسألها النعمان بني يربوع وقال: أعقبوا إخوتكم في الرفادة، قالوا: إنهم لا حاجة لهم فيها وإنما سألها حاجب حسداً لنا وأبوا عليه. فقال الحارث بن شهاب وهو عند النعمان: إن بني يربوع لا يسلمون ردافتهم إلى غيرهم. وقال حاجب: إن بعث الملك إليهم جيشاً يمنعونه ولم يمتنعوا، فبعث النعمان إليهم قابوساً ابنه وحسان بن المنذر، فكان قابوس على الناس وحسان على المقدمة وبعث معهم الصنائع والوضائع، والصنائع ما كان يأتيه من العرب والوضائع [١١٠] المقيمون بالحيرة فالتقوا بطخفة فهزم قابوس ومن معه وضرب طارق أبو عميرة فرس قابوس فعقره وأخذه ليجز ناصيته، فقال قابوس: إن الملوك لا تجز نواصيها فجزه وأرسله إلى أبيه. وأما حسان بن المنذر فأسره بشر بن عمرو الرياحي ثم مَنَّ عليه وأرسله ففي ذلك يقول مالك بن نويرة[١]: [الطويل]

ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما	رأى القوم منه الموت والخيل تُلهبُ
عليه دلاص ذات نسج وسيفه	جراز من الهندي أبيض مقضب

ويوم فيف الريح[٢]:

وكان قد تجمعت فيه قبائل مذحج على بني عامر بن صعصعة وعلى بني عامر بن مالك ملاعب الأسنة فأرقصت قبائل عامر وتثبت بنو نمير وفيها يقول مسهر[٣]: [الطويل]

رهصت بحرص الرمح مقلة عامر	فأضحى نحيفاً في الفوارس أعورا
وغادر فينا رمحه وسلاحه	وأدبر يدعو في الهوالك جعفرا
وكنا إذا قيسيّة دهيت بنا	جرى دمعها من جنبها متحدرا
مخافة ما لاقت حليلة عامر	من الشر إذ سربالها قد تعفرا

قال: وكانت هذه الوقعة وقد بعث رسول الله ﷺ بمكة. وأدرك مسهر بن يزيد الإسلام فأسلم.

ويوم زرود الأول[٤]: وكان قد غزا الحوفزان على نعم لبني عبس وأتى الصريخ بني عبس فلحقوا الحوفزان ثم كان الظفر له.

---

(١) الشعر في أبي عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٦٢.
(٢) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٦٥.
(٣) الشعر في أبي عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٦٨.
(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/٧٧.

ويوم كنهل[1]: وكان قد نزل ابنا هجيمة من غسان في جيش فنزلا ببني يربوع فأغار عليهم أناس من ثعلبة بن يربوع فاستاقوا نعمهم وأسروا من كان في النعم فركب قيس بن هجيمة حتى أدرك بني ثعلبة [١١٢] فكر عليه عتيبة بن الحارث وتبارزوا فقتل الحارث قيس وأقبل أخوه الهرماس بن هجيمة فوقف على أخيه قتيلاً، ثم قال لعتيبة[2]: هل لك في البراز. فقلت: لعل الرجعة خير لك قال: أبعد قيس ثم شد عليه وضربه على البيضة فخلص إلى رأسه وضربه عتيبة بن الحارث فقتله.

ويوم الجبات[3]:

وكان لبني بكر بن وائل على بني ثعلبة بن يربوع.

ويوم الشعب[4]:

وكان لبني تغلب على بني يربوع.

ويوم غول الثاني[5]:

وكان لبني تميم على بكر بن وائل.

ويوم الخندمة[6]:

كان رجل من مشركي قريش يحد حربة يوم فتح مكة، فقالت له امرأته: ما تصنع بهذه، قال: أعددها لمحمد وأصحابه. فقال: والله إني لأرجو أن أخدمك بعض نسائهم، وأنشأ يقول: [الرجز]

إن يقبلوا اليوم فمالي علَّه   هذا سلاح كامل وإلّه

وذو غرارين سريع السَّلَّه

فلما لقيهم خالد يوم الخندمة انهزم الرجل لا يلوي على شيء فلامته امرأته في ذلك، فقال: [الرجز]

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٧٨/٦.

(٢) في الأصل: للحرف والمثبت من أبي عبيدة.

(٣) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٧٥، وفي الأصل: الجبابات والمثبت من أبي عبيدة.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٨١.

(٥) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٧٣.

(٦) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٨٢/٦ وفي الأصل: الجندبة والمثبت من ابن عبد ربه.

إنك لو شهدت يوم الخندمه / إذ فر صفوان وفرّ عكرمه

ولقيتنا بالسيوف المسلمه / يقلعن كل ساعدٍ وجمجمه

ضرباً فلا تسمع إلا غمغمه / لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه

وهذه القصة تذكر إن شاء الله تعالى في أثناء السيرة النبوية في يوم فتح مكة.

ويوم اللهيماء[1]:

وكان بين بني عبد بن عدي بن الدول بن بكر بن عبد مناة.

ويوم خزاز[2]:

وكان أن الرجل من أهل اليمن يجيء ومعه كانت [١١٣] وطنفسة يقعد عليها فيأخذ من أموال نزار ما شاء كعمال صدقاتهم اليوم، وكان أول يوم امتنعت معد عن ملوك حمير وكانت نزار لم تكثر بعد فأوقدوا ناراً على خزاز ثلاث ليالٍ ودخنوا ثلاثة أيام فقيل له: وما خزاز قال: هو جبل خلفه صحراء منجع ففي ذلك اليوم امتنعت نزار من أهل اليمن، قال عمرو بن كلثوم[3]: [الوافر]

ونحن غداة أوقد في خزاز / رفدنا فوق رفد الرافدينا

فكنا الأيمنين إذا التقينا / وكان الأيسرين بنوا أبينا

فصالوا صولة فيمن يليهم / وصلنا صولة فيمن يلينا

فآبوا بالنهاب وبالسبايا / وأبنا بالملوك مصفَّدينا

قال عمرو بن العلاء[4]: ولو كان جده كليب وائل قادهم ورأسهم ما ادعى الرفادة وترك الرئاسة.

ويوم النسار[5]:

وكان قد اجتمعت أسد وطيئ وغطفان وضبة وعدي فغزوا بني عامر وقتلوهم قتلاً ذريعاً ثم انتصرت تميم لعامر فقتلوا أشد من قتل عامر.

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/ ٨٢.

(٢) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٢٩.

(٣) الشعر جزء من معلقته المشهورة.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/ ٨٥.

(٥) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥٢٧.

ويوم ذات الشقوق[1]:

وسببه أن ضميرة بن ضمرة النهشلي قال: الخمر عليَّ حرام حتى يكون لنا يوم نكافئه فيه، فأغار عليهم يوم ذات الشقوق فقتلهم.

ويوم خَوّ[2]:

غارت بنو أسد على بني يربوع فاكتسحوا إبلهم فأتى الصريخ الحي فلم يتلاحقوا إلَّا مساء، بموضع يقال له خَوّ وكان ذؤاب بن ربيعة الأشتر على فرس أنثى وكان عتيبة ابن الحارث بن شهاب على حصان يستنشي ريح الأنثى في سواد الليل ويتبعها فلم يعلم عتيبة إلا وقد أقحم فرسه على ذؤاب بن ربيعة وعتيبة غافل [١١٤] ولا يبصر ما بين يديه فرآه ذؤاب فطعنه في نحره فقتله ولحق الربيع بن عتيبة فشد على ذؤاب فأسره، وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه فلم يزل عنده أسيراً حتى فاداه أبوه ربيعة بإبل قاطعه عليها وتواعدوا سوق عكاظ في الأشهر الحرام أن يأتي هذا بالإبل وشغل الربيع بن عتيبة فلم يحضر سوق عكاظ فظن ربيعة بذؤاب أن ذؤاباً قتل بعتيبة فقال يرثيه[3]: [الكامل]

أبلغ قبائل جعفر مخصوصة ... ما إن أحاول جعفر بن كلاب
أن المودة والهوادة بيننا ... خلق كسحق الرابط المنجاب
ولقد علمت على التجلد والأسى ... أن الرّزية كان يوم ذؤاب
إن يقتلوك فقد هتكت بيوتهم ... بعتيبة بن الحارث بن شهاب
بأحبهم فقداً إلى أعدائه ... وأشدهم فقداً إلى الأصحاب

فلما بلغ إليهم الشعر قتلوا ذؤاب بن ربيعة.

أيام الفِجَار:

الفِجَارُ الأول: قال أبو عبيدة[4]: أيام الفجار عدة فأولها بين كنانة وهوازن، وكان الذي هاجه أن بدر بن معشر أحد بني عقال بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٨٦/٦.

(٢) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٨٦.

(٣) الشعر في أبي عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٨٧.

(٤) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥٠٣.

مناة بن كنانة، جعل له مجلساً بسوق عكاظ، وكان منيعاً في نفسه، فقام في المجلس، وقام على رأسه قائم. وأنشأ يقول[1]: [الرجز]

نحن بنو مدركة بن خِندفْ	من يطعنوا في عينه لا يُطرِفْ
ومن يكونوا قومه يغطرف	كأنهم لجة بحرٍ مُسدِفْ

قال: ومد رجله وقال: أنا أعزّ العرب فمن زعم أنه أعز مني فليضربها [١١٥] فضربها الأحيمر بن مازن أحد بني دهمان بن نصر بن معاوية فأندرها من الركبة وقال: خذها إليك أيها المخندف. وقال أبو عبيدة[2]: إنما خَرّصها خُريصة يسيرة وقال في ذلك: [الرجز]

نحن بنو دهمان ذو التغطرف	بحر لبحر زاخر لم ينزف

قال أبو عبيدة: فتحاور الحيّان عند ذلك حتى كاد يكون بينهم قتال ثم تراجعوا ورأوا أن الخطب يسير.

الفِجار الثاني: قال[3]: كان الفجار الثاني بين قريش وهوازن، وكان الذي هاجه أن فتية من بني قريش قعدوا إلى امرأة من بني عامر بن صعصعة وضيئة بسوق عكاظ، وقالوا: بل أطاف بها شاب من بني كنانة وعليها برقع، فسألوها أن تسفر عن وجهها فأبت عليهم، فأتى أحدهم من خلفها فشد دبر درعها بشوكة إلى ظهرها وهي لا تدري، فلما قامت تقلص الدرع عن دبرها، وقالوا: منعتنا النظر إلى وجهها، فقد رأينا دبرها، فنادت المرأة: يا لعامر، فتحاور الناس، وكان بينهم قتال ودماء يسيرة، فحملها حرب ابن أمية وأصلح بينهم.

الفِجار الثالث: وهو بين كنانة وهوازن وكان الذي هاجه: أن رجلاً من بني كنانة كان عليه دَينٌ لرجل من بني نصر بن معاوية، فأعدم الكناني فوافى النصري بسوق عكاظ بقرد، فوقفه في سوق عكاظ، فقال: من يبيعني مثل هذا بما لي على فلان حتى أكثر في ذلك، وإنما فعل ذلك تعييراً للكناني ولقومه، فمر به رجل من بني كنانة فضرب القرد بالسيف فقتله، فهتف النصري يا لهوازن وهتف الكناني يا لكنانة فتهايج

---

(١) الشعر في أبي عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥٠٣.
(٢) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥٠٤ وفيه الشعر.
(٣) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥٠٤.

الناس حتى كاد يكون بينهم قتال، ثم رأوا الخطب يسيراً فتراجعوا[١].

قال أبو عبيدة[٢]: إنما سميت هذه الأيام بالفجار لأنها كانت في الحرم وهي الشهور التي يحرمونها. وهذه يقال لها أيام الفجار الأول.

الفِجار الآخر: وهو بين قريش وكنانة كلها وبين هوازن، وإنما هاجها [١١٦] البراض بقتله عروة الرّحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب، فأبت أن تقتل بعروة البراض، لأن عروة سيد هوازن، والبراض خليع من بني كنانة، وأرادوا أن يقتلوا سيداً من قريش.

وهذه الحرب كانت قبل مبعث النبي ﷺ بست وعشرين سنة. وقال رسول الله ﷺ: «**كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار، وأنا ابن أربع عشرة سنة**» يعني أناولهم النّبْلَ[٣].

وكان سبب هذه الحرب أن النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة كان يبعث لسوق عكاظ في كل عام بلطيمة في جِوار رجل شريف من أشراف العرب يجيزها له حتى تباع هنالك، ويشتري له بها من أدم الطائف ما يحتاج إليه، وكانت سوق عكاظ تقوم في أول يوم من ذي القعدة فيستوفون إلى حضور الحج يحجون.

فجهز النعمان عير اللطيمة ثم قال: من يجيرها، فقال البراض بن قيس النمرّي: أنا أجيرها على بني كنانة، فقال النعمان: ما أريد إلّا رجلاً يجير على أهل نجد وتهامة، فقال عروة وهو يومئذ رجل هوازن: أكلب خليع يجيرها لك، أبيت اللعن أنا أجيرها لك على أهل الشيح والقيصوم من أهل نجد وتهامة، فقال البراض: أعلى بني كنانة تجيرها يا عروة؟ قال: وعلى الناس كلهم. فدفعها النعمان إلى عروة فخرج بها، وتبعه البراض وعروة لا يخشى منه شيئاً إلى أن نزل بأرض يقال لها: أوارة، فشرب من الخمر وغنته قينة ثم قام، فجاء البراض فدخل عليه فناشده عروة وقال: كانت مني زلة وكانت الفعلة مني ضلّة، فقتله وخرج وهو يرتجز ويقول: [الرجز]

قد كانت الفعلة من ضلّة   هلّا على غيري جعلت الزلّة [١١٧]

فسوف أعلو بالحسام القُلّة

---

(١) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥٠٥.

(٢) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥٠٦.

(٣) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥٠٦.

وقال: [الوافر]

وداهيــةٍ يــهــال الــنــاس مــنــهــا ... شــددت لــهــا بــنــي [بــكــر] ضــلــوعــي

هــتــكــت بــهــا بــيــوت بــنــي كــلاب ... وأرضــعــت الــمــوالــي بــالــضــروع

جــمــعــت لــه يــديَّ بــنــصــل ســيــف ... أفــلَّ فــخــرَّ كــالــجــذع الــصــريــع[1]

واستاق اللطيمة إلى خيبر واتبعه المساور بن مالك الغطفاني، وأسد بن خيثم الغنوي حتى دخلا خيبر، فكان البراض أول من لقيهما، فقال لهما: من الرجلان؟ قالا: من غطفان وغني، قال البراض: ما شأن غطفان بهذا البلد؟ قالا: ومن أنت؟ قال: من أهل خيبر، قالا: ألك علم بالبراض، قال: دخل علينا طريداً خليعاً فلم يوره أحد بخيبر، ولا أدخله بيتاً، قالا: فأين يكون؟ قال: وهل لكما طاقة إن دللتكما عليه؟ قالا: نعم، قال: فانزلا فنزلا وعقلا راحلتيهما، قال: أيكما أجرأ عليه وأمضى مقدماً وأحدّ سيفاً، قال الغطفاني: أنا، قال: فانطلق أدلك عليه فانطلقا حتى انتهيا إلى خربة في جانب خيبر خارجة من البيوت، فقال البراض: هو في هذه الخربة وإليها يأوي، فأنظرني حتى أنظر أثم هو أم لا، فوقف له ودخل البراض ثم خرج إليه وقال: هو نائم في البيت الأقصى خلف هذا الجدار فهل عند سيفك صرامة؟ قال: نعم، قال: هات سيفك انظر إليه أصارم هو فأعطاه سيفه فهزه البراض ثم ضربه فقتله، ثم وضع السيف خلف الباب، وأقبل إلى الغنوي فقال: ما وراءك؟ قال: لم أر أجبن من صاحبك تركته قائماً في البيت الذي فيه الرجل، والرجل نائم لا يتقدم إليه ولا يتأخر عنه. قال الغنوي: يا لهفاه لو كان لي من ينظر راحلتينا [١١٨] قال البراض: هما عليّ إن ذهبت فانطلق الغنوي والبراض خلفه حتى جاوز الغنوي باب الخربة أخذ البراض السيف من خلف الباب ثم ضربه حتى قتله، وأخذ سلاحيهما وراحلتيهما، وانطلق وبلغ قريشاً خبر البراض بسوق عكاظ، فخلصوا نجيًّا، واتبعتهم قيس لما بلغهم أن البراض قتل عروة الرحال، وعلى قيس أبو براء عامر بن مالك فأدركوهم وقد دخلوا الحرم، فنادوهم: يا معشر قريش إنا نعاهد الله ألا يطل دم عروة أبداً أو نقتل به عظيماً منكم، وميعادنا معكم هذه الليالي من العام القابل، فقال حرب بن أمية لأبي سفيان ابنه: قل لهم إنّ موعدكم قابل في هذا اليوم، فقال خُداش بن زهير في هذا اليوم وهو يوم نخلة من أبيات أولها: [البسيط]

---

(١) الخبر والشعر في أبي عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥٠٨.

يـا شـدةً مـا شـددنـا غـيـر كـاذبـة   عـلـى سـخـيـنـة لـولا الـلـيـل والـحـرم

وكانت العرب تسمي قريشاً سخينة لأكلها السخن[١].

يوم شمطة:

وهو يوم نخيلة من الفجار الآخر. قال[٢]: فجمعت كنانة قريشها وعبد مناتها والأحابيش ومن لحق بهم من بني أسد بن خزيمة. وألبس يومئذ عبد الله بن جدعان مائة كميّ السلاح بأداة كاملة سوى ما ألبس من قومه والأحابيش بنو الحارث بن عبد مناة ابن كنانة.

قال[٣]: وجمعت سليم وهوازن وجموعها وأحلافهما غير كلاب وبني كعب فإنهما لم يشهدا يوماً من أيام الفجار غير يوم نخيلة فاجتمعوا بشمطة من عكاظ في هذه الأيام التي تواعدوا فيها على قرن الحول، وعلى كل قبيلة من قريش وكنانة سيّدها، وكذلك كل قبائل قيس غير أن أمر كنانة كلها إلى حرب بن أمية، وعلى إحدى مجنبتيها عبد الله [١١٩] بن جدعان وعلى الأخرى كريز بن ربيعة، وحرب بن أمية في القلب، وأمر هوازن كلها إلى مسعود بن معتب الثقفي فزحف بعضهم إلى بعض، فكانت الدائرة في أول النهار لكنانة على هوازن حتى إذا كان من آخر النهار تداعت هوازن وصابرت، وانكشفت كنانة فاستحر القتل فيهم فقتل منهم تحت رايتهم مائة رجل، ويقال ثمانون، ولم يقتل من قريش أحد يذكر. فكان هذا اليوم لهوازن على كنانة.

يوم العبلاء:

قال[٤]: ثم جمع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول من يوم عكاظ، والرؤساء عليهم الذين ذكرنا في يوم شمطة فكان هذا اليوم أيضاً لهوازن على كنانة، وفي هذا اليوم قتل العوام بن خويلد [والد][٥] الزبير قتله مرّة بن معتب الثقفي، فقال رجل من ثقيف: [البسيط]

مـنـا الـذي تـرك الـعـوام مـجـنـدلاً   تـنـتـابـه الـطـيـر لـحـمـاً بـيـن أحـجـار

(١) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥٠٩-٥١٤.
(٢) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥١٥.
(٣) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥١٥.
(٤) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥١٧.
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والإضافة من أبي عبيدة.

يوم شَرِب[1]: ثم جمع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول في اليوم الثالث من أيام عكاظ، فالتقوا بشرب وهو أعظم أيامهم، والرؤساء عليهم وعلى المجنبتين من ذكرنا، وحمل ابن جدعان يومئذ مائة رجل على مائة بعير ممن لم تكن له حمولة، فالتقوا وقد كان لهوازن على كنانة يومان متواليان يوم شمطة والعبلاء فحمشت قريش وكنانة، وصابرت بنو مخزوم وبنو بكر فانهزمت هوازن، وقتلت قتلاً ذريعاً، فقال عبد الله بن الزبعرى يمدح بني المغيرة: [الهزج]

ألا لــــلّــــه قـــوم و ... لــدت أخــت بــنــي ســهــم

هــشــام وأبــو عــبــد ... مــنــاف مــدره الــخــصــم [١٢٠]

وذو الــرمــحــيــن أشــبــاك ... مــن الــقــوة والــحــزم

فــهــذان يــذودان ... وذا مــن كــثــب يــرمــي

وأبو عبد مناف هاشم بن المغيرة، وذو الرمحين أبو ربيعة بن المغيرة قاتل يوم شرب برمحين وأمهم رايطة بنت سعد بن سهم، فقال في ذلك جذل الطعان: [البسيط]

جــاءت هــوازن أرســالاً وإخــوتــهــا ... بنو سُليم فهابوا الموت وانصرفوا

فاستقبلوا بضراب فضّ جمعهم ... مثل الحريق فما عاجوا ولا عطفوا

يوم الحريرة[2]:

ثم جمع هؤلاء وأولئك والتقوا على رأس الحول بالحريرة وهي حرة إلى جنب عكاظ، والرؤساء على هؤلاء الذين كانوا في سائر الأيام وكذلك على المجنبتين إلَّا أنَّ أبا مساحق بن قيس اليعمري قد كان مات، فكان بعده على بكر بن عبد مناة بن كنانة أخوه جثامة بن قيس، فكان يوم الحريرة لهوازن على كنانة، وهو آخر الأيام الخمسة التي تزاحفوا فيهن، فقتل يومئذ أبو سفيان بن أمية أخو حرب بن أمية، وقتل من بني كنانة ثمانية نفر قتلهم عثمان بن أسد بن مالك بن عامر بن صعصعة، وقتل جماعة أخر، فقال خداش بن زهير[3]: [البسيط]

إنـي مـن الـنـفـر الـمـحـمـرِّ عـيـنـهـم ... أهـل الـسـوام وأهـل الـصـخـر والـلّـوب

---

(١) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥١٨. وفي الأصل: بيرت والمثبت من أبي عبيدة.

(٢) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥٢٢.

(٣) الشعر في أبي عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥٢٣.

الطاعنين نحور الخيل مقبلة بكل سمراء لم تعلب ومعلوب
وقد بلوتم وأبلوكم بلاءهم يوم الحريرة ضرباً غير تكذيب
لاقيتم منهم آساد ملجمة ليسوا بزراعة عوج العراقيب
فالآن إن تقبلوا نأخذ نحوركم وإن تباهوا فإني غير مغلوب [١٢١]

وقال الحرث بن كلدة الثقفي(١): [الوافر]

تركت الفارس البذاخ منهم تمجّ عروقه علقاً عبيطا
دعست لبانه بالرمح حتى سمعت لمتنه فيه أطيطا
لقد أرديت قومك يا ابن صخر وقد جشّمتهم أمراً سليطا
وكم أسلمت منكم من كميٍّ جريحاً قد سمعت له غطيطا

مضت أيام الفجار الآخر، وهي خمسة أيام في أربع سنين.

قال أبو عبيدة(٢): ثم تداعى الناس إلى السلم على أن يؤدوا الفضل ويتعاهدوا ويتواثقوا.

يوم عين أباغ:

قال أبو عبيدة(٣): كان ملك العرب المنذر الأكبر بن ماء السماء ثم مات فملك بعده ابنه عمرو ثم هلك فملك أخوه قابوس ثم مات، فملك أخوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء، وذلك في مملكة كسرى بن هرمز فغزاه الحارث الغساني وكان بالشام من جهة قيصر فالتقوا بعين أباغ فقتل المنذر فولى كسرى النعمان بن المنذر ثم سعي إلى كسرى في النعمان فقتله وقد تقدم ذكر سبب ولايته ومقتله.

وكان النعمان لما تحقق غضب كسرى عليه هرب ثم علم أنه لا محالة من يد كسرى، فقدم إليه فقتله، واستعمل كسرى على العرب إياس بن قبيصة الطائي، وكان النعمان لما شخص إلى كسرى أودع حلقته وهي ثمانمائة درع وسلاحاً كثيراً هانئ بن مسعود الشيباني، وجعل عنده ابنته هند التي تسمى حرقة، فلما قتل النعمان قالت فيه

(١) الشعر في أبي عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥٢٣.
(٢) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٥٢٤.
(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/ ٩٥.

الشعراء[1]، فقال زهير بن أبي سلمى من أبيات[2]: [الطويل]

ألم تر النعمان كان بنجوة ... من السر لو أن إمرءًا كان ناجيا [١٢٢]

فلم أر مخذولاً له مثل ملكه ... أقل صديقاً باذلاً أو مواسيا

يوم ذي قار:

قال أبو عبيدة[3]: يوم ذي قار هو يوم الحِنو، ويوم قراقر، ويوم الجبابات، ويوم ذات العجرم ويوم بطحاء ذي قار.

قال أبو عبيدة[4]: لم يكن هانئ بن مسعود المستودع حلقة النعمان، وإنما هو ابن ابنه واسمه هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود. لأن وقعة ذي قار كانت وقد بعث النبي ﷺ وخبر أصحابه بها، فقال: «اليوم أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا».

ولما قتل النعمان كتب كسرى إلى إياس بن قبيصة يأمره أن يضم ما كان للنعمان، فأبى هانئ بن قبيصة أن يسلم ذلك إليه، فغضب كسرى وأراد استئصال بكر ابن وائل، فقدم عليه النعمان بن زرعة التغلبي، فقال: يا خير الملوك ألا أدلك على غرة بكر بن وائل، قال: نعم، قال: أقرها وأظهر الإضراب عنها حتى يجلبها القيظ ويدينها منك، فأقرهم حتى إذا فاضوا نزلت بكر حنو ذي قار، فأرسل إليهم كسرى النعمان بن زرعة يخيرهم بين ثلاث خصال: إما أن يسلموا الحلقة، وإما أن يغزوا الديار، وأما أن يأذنوا بحرب فتنازعت بكر بينها فَهَمّ هانئ بن قبيصة بركوب الفلاة، وأشار به على بكر، وقال: لا طاقة لكم بجموع الملك، فلم ير من هانئ سقطة قبلها. وقال حنظلة بن ثعلبة سيّار العجلي: لا أرى غير القتال، فإنا إن ركبنا الفلاة متنا عطشاً، وإنا [إن] أعطينا بأيدينا تقتل مقاتلتنا وتسبى ذرارينا، فراسلت بكر بينها وتوافت بذي قار، ولم يشهدها أحد من بني حنيفة، ورؤساء بكر يومئذ ثلاثة نفر: هانئ بن قبيصة الشيباني، ويزيد بن مسهر الشيباني، وحنظلة بن ثعلبة العجلي، فقال ثعلبة [١٢٣] لهانئ ابن قبيصة: يا أبا أمامة إن ذمتكم ذمتنا عامة، وإنه لن يوصل إليك حتى تفنى

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/٩٦.

(٢) الشعر في ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/٩٦.

(٣) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٨٩.

(٤) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٩١-٤٩٢.

أرواحنا، فأخرج هذه الحلقة ففرقها بين قومك، فإن تظفر فسترد عليك، وإن تهلك فأهون مفقود ففرقها فيهم، وقال للنعمان: لولا أنك رسول ما أبت إلى قومك سالماً[1].

قال[2]: فعقد كسرى للنعمان بن زرعة على تغلب والنمر، وعقد لخالد بن زيد البهراني على قضاعة وإياد، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب، ومعه كتيبتا الشهباء ودوسر، وعقد للهامرز التستري على ألف من الأساورة، وكتب إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين وكان عامله على طف سفوان يأمره أن يوافي إياس بن قبيصة، فسار إليه، وسار إياس بمن معه من الجند وغيرهم، فلما دنوا من بكر انسل قيس بن مسعود إلى قومه ليلاً فأمرهم بالصبر ثم رجع، فلما التقى الزحفان وتقرب القوم قام حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي، فقال: يا معشر بكر إن نساب الأعاجم تفرقهم فعالجوهم إلى اللقاء وابدؤوهم بالشدة، وقال هانئ بن مسعود: يا قوم ملك معذور خير من منجئ مغرور، إن الجزع لا يروي القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، المنية خير من الدنية، واستقبال المنية خير من استدبارها، فالجد الجد فما من الموت بد.

ثم قام حنظلة بن ثعلبة فقطع وضن النساء، فسقطن إلى الأرض، وقال: ليقاتل كل رجل عن حليلته، فسمِّي مقطع الوضن[3].

قال[4]: وقطع يومئذ سبعمائة من بني شيبان أيدي أقسهم من مباركها ليخف أيديهم بضرب السيوف، فتجالد القوم، وقتل برد بن حارثة اليشكري الهامرز مبارزة، ثم قتل برد بعد ذلك، وصرف الله وجوه الفرس وانهزموا، واتبعتهم بكر حتى دخلوا السواد في طلبهم، وأسر النعمان بن زرعة التغلبي، ونجا إياس بن قبيصة على فرسه الحمامة، وكان أول من انصرف إلى كسرى [١٢٤] بالهزيمة هو وكان لا يأتيه أحد بهزيمة شيء إلَّا نزع كتفيه، فلما أتاه إياس بن قبيصة سأله عن الجيش، فقال: هزمنا بكر بن وائل وأتيناك ببناتهم، فأعجب بذلك كسرى، وأمر له بكسوة ثم استأذنه إياس، فقال: أخي قيس بن قبيصة مريض بعين التمر، فأردت أن آتيه، فأذن له، ثم أتى كسرى رجل من

---

(١) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٩٢-٤٩٤.
(٢) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٩٢.
(٣) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٩٣.
(٤) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام: ٤٩٥.

أهل الحيرة بالخورنق، فسأل: هل دخل على الملك أحد؟ فقالوا: إياس فظن أنه قد حدثه الخبر، فدخل عليه وأخبره بهزيمة القوم وقتلهم فأمر به فنزعت كتفاه.

وقد أكثر الشعراء في يوم ذي قار فمن ذلك ما قاله أعشى بكر من قصيدة[١]: [البسيط]

لو أن كل معدٍّ كان شاركنا	في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرف
لما أمالوا إلى النشاب أيديهم	ملنا ببيض فَظَلّ الهام يختطف
بطارق وبنو ملك غطارفة	من الأعاجم في آذانها النطف
كأنما الآل في حافات جمعهم	والبيض برق بدا في عارض يكف
ما في الخدود صدود عن سيوفهم	ولا عن الطعن في اللبَّات منحرف

وقال الأعشى يلوم قيساً من أبيات[٢]: [الطويل]

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد	وأنت امرؤ يرجو شبابك وائل
رحلت ولم تنظر وأنت عميدها	فلا يبلغني عنك ما أنت فاعل
فعريت من أهل ومال جمعته	كما عريت ممّا تُمرُّ المغازل
شفى النفس قتلى لم توسَّد خدودها	وساداً ولم تغضض عليها الأنامل
بعينيك يوم الحِنو إذ صبحتهم	كتائب موتٍ لم تعقها العواذل

قال: ولما بلغ كسرى خبر قيس بن مسعود بما فعل مع قومه حبسه حتى مات في حبسه ففيه قال الأعشى: «وعريت من أهل ومال جمعته»[٣] البيت.

السنة الأولى:

وأولها قدوم النبي ﷺ المدينة في ربيع الأول. وإنما صار المحرم أول شهور العام في خلافة عمر ﷺ حين وضع التأريخ وإلّا فالأول من السنة الأولى والسنة الثانية المراد من ربيع إلى ربيع.

فيها أتمت صلاة الحضر بعد مقدمه بشهر.

---

(١) الشعر في ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/١٠١.

(٢) الأعشى، الديوان: ١٢٨.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/١٠١.

روى البخاري[1] من رواية معمر عن الزهري عن عائشة: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ثم هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ففرضت أربعاً هكذا لفظ حديثه.

وروى ابن أبي شيبة[2] عن الشعبي: أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين، فلما أتى النبي ﷺ المدينة زاد مع كل ركعتين ركعتين إلَّا المغرب.

وروى أحمد بن سعيد الرباطي[3] بسنده عن مسروق عن عائشة: فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتين ركعتين، فلما أقام رسول الله ﷺ بالمدينة زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان، وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها، والمغرب لأنها وتر النهار.

وهذا يرفع الاحتمال في حديث عائشة حيث تقول: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فزيد في صلاة الحضر لأنه يحتمل أنه زيد فيها حين أكملت خمساً، فكانت الزيادة في عدد الصلوات وفي الركعات، ويكون قولها فرضت الصلاة ركعتين أي قبل الإسراء، وقد قال بهذا طائفة من السلف منهم: ابن عباس وذكر الحربي أن الصلاة صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها . . .[4] «وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار» كله . . .[5] كان قبل الإسراء وفرض الصلوات . . .[6] ويجوز أن يكون معنى قولها: فرضت الصلاة أي ليلة الإسراء حين فرضت الخمس فرضت ركعتين ثم زيد في صلاة الحضر بعد ذلك. وهذا مروي عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة رواه هكذا الشعبي والحسن: أن الزيادة في صلاة الحضر كانت بعد الهجرة. فالذي قدمناه يرفع الاحتمال الأول ويؤيد الثاني والله أعلم[7]. [١٢٦]

وفيها[8]: آخى بين المهاجرين والأنصار في شوال، واتخذ ﷺ علي بن أبي طالب أخاً وكان علي يقول على منبر الكوفة أيام خلافته: أنا عبد الله وأخو رسول الله ﷺ، وصار أبو بكر الصديق وخارجة بن زيد بن أبي زهير الأنصاري أخوين، وأبو

---

(١) البخاري، الصحيح: ٨٢٤ حديث رقم (٣٩٣٥).
(٢) ابن أبي شيبة، المصنف: ٢/ ٢٠٤ حديث رقم (٨١٦٦).
(٣) النسائي، السنن، حديث رقم ٤٥٣.
(٤) كلمتان لم نستطع استظهارهما.
(٥) كلمتان لم نستطع استظهارهما.
(٦) كلمتان لم نستطع استظهارهما.
(٧) البخاري، الصحيح: ٨٢٤ حديث رقم (٣٩٣٥)، البيهقي، السنن الكبرى، ٣/ ١٤٣.
(٨) السهيلي، الروض: ٢/ ٣٥٠.

عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ الأنصاري أخوين، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين، وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت الأنصاري أخوين، وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك الأنصاري أخوين، وسعيد بن زيد وأبيّ بن كعب الأنصاري أخوين.

وفيها في شوال[(١)]: بنى بعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما، وكان تزوجها بمكة ولها ست سنين أو سبع وله خمسون سنة وأشهر ولم يتزوج بكراً غيرها وكان تزوج قبلها بشهر سودة بنت زمعة في رمضان تلك السنة.

وفيها: غزا غزوة الأبواء وهي غزوة وَدَّان في صفر[(٢)].

وصلى الجمعة ببني سالم حين ارتحل من قباء إلى المدينة، وهي أول جمعة صلاها وخطبة خطبها وبنى مسجده ومساكنه ومسجد قباء[(٣)].

وفيها: أُري عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري الأذان فأمر أن يُعلّمه بلالاً. والسبب في ذلك [١٢٧] أنَّ رسول الله ﷺ شاور أصحابه في الأذان بالصلاة، فقال بعضهم: ناقوس كناقوس النصارى وقال بعضهم: بوق كبوق اليهود، وذكروا أيضاً القنع وهو القرن. وقال بعضهم: بل نوقد ناراً ونرفعها فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة، وقال بعضهم: بل نبعث رجالاً ينادون بالصلاة فبينا هم في ذلك أُري عبد الله بن زيد الأذان فأخبر به النبي ﷺ فأمره أن يلقيه على بلال، فقال عبد الله بن زيد: أنا رأيتها وأنا كنت أحبها لنفسي، فقال: ليؤذن بلال وليقم أنت[(٤)].

قال أبو داود[(٥)]: وتزعم الأنصار أن عبد الله بن زيد حين أُري النداء كان مريضاً ولولا ذلك لأمره النبي ﷺ بالأذان.

وروى الحارث في مسنده[(٦)]: «أن رسول الله ﷺ قال: أول من أذن بالصلاة

---

(١) الترمذي، الجامع الصحيح: حديث (١٠٩٣).

(٢) الثابت أن غزوة الأبواء كانت في السنة الثانية للهجرة. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، قسم السيرة: ١/ ٢٩٧.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية: ٢/ ٦٠٣.

(٤) السهيلي، الروض: ٢/ ٣٥٨.

(٥) أبو داود، السنن: ١٢٢ حديث رقم (٤٩٨).

(٦) الحارث، المسند: ١/ ٢٤٥ حديث رقم (١١٨).

جبريل أذن بها في سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال فسبق عمر بلالاً إلى رسول الله ﷺ وأخبره بها، فقال ﷺ لبلال: «**سبقك بها عمر**».

قال السهيلي(١): وظاهر هذا الحديث أن عمر سمع ذلك في اليقظة وكذلك رؤيا عبد الله بن زيد في الأذان رآها وهو بين النائم واليقظان. قال: ولو شئت قلت كنت يقظان.

قال السهيلي(٢): والحكمة في تخصيص الأذان بأن يراه رجل من المسلمين ولم يكن عن وحي أن رسول الله ﷺ قد أريه ليلة الإسراء وأسمعه فشاهده من فوق سبع سماوات وهذا أقوى من الوحي، فلما تأخر فرض الأذان إلى المدينة، وأرادوا إعلام الناس بوقت الصلاة تلبث الوحي حتى رأى عبد الله الرؤيا، فوافقت ما رأى رسول الله ﷺ فلذلك قال: «**إنها لرؤيا حق إن شاء الله**»(٣). وعلم حينئذ أن مراد الله تعالى بما أراه في السماء أن يكون سنة في الأرض. وقوى ذلك عنده موافقة رؤيا عمر [١٢٨] لعبد الله بن زيد، واقتضت الحكمة أن يكون الأذان على لسان غير النبي ﷺ من المؤمنين لما فيه من التنويه من الله لعبده والرفع لذكره فلا يكون ذلك على لسان غيره أنوه به وأفخم لشأنه. [١٢٩]

وفيها: أسلم عبد الله بن سلام، ومات أسعد بن زُرارة وقبله كلثوم بن الهدم أبو قيس وهو الذي نزل عليه النبي ﷺ حين قدم المدينة وجنازته هي التي قال فيها سلمان الفارسي: فأتيت رسول الله ﷺ وهو في جنازة لبعض أصحابه ذكر ذلك سلمان في حديثه الطويل(٤).

السنة الثانية:

فيها: غزا غزوة بُوَاط. وغزوة طلب كرز بن جابر وكان أغار على سرحه عليه السلام وهي غزوة بدر الأولى كلتاهما في ربيع الأول. وغزوة ذي العُشير. بالمعجمة وقيل بالمهملة. وقيل العُشيرة بالهاء، وقيل العُشيرا بألف، في جمادى الآخرة(٥).

---

(١) السهيلي، الروض: ٢/ ٣٥٩.

(٢) السهيلي، الروض: ٢/ ٣٥٦.

(٣) أبو داود، السنن: ١٢٣ حديث رقم (٤٩٩).

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية: ٢/ ٦٢٧.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، قسم السيرة: ١/ ٢٩٨.

وصرفت القبلة يوم الاثنين وكان من خبرها: أن النبي ﷺ لما هاجر صلى قبل بيت المقدس سبعة عشر شهراً. وصلت الأنصار إليه قبل أن يهاجر إليهم سنتين، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾(١) وكانت الكعبة أحب القبلتين إلى النبي ﷺ. فقالت اليهود: يزعم أنه نبي وما نراه أحدث في بيوته شيئاً أليس يصلي نحو قبلتنا ويستنّ بسنتنا فبلغ ذلك النبي ﷺ، فاشتد ذلك عليه، وازداد شوقاً إلى قبلة الكعبة، فلما أتاه جبريل قال: يا جبريل وددت أن الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها، فقال جبريل، أنا عبد مثلك ليس لي من الأمر شيء، فاسأل ربك ثم عرج جبريل إلى السماء [١٣٠] فجعل رسول الله ﷺ يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بما سأل فأنزل الله عند صلاة الظهر في رجب قبل بدر بشهرين: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾(٢) لأن الكعبة كانت أحب القبلتين إلى رسول الله ﷺ فكانت ناسخة ما قبلها من استقبال بيت المقدس، وصارت الكعبة قبلة المسلمين إلى يوم الدين(٣).

واختلف في أي صلاة حولت القبلة وفي أي يوم وفي أي شهر، فالأكثرون على أنها حولت في صلاة الظهر يوم الاثنين للنصف من شهر رجب وهو قول البراء بن عازب ومعقل بن يسار وغيرهما. وقال سعيد بن أبي عروبة فيما روى عن قتادة: أنها حولت يوم الثلاثاء للنصف من شعبان. وفيه رواية شاذة رواها إبراهيم الحربي: أنها حولت في جمادى الآخرة(٤).

وفيها: فرض صوم رمضان نصف شعبان. وغزا غزوة بدر العظمى في رمضان(٥). وفرض زكاة الفطر قبل العيد بيومين(٦).

وتوفي عثمان بن مظعون(٧). وبنى علي بفاطمة كلاهما في ذي الحجة(٨). وغزا

(١) سورة البقرة، الآية ١١٥.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٤.
(٣) ابن كثير، البداية والنهاية: ٢/٦٥٦.
(٤) ابن كثير، البداية والنهاية: ٢/٦٥٧.
(٥) الطبري، تاريخ: ٢/٢١٧.
(٦) الطبري، تاريخ: ٢/٢٤١.
(٧) خليفة بن خياط، التاريخ: ٣٧.
(٨) خليفة بن خياط، التاريخ: ٣٧.

غزوة بني قينقاع بضم النون وقيل بكسرها في شوال[١]. وغزوة السويق في طلب أبي سفيان في ذي الحجة[٢]. وغزوة قرقرة الكدر وقيل قرارة في المحرم[٣].

وضحى رسول الله ﷺ بكبشين[٤]. وتوفيت ابنته رقية[٥]. وولد النعمان بن بشير وعبد الله بن الزبير[٦].

وفيها: كانت الوقعة بذي قار بين بكر بن وائل وبين جيش كسرى أَبرويز واقتتلوا قتالاً شديداً وانهزمت الفرس ومن كان معهم من العرب[٧].

وفيها: هلك أميّة بن أبي الصلت عبد الله بن ربيعة، وكان من رؤساء الكفار، وكان قد قرأ الكتب، واطلع على بعثة النبي ﷺ وكفر به جداً، وكان يرتجي أن يكون هو المبعوث، وكان قد سافر إلى الشام، وعاد إلى الحجاز عقب وقعة بدر[٨]، ولما وصل إلى القليب أنشد يرثي قتلى بدر من قصيدة طويلة[٩]: [مجزوء الكامل]

ألّا بَكيتِ على الكرا	م بني الكرام أُولي الممادح
كبكا الحمام على غصون	الدوح في الغصن الجوانح
أمثالهن الباكيات	المعولات من النوائح
ماذا ببدر والعَقَنْقَل	من مرازبةٍ جحاجح
شُمْطٍ وشُبَّانٍ بها	ليلٍ مغاوير وجاوح
أنْ قد تغير بطنُ مكة	فهي موحشة الأباطح [١٣١]

(١) الطبري، تاريخ: ٢/ ٤٧٩.
(٢) الطبري، تاريخ: ٢/ ٤٨٣.
(٣) ابن إسحاق، السيرة: ٣/ ٧٣.
(٤) البخاري، الصحيح: ١٢١٣ حديث رقم (٥٥٥٣).
(٥) ابن إسحاق، السيرة: ٢/ ٢٤٢.
(٦) خليفة بن خياط، تاريخ: ٣٧.
(٧) انظر ما سبق في وقائع العرب.
(٨) ابن قتيبة، المعارف: ٦٠.
(٩) ابن إسحاق، السيرة: ٣/ ٢٥.

السنة الثالثة:

فيها: بعث سرية كعب بن الأشرف[1]. وغزا غزوة غطفان وهي غزوة أنمار وذي أمر كلاهما في ربيع الأول[2]. وغزوة بني سُليم بنجران في جمادى الأولى[3] وتزوج عثمان بن عفان بابنته ﷺ أم كلثوم، ودخل بها في جمادى الآخرة[4]. وتزوج ﷺ بحفصة في شعبان[5]. وتزوج ﷺ بزينب بنت خزيمة الهلالية[6]. وولد الحسن بن علي كلاهما في رمضان[7].

وغزا غزوة أحد وغزوة حمراء الأسد كلتاهما في شوال[8]. وحرمت الخمر وقيل: في ربيع الأول من الرابعة[9].

وفيها: قتل كعب الأشرف قتله محمد بن مسلمة الأنصاري[10].

وفيها: في صفر قدم على النبي ﷺ ناس من عضل والقارة وطلبوا منه أن يبعث معهم من يفقه قومهم في الدين فبعث معهم ستة نفر وهم: ثابت بن أبي الأقلح وخبيب ابن عدي ومرثد بن أبي مرثد وخالد بن البكر وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق. فلما وصلوا الرجيع وهو ماء لهذيل على أربعة عشر من عسفان غدروا بهم وقتلوا منهم ثلاثة وأسروا ثلاثة وهم: زيد بن الدثنة وخبيب وعبد الله بن طارق، فأخذوهم إلى مكة، وانفلت عبد الله بن طارق، فقاتل إلى أن قتلوه بالحجارة، وباعوا الرجلين اللذين بقيا معهم بمكة فقتلتهما قريش صبراً[11].

وفيها: قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على النبي ﷺ فلم

---

(١) ابن إسحاق، السيرة: ٣/ ٤٣.
(٢) الطبري، تاريخ: ٢/ ٤٩٩.
(٣) الطبري، تاريخ: ٢/ ٤٨٧. وفي الأصل: ببجران.
(٤) خليفة بن خياط، التاريخ: ٣٨.
(٥) خليفة بن خياط، التاريخ: ٣٨.
(٦) خليفة بن خياط، التاريخ: ٣٧.
(٧) ابن قتيبة، المعارف: ٢١١.
(٨) الطبري، تاريخ، ٢/ ٤٩٩.
(٩) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٢٧٢.
(١٠) ابن إسحاق، السيرة: ٣/ ٤٣.
(١١) خليفة بن خياط، التاريخ: ٤٣.

يسلم ولم يُبعد عن الإسلام. وقال للنبي ﷺ: لو بعثت من أصحابك رجالاً إلى أهل نجد يدعونهم رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله ﷺ: أخاف عليهم يوماً كيوم هذيل. فقال أبو براء: أنا جارهم. فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو الأنصاري في أربعين رجلاً من خيار المسلمين فيهم: عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق، فمضوا ونزلوا بئر معونة على أربع مراحل من المدينة، وبعثوا بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر ابن الطفيل فقتل الذي أحضر الكتاب وجمع الجموع، وقصد أصحاب رسول الله ﷺ، فتقاتلوا فقتلوا عن آخرهم إلّا كعب بن زيد، فإنه بقي فيه رمق وتوارى بين القتلى ثم لحق بالنبي ﷺ واستشهد يوم الخندق. وكان في سرح المسلمين عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار فرأيا الطيور تحوم حول العسكر فقصداه فوجدا القوم مقتولين، فقاتل الأنصاري حتى قتل وأما عمرو بن أمية الضمري فأخذ أسيراً وأطلقه عامر بن الطفيل لكونه من مضر ولحق برسول الله ﷺ وأخبره بالخبر، فشق عليه(١).

السنة الرابعة:

فيها: غزا غزوة بني النضير في ربيع الأول(٢). وتوفيت زينب الهلالية آخر ربيع الآخر(٣). وغزا غزوة الخندق وهي الأحزاب(٤). وتزوج أم سلمة هندًا كلاهما في شوال(٥). وغزا غزوة بدر الموعد وهي الصغرى في ذي القعدة(٦). وتزوج زينب بنت جحش في هذا الشهر على الأصح، ولها خمس وثلاثون سنة وقيل في الخامسة، وتوفيت سنة عشرين ودفنت بالبقيع وهي أول من مات من زوجاته بعده وأول من حمل على نعش(٧). وغزا غزوة ذات الرقاع في المحرم. وفي هذه الغزوة صلى صلاة الخوف وقصرت الصلاة ونزلت آية التيمم(٨).

---

(١) الكلاعي، الاكتفاء: ١/ ٤٠٩.
(٢) الطبري، تاريخ: ٢/ ٥٥٠.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٤٢٩.
(٤) وهم ابن فضل الله فغزوة الخندق في السنة الخامسة للهجرة.
(٥) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٤٢٩.
(٦) الطبري، تاريخ: ٢/ ٥٥٩.
(٧) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٤٣٣.
(٨) الطبري، تاريخ: ٢/ ٥٥٥.

وفي هذه السنة ولد الحسين[١]. ورجم ﷺ اليهودي واليهودية[٢]. ونزل الحجاب[٣] وقيل: الحجاب وصلاة الخوف في الخامسة. [١٣٢]

السنة الخامسة:

فيها: غزا غزوة دومة الجندل بضم الدال في ربيع الأول[٤]. وغزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق في شعبان. وفي هذه الغزوة حديث الإفك[٥]. وغزوة بني قُريظة في ذي القعدة[٦].

وتزوج جويرية بنت الحارث ولها عشرون سنة[٧] وريحانة بنت زيد القرظية. وقيل: كان يطأها بملك اليمين. وسابق بين الخيل[٨].

السنة السادسة:

فيها: غزا غزوة بني لحيان[٩]، وغزوة الغابة وهي غزوة ذي قرد كلتاهما في ربيع الأول[١٠]. وقحط الناس فاستسقى لهم في رمضان. وخرج ليعتمر فصدًّ من الحديبية فحلَّ ونحر وبايع بيعة الرضوان كلتاهما في ذي القعدة[١١]. وبنى بريحانة وفرض الحج[١٢].

---

(١) ابن قتيبة، المعارف: ٢١٣.
(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، السيرة: ١/ ٤٦٦.
(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، السيرة: ١/ ٤٦٦.
(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٣٤١.
(٥) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٣٤١-٣٤٣.
(٦) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٣٤٧.
(٧) خليفة بن خياط، التاريخ: ٤٨.
(٨) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٤٥٣.
(٩) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٣٤٨.
(١٠) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٣٤٨.
(١١) ابن إسحاق، السيرة: ٣/ ١٩٦.
(١٢) ابن كثير، البداية والنهاية: ٣/ ٣٥١.

السنة السابعة:

فيها: غزا غزوة خيبر في جمادى الأولى. وقال ابن إسحاق[1]: في المحرم قلت: فتكون في سنة ست على ما قررنا. وبعد خيبر سمّته زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم في الشاة[2]، وتزوج ميمونة بنت الحارث في شوال بسرف ماء على تسعة أميال من مكة وبنى بها فيه. وماتت فيه سنة ثلاث وستين وهي آخر من تزوج وآخرهن وفاة[3].

واعتمر عمرة القضاء في ذي القعدة، وكان معه سبعون بدنة، ولما قرب من مكة خرجت له قريش عنها وتحدثوا أن النبي ﷺ في جهد وعسر، فاصطفوا له عند دار الندوة فلما دخل المسجد اضطبع بأن جعل وسط ردائه على عاتقه الأيمن وطرفيه على عاتقه الأيسر ثم قال: رحم الله من أظهر من نفسه جلداً، ورحل في أربعة...[4] من الطواف ثم خرج إلى الصفا والمروة وسعى...[5].

وبعث رسول الله ﷺ رسله إلى الملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد في المحرم: عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي، ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر الروم واسمهُ هرقل وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس، وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي إلى المقوقس ملك الإسكندرية وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شَمِر الغساني ملك البلقاء من الشام، وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي باليمامة[6].

وتزوج صفية بنت حُييّ وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان وهي بالحبشة وولي نكاحها عثمان وقيل خالد بن سعيد وأصدقها عنه النجاشي أربعمائة دينار[7].

---

(١) ابن إسحاق، السيرة: ٣/ ٢١١.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية: ٣/ ٣٥٢.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٤٤٤.

(٤) كلمة لم نستطع استظهارها.

(٥) كلمتان لم نستطع استظهارهما.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٥٣١.

(٧) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٤٣٨-٤٤٢.

وقدم حاطب من عند المقوقس بمارية بنت شمعون أم إبراهيم عليه السلام وأختها شيرين وبغلته دُلْدُلَ وحماره يعفور فوهب ﷺ شيرين لحسان بن ثابت، فولدت له عبدالرحمن[١].

وقدم جعفر بن أبي طالب وأصحابه من الحبشة. وأسلم أبو هريرة وعمران بن حصين[٢]. وحرم الحُمر الأهلية ومتعة النساء[٣].

السنة الثامنة:

فيها: بعث سرية مؤتة وهي أول الغزوات بين المسلمين والروم وكانت في جمادى الأولى وأصيب بها: زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة[٤]. وغزا غزوة الفتح في رمضان[٥]. وغزوة حنين وهي غزوة هوازن. وغزا غزوة الطائف كلتاهما في شوال[٦]. واعتمر من الجعرانة في ذي القعدة[٧]. وولد إبراهيم ابن النبي ﷺ في ذي الحجة[٨]. وعمل منبره ﷺ من أثل الغابة[٩] وتوفيت ابنته زينب[١٠]. ووهبت سودة أم المؤمنين يومها لعائشة حين قصد طلاقها[١١] [١٣٤]. حج عتاب بن أسيد بالناس[١٢].

السنة التاسعة:

فيها: غزا غزوة تبوك في رجب وقدم منها في رمضان. فهدم مسجد الضرار

---

(١) خليفة بن خياط، التاريخ: ٥٢.
(٢) خليفة بن خياط، التاريخ: ٥٢.
(٣) البخاري، الصحيح: ٨٨١ حديث رقم (٤٢١٦).
(٤) خليفة بن خياط، التاريخ: ٥٢.
(٥) خليفة بن خياط، التاريخ: ٥٢.
(٦) خليفة بن خياط، التاريخ: ٥٢.
(٧) خليفة بن خياط، التاريخ: ٥٦.
(٨) خليفة بن خياط، التاريخ: ٥٦.
(٩) ابن كثير، البداية والنهاية: ٣/ ٤٢٠.
(١٠) خليفة بن خياط، التاريخ: ٥٦.
(١١) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٤٠٧.
(١٢) خليفة بن خياط، التاريخ: ٥٦.

بالمدينة[1]. ومات عبد الله بن أبيّ ابن سلول المنافق في شوال، وقال المسعودي: صلى الرسول ﷺ.... ولم يصل النبي ﷺ بعده على منافق[2].

وحج أبو بكر بالناس وبعث ﷺ عشرين بدنة وثلاثمائة رجل، فلما كان بذي الحليفة أرسل النبي ﷺ في أثره علي بن أبي طالب وأمره بقراءة آيات من أول سورة براءة على الناس فرجع أبو بكر، فقال: يا رسول الله أأُنزل فيَّ شيء؟ قال: لا ولكن لا يبلغ عني إلَّا رجل من أهل بيتي ألا ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وصاحبي على الحوض؟ قال: بلى، فسار أبو بكر أميراً على الموسم[3].

وأمر ﷺ علياً أن يقرأ على الناس سورة براءة وأن ينادي أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وهي آخر حجة حجها المشركون.

وآلى ﷺ من نسائه. وتوفيت ابنته أم كلثوم[4]. وصلى على النجاشي يوم مات. وتتابعت إليه الوفود وكانت تسمى بسنة الوفود[5].

السنة العاشرة:

فيها: مات إبراهيم ابن النبي ﷺ في ربيع الأول وله سبع عشر، وقيل: ثمانية عشر شهراً ودفن بالبقيع وفيها يوم موت إبراهيم عليه السلام كسفت الشمس فقالوا: كسفت الشمس لموت إبراهيم فخطب النبي ﷺ وحمد الله وأثنى عليه وقال: **«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته»**[6].

وفيها: أسلم جرير بن عبد الله البجلي[7].

إرسال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن:

روي أن النبي ﷺ: بعث علياً كرم الله وجهه إلى اليمن، فسار إليها وقرأ كتاب

---

(١) المسعودي، التنبيه: ٢٣٦-٢٣٧.
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية: ٣/ ٦٣٥.
(٣) ابن كثير، البداية والنهاية: ٣/ ٦٣٧.
(٤) خليفة بن خياط، التاريخ: ٥٧.
(٥) خليفة بن خياط، التاريخ: ٥٧.
(٦) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٤٥٠.
(٧) ابن قتيبة، المعارف: ٢٩٢.

رسول الله ﷺ على أهل اليمن فأسلمت همدان كلها في يوم واحد. وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فسجد شكراً لله. ثم أمر علياً بأخذ صدقات نجران وجزيتهم ففعل وعاد فلقي رسول الله ﷺ بمكة في حجة الوداع[1].

حجة الوداع:

خرج رسول الله ﷺ حاجاً لخمس بقين من ذي الحجة وقد اختلف في حجه هل كان قارنا أم متمتعاً أم مفرداً؟ والأظهر أنه كان قارناً ولم يحج بعد الهجرة. وحج رسول الله ﷺ بالناس ولقي علي بن أبي طالب رضي الله عنه محرماً فقال: حل حل أصحابك، فقال: إني أهللت بما أهل به رسول الله ﷺ، فبقي على إحرامه ونحر رسول الله ﷺ الهدي عنه وعَلّم رسول الله ﷺ الناس [١٣٦] مناسك الحج والسنن[2]، ونزل قوله تعالى - يوم الجمعة وهو واقف بعرفة - ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾[3]. فبكى أبو بكر لما سمعها وكأنه استشعر أنه ليس بعد الكمال إلا النقص وأنه نعيت إلى نبي الله ﷺ نفسه[4].

وخطب رسول الله ﷺ الناس خطبة بَيّن فيها الأحكام منها: «يا أيها الناس: إنما النسيء زيادة في الكفر وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض «وأن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً». وتم حجه وسميت حجة الوداع لأنه لم يحج بعدها. ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأقام بها حتى خرجت السنة.

سنة إحدى عشرة من الهجرة:

وفيها: توفي رسول الله ﷺ. لما قدم رسول الله ﷺ من حجة الوداع أقام في المدينة، حتى ابتدأ به ﷺ المرض في آخر صفر قيل لليلتين بقيتا منه وهو في بيت زينب بنت جحش. وكان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه وهو في بيت ميمونة بنت الحارث، فجمع نساءه واستأذنهن في أن يمرّض في [١٣٦] بيت عائشة فأذنّ له فانتقل

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ٤/ ٥.
(٢) ابن حزم، حجة الوداع: ٣٩.
(٣) سورة المائدة، الآية ٣.
(٤) ابن كثير، البداية والنهاية: ٤/ ١٢٠.

إليه وكان قد جهز جيشاً مع مولاه أسامة بن زيد وأكد في مسيره في مرضه[1].

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رسول الله ﷺ وبي صداع وأنا أقول: وارأساه، فقال: بل أنا والله يا عائشة أقول ذلك[2]. ثم قال: ما ضرك لو مِت قبلي فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك فقالت: كأني بك والله وقد فعلت ذلك ورجعت إلى بيتي فعرست ببعض نسائك فتبسم رسول الله ﷺ[3].

وفي أثناء مرضه وهو في بيت عائشة خرج بين الفضل والعباس وعلي بن أبي طالب وجلس على المنبر، فحمد الله ثم قال: «أيها الناس من كنتُ جلدتُ له ظهراً فهذا ظهري ومن كنت شتمته فهذا عرضي ومن أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخش الشحناء من قبلي فإنها ليست من شأني» ثم نزل فصلى الظهر ورجع إلى المنبر فقال مثل مقالته فادّعى عليه رجل بثلاثة دراهم فأعطاه عوضها ثم قال: ألا إنّ فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة. ثم صلى على أصحاب أُحد واستغفر لهم. ثم قال: إنّ عبداً خَيّره الله تعالى بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله. فبكى أبو بكر ثم قال: فديناك بأنفسنا.

ولما اشتد به وجعه قال: ائتوني بدواة وبيضاء فأكتب لكم [١٣٨] لن تضلوا بعده أبداً فتنازعوا فقال: لا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: إن رسول الله ﷺ يهجر وكان في أيام مرضه يصلي بالناس وإنما انقطع ثلاثة أيام فلما أذن بالصلاة أول ما انقطع قال: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس. وتزايد به مرضه حتى توفي يوم الاثنين ضحوة النهار وقيل نصفه. قالت عائشة رضي الله عنها: رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت وعنده قدح ماء يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: اللهم أعنّي على سكرات الموت. قالت: وثقل في حجري فذهبت أنظر في وجهه وإذا بصره قد شخص وهو يقول: بل الرفيق الأعلى قالت: فلما قبض وضعت رأسه على وسادة، وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهي[4].

وكانت وفاته ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول. فعلى هذه

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٥٥٣.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٥٦٢.

(٣) ابن إسحاق، السيرة: ٤/٢٣٨.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/٥٦٢.

الرواية يكون يوم وفاته موافقاً ليوم مولده[1].

ولما مات ارتدت العرب إلّا أهل المدينة ومكة والطائف، فإنه لم يدخلها ردة وكان عامل رسول الله ﷺ على مكة عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية فاستخفى خوفاً على نفسه وارتجت مكة وكاد أهلها يرتدون فقام سهيل بن عمرو على باب الكعبة وصاح بقريش وغيرهم فاجتمعوا إليه، فقال: يا أهل مكة كنتم آخر من أسلم، فلا تكونوا أول من ارتد والله ليتمنّ الله هذا الأمر كما قال رسول الله ﷺ. فامتنع أهل مكة من الردة[2].

وحكى القاضي شهاب الدين بن أبي الدم[3] في تاريخه، قال: فاقتحم جماعة على النبي ﷺ ينظرون إليه، وقالوا: كيف يموت وهو شهيد علينا لا والله ما مات بل رفع كما رفع عيسى ونادوا على الباب لا تدفنوه فإن رسول الله ﷺ لم يمت فتربصوا به حتى ربى بطنه. وخرج عمه العباس فقال: والله الذي لا إله غيره لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت[4].

قيل: ودفن رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء ثاني يوم موته. وقيل: ليلة الأربعاء وهو الأصح. وكان الذي تولى غسله علي بن أبي طالب والعباس والفضل وقثم ابنا العباس وأسامة بن زيد وشقران موليا رسول الله ﷺ. فكان العباس وابناه يقلبون وأسامة بن زيد وشقران يصبان الماء وعلي يغسله وعليه قميصه وهو يقول: بأبي أنت طبت حياً وميتاً ولم يُر منه ما يرى من الميت. وكفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وبُرد حبرة ودرج فيها إدراجاً [١٤٠] ودفن تحت فراشه الذي مات عليه وحفر له أبو طلحة الأنصاري ونزل في قبره علي بن أبي طالب والفضل وقثم ابنا العباس[5].

وقد اختلف في مدة عمره فالمشهور أنه ثلاث وستون سنة، لأنه بعث لأربعين سنة، وأقام بمكة يدعو إلى الإسلام ثلاث عشرة سنة وأقام بالمدينة بعد الهجرة قريباً من

---

(١) خليفة بن خياط، التاريخ، ٥٨.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٣٠٤.

(٣) الخبر ليس في المطبوع من كتاب التاريخ المظفري لابن أبي الدم.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٥٦٥.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٥٦٩.

عشر سنين فذلك ثلاث وستون سنة وكسور. وقد مضى ذكره وتحقيقه عند ذكر الهجرة[1].

صفته ﷺ:

وصفه علي ﷺ، فقال: كان ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير، ضخم الرأس كث اللحية، شثن الكفين والقدمين، ضخم الكراديس، مشرباً وجهه حمرة، أدعج العين، سبط الشعر، سهل الخدين، كأن عنقه إبريق فضة[2].

وقال أنس: لم يشنه الله بالشيب كان في مقدم لحيته عشرون شعرة بيضاء وفي مفرق رأسه شعرات بيض[3].

وروي: أنه كان يخضب بالحناء والكتم[4].

وكان بين كتفيه خاتم النبوة وهو بضعة ناشزة حولها شعر مثل بيضة الحمامة تشبه جسده[5].

وقيل كان لونه أحمر[6].

قال القاضي شهاب الدين بن أبي الدم في تاريخه المظفري[7]: وكان أبو رثمة طبيباً في الجاهلية، فقال: يا رسول الله إني أداوي فدعني أطبّ ما بكتفيك فقال: يداويها الذي خلقها[8]. [١٤١]

خُلقه ﷺ:

كان ﷺ أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً، يكثر الذكر ويُقل اللغو، دائم البشر يطيل الصمت، وكان عنده القريب والبعيد والقوي والضعيف في الحق سواء، يحب

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٥٧٩.
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٥٩٤.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٣٩٥.
(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٣٩٥.
(٥) مسلم، الصحيح: ١١٤٢ حديث رقم (٦١٥٥).
(٦) ابن أبي الدم، التاريخ المظفري: ١١٣.
(٧) الخبر ليس في المطبوع من كتاب التاريخ المظفري لابن أبي الدم.
(٨) ابن كثير، البداية والنهاية: ٤/ ٣٩٩.

المساكين ولا يحقر فقيراً لفقره ولا يهاب غنياً لغناه، يؤلف قلوب أهل الشرف، ويصابر من جالسه، ويحلب العنز ويجلس على الأرض، ويلبس المخصوف والمرقوع(١).

عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وكان يأتي على آل محمد الشهر والشهران لا يوقد في بيوتهم نار. وكان ﷺ يربط على بطنه الحجر من الجوع(٢). وما عسى أن يقول الإنسان في خلائق سيد ولد آدم ﷺ وهو المتمم لمكارم الأخلاق.

أولاده ﷺ:

وكل أولاده من خديجة إلّا إبراهيم فإنه من مارية القبطية وولد إبراهيم في سنة ثمان وتوفي سنة عشر. قال المسعودي في الأشراف(٣): عاش إبراهيم سنة وعشرة شهور. وكان أولاده الذكور من خديجة: القاسم وبه يكنى والطيب والطاهر وعبدالله، ماتوا صغاراً. والإناث أربع: فاطمة زوج علي [١٤٢] رضي الله عنهما. وزينب زوج أبي العاص وفرق رسول الله ﷺ [بينهما] ثم ردها إليه بالنكاح الأول لما أسلم. ورقية وأم كلثوم تزوج بهما عثمان بن عفان رضي الله عنه واحدة بعد أخرى(٤).

زوجاته ﷺ:

وتزوج ﷺ خمس عشرة امرأة دخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة، وقيل دخل بإحدى عشرة ولم يدخل بأربع. وتوفي عن تسع غير مارية، والتسع هن: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وسودة بنت زمعة، وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث، وصفية بنت حييّ، وجويرية، وأم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهن(٥).

وكان يكتب له عثمان أحياناً وعلي بن أبي طالب، وكتب له خالد بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد والعلاء بن الحضرمي. وأول من كتب له أبيّ بن كعب وزيد بن

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٣٨٨.
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية: ٤/ ٤٢٨.
(٣) الخبر ليس في المطبوع من التنبيه والإشراف، وهو في مروج الذهب: ٢/ ٢٩٠.
(٤) ابن قتيبة، المعارف: ١٤١.
(٥) ابن إسحاق، السيرة: ٤/ ٢١٤.

ثابت وعبد الله بن أبي سرح وارتد ثم أسلم يوم الفتح. ومعاوية بن أبي سفيان أيضاً كتب له[1].

وكان لرسول الله ﷺ من السلاح سيفه المسمى ذا الفقار غنمه يوم بدر وكان لمنبّه ابن الحجاج السهمي. وسمي ذا الفقار لحفر فيه. وغنم من بني قينقاع ثلاثة أسياف وقدم معه إلى المدينة لما هاجر سيفان شهد بأحدهما بدراً وكان له أرماح ثلاثة وثلاثة قسي ودرعان غنمهما من بني [١٤٣] قينقاع وكان له ترس وفيه تمثال فأصبح وقد أذهبه الله[2].

عدد غزواته ﷺ:

قيل تسع عشرة غزوة، وقيل ستاً وعشرين، وقيل سبعاً وعشرين وآخرها غزوة تبوك. وقع القتال منها في تسع: بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، وحنين، والطائف، وباقي الغزوات لم يجر فيها قتال. وأما السرايا والبعوث فقيل هي خمس وثلاثون وقيل ثمان وأربعون[3].

أصحابه ﷺ:

وقد اختلف الناس فيمن يطلق عليه صحابي، فكان سعيد بن المسيب لا يعد الصحابي: إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة وأكثر وغزا معه[4]. وقال بعضهم: كل من أدرك الحلم وأسلم ورأى النبي ﷺ فهو صحابي، ولو أنه صحب رسول الله ﷺ ساعة[5]. وقال بعضهم: لا يكون صحابياً إلا من تخصص به الرسولﷺ وتخصص هو بالرسول ﷺ بأن يثق رسول الله ﷺ بسريرته ويلازم هو رسول الله ﷺ في السفر والحضر[6]. والأكثر على أن الصحابي: من أسلم ورأى النبي ﷺ وصحبه ولو أقل زمان[7].

---

(١) ابن أبي الدم، التاريخ المظفري: ٩٨.
(٢) ابن أبي الدم، التاريخ المظفري: ١٠٩.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ١/ ٢٨١.
(٤) ابن حجر، الإصابة: ١/ ٨ المقدمة.
(٥) ابن حجر، الإصابة: ١/ ٨ المقدمة.
(٦) ابن حجر، الإصابة: ١/ ٧ المقدمة.
(٧) ابن حجر، الإصابة: ١/ ٨ المقدمة.

وأما عددهم على هذا القول الأخير، فقد روي أن النبي [١٤٤] ﷺ سار في عام فتح مكة في عشرة آلاف مسلم، وسار إلى العدد الذين تجمعوا بحنين في اثني عشر ألفاً. وسار إلى حجة الوداع في أربعين ألفاً. وأنهم كانوا عند وفاته مائة ألف وأربعة وعشرين ألف.

وأما مراتبهم: فالمهاجرون أفضل من الأنصار على الإجمال، وأما على التفضيل فسبّاق الأنصار أفضل من متأخري المهاجرين.

وقد رتب أصحاب التواريخ الصحابة على طبقات: **الطبقة الأولى**: أول الناس إسلاماً كخديجة وعلي وزيد وأبي بكر ومن تلاهم ولم يتأخر إلى دار الندوة. **الثانية**: أصحاب دار الندوة وفيها أسلم عمر رضي الله عنه. **الثالثة**: المهاجرون إلى الحبشة. **الرابعة**: أصحاب العقبة الأولى وهم سُبّاق الأنصار رضي الله عنهم. **الخامسة**: أصحاب العقبة الثانية. **السادسة**: أصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين رضي الله عنهم. **السابعة**: المهاجرين الذين وصلوا إلى النبي ﷺ بعد هجرته وهو بقباء قبل بناء مسجده. **الثامنة**: أهل بدر الكبرى. **التاسعة**: الذين هاجروا بين بدر والحديبية. **العاشرة**: أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة. **الحادية عشرة**: الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح [١٤٥]. **الثانية عشرة**: الذين أسلموا يوم الفتح .**الثالثة عشرة**: صبيان أدركوا النبي ﷺ ورأوه.

ومن الصحابة أهل الصُّفَّة: وكانوا أناساً فقراء لا منازل لهم ولا عشائر، ينامون على عهد رسول الله ﷺ في المسجد ويظلون فيه. وكانت صُفَّة المسجد مثواهم فنسبوا إليها. وكان إذا تعشى النبي ﷺ يدعونهم طائفة يتعشون معه، ويفرق الباقون على الصحابة. وكان من مشاهيرهم أبو هريرة وواثلة بن الأسقع وأبو ذر رضي الله عنهم.

خبر الأسود العنسي(١):

وفي مدة مرض رسول الله ﷺ قُتل الأسود العنسي واسمه: عبهلة بن كعب، ويقال له: ذو الخمار، لأنه كان يقول: يأتيني ذو خمار. وكان الأسود يشعبذ ويُري الجهال الأعاجيب، ويسبي بمنطقه قلب من يسمعه، وهو ممن ارتد وتنبأ من الكذابين،

(١) انظر تفاصيل أمره البلاذري، فتوح البلدان: ١٤٦.

وكاتبه أهل نجران وكان هناك من المسلمين عمرو بن حزم، وخالد بن سعيد بن العاص فأخرجهما أهل نجران وسلموها إلى الأسود. ثم سار الأسود من نجران إلى صنعاء فملكها وصفا له اليمن واستفحل أمره، وكان خليفته في مذحج عمرو بن معدي كرب.

فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك بعث رسولاً إلى الأبناء وأمرهم أن يجادلوا الأسود إما غيلة أو مصادمة [١٤٦] وأن يستنجدوا رجالاً من حمير وهمدان .

وكان الأسود قد تغير على قيس بن عبد يغوث فاجتمع به جماعة ممن كاتبهم رسول ﷺ، وتحدثوا معه في قتل الأسود فوافقهم واجتمعوا بامرأة الأسود، وكان الأسود قد قتل أباها، فقالت: والله إنه أبغض الناس إليّ، ولكن الحرس محيطون بقصره، فانقبوا عليه البيت فواعدوها على ذلك ونقبوا عليه البيت، ودخل عليه شخص اسمه فيروز فقتل الأسود واحتز رأسه، فخار خوار الثور، فابتدر الحرس الباب، فقالت: النبي يوحى إليه، فلما طلع الفجر أذن المؤذن، وقال: أشهد أن محمداً رسول الله وأن عبهلة كذاب.

وكتب أصحاب النبي ﷺ بذلك، فورد الخبر من السماء إلى النبي ﷺ وأعلم أصحابه بقتل الأسود المذكور، ووصل الكتاب بقتل الأسود في خلافة أبي بكر ﷺ، فكان كما أخبر به رسول الله ﷺ.

وروى عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ قال: «أيها الناس إني قد رأيت ليلة القدر ثم انتزعت مني ورأيت في يدي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا فأولتهما هذين الكذابين: صاحب اليمامة وصاحب صنعاء، ولن تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً كل منهم يزعم أنه نبي»(١). [١٤٧]

وكان قتل الأسود قبل وفاة رسول الله ﷺ بيوم وليلة. وكان أول خروج الأسود إلى أن قتل أربعة أشهر(٢). وأما مسيلمة فيذكر في خلافة أبي بكر ﷺ.

أخبار أبي بكر الصديق ﷺ وخلافته:

ولما قبض الله نبيه ﷺ قال عمر بن الخطاب ﷺ: من قال إن رسول الله ﷺ قد مات علوت رأسه بسيفي هذا، وإنما ارتفع إلى السماء(٣). فقرأ أبو بكر: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا

---

(١) ابن هشام، السيرة: ٤/ ١٨٧.

(٢) الطبري، تاريخ: ٣/ ٢٤٠.

(٣) ابن هشام، السيرة: ٤/ ٢٢٨.

﴿رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ إلى قوله: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1].

وبادروا سقيفة بني ساعدة، فبايع عمر أبا بكر رضي الله عنهما، وانثال الناس عليه يبايعونه في العشر الأوسط من ربيع الأول سنة إحدى عشرة خلا جماعة من بني هاشم والزبير وعتبة بن أبي لهب وخالد بن سعيد بن العاص والمقداد بن عمرو الكندي وسلمان الفارسي وأبو ذر وعمار بن ياسر والبراء بن عازب وأُبي بن كعب، ومالوا مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقال في ذلك عتبة بن أبي لهب: [البسيط]

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف ... عن هاشم ثم منهم عن أبي الحسن

عن أول الناس إيماناً وسابقة ... وأعلم الناس بالقرآن والسنن [١٤٨]

وآخر الناس عهداً بالنبي ومن ... جبريل عون له في الغسل والكفن

من فيه ما فيهم لا يمترون به ... وليس في القوم ما فيه من الحسن

وكذلك تخلف عن بيعة أبي بكر أبو سفيان بن حرب، ثم إن أبا بكر بعث عمر ابن الخطاب إلى علي ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة رضي الله عنها، وقال: إن أبوا عليك فقاتلهم. فأقبل عمر بشيء من نارٍ على أن يضرم الدار فلقيته فاطمة، فقالت: إلى أين يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا. قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة، فخرج علي حتى [أتى] أبا بكر فبايعه. كذا نقله ابن واصل وأسنده إلى ابن عبد ربه المغربي.

وروى الزهري عن عائشة قالت: لم يبايع علي أبا بكر حتى ماتت فاطمة، وذلك بعد ستة أشهر لموت أبيها ﷺ، فأرسل علي إلى أبي بكر رضي الله عنهما فأتاه في منزله فبايعه. وقال علي له: ما نفسنا عليك ما ساقه الله إليك من فضل وخير، ولكنا نرى أن لنا في هذا الأمر شيئاً فاستبددت دوننا وما ننكر فضلك[2].

ولما تولى أبو بكر كان أسامة بن زيد مبرزاً، وكان عمر بن الخطاب من جملة جيش أسامة على ما عينه رسول الله ﷺ، فقال عمر لأبي بكر: إن الأنصار تطلب رجلاً أسن من أسامة فوثب أبو بكر، وكان جالساً فأخذ بلحية عمر، وقال: ويحك استعمله رسول الله ﷺ، [١٤٩] وتأمرني بعزله. ثم خرج أبو بكر إلى جيش أسامة فأشخصهم

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

(٢) الطبري، تاريخ: ٣/٢٠٨.

وهو ماش وأسامة راكب، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لأنزلن. فقال أبو بكر: والله لا تنزل ولا أركب وما علي أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله. ولما أراد الرجوع قال أبو بكر لأسامة: إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل، فأذن أسامة لعمر في المقام[1].

وفي خلافة أبي بكر: ادعت سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية النبوة وتبعها بنو تميم وأخوالها من تغلب وغيرهم من بني ربيعة وقصدت مسيلمة الكذاب، ولما وصلت إليه قصدت الاجتماع به، فقال لها: أبعدي أصحابك ففعلت ونزل وضرب لها قُبّة وطيبها بالبخور، واجتمع بها وقالت له: بماذا أوحي إليك، فقال: ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى. قالت: وماذا أنزل عليك أيضاً، قال: ألم تر إلى ربك كيف خلق الناس أفواجاً، وجعل النساء لهن أزواجاً، فنولج فيهن إيلاجاً، ثم نخرج منها ما شاء إخراجاً، فينتجن لنا إنتاجاً[2].

ولم تزل سجاح في أخوالها من تغلب حتى نفاهم معاوية عام بويع فيه فأسلمت سجاح وحسن إسلامها وانتقلت إلى البصرة وماتت بها[3].

وفي أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه قتل مسيلمة الكذاب وكان أبو بكر رضي الله عنه قد أرسل إلى قتاله جيشاً وقدم عليه خالد بن الوليد فجرى بينهم قتال شديد وآخره انتصر المسلمون وهزم الله المشركين. وقتل مسيلمة وحشي بالحربة التي قتل بها حمزة عم رسول الله ﷺ وشاركه في قتله رجل من الأنصار عبد الله بن زيد بن عاصم، وكان مقام مسيلمة باليمامة[4].

وكان مسيلمة قد قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني حنيفة فأسلم ثم ارتد وادعى النبوة استقلالاً ثم مشاركة مع النبي ﷺ[5]. وقتل من المسلمين في حرب مسيلمة جماعة من القراء من المهاجرين والأنصار[6].

---

(١) الطبري، تاريخ: ٣/ ٢٢٣-٢٢٧.

(٢) الطبري، تاريخ: ٣/ ٢٧٣.

(٣) الطبري، تاريخ: ٣/ ٢٧٥.

(٤) الطبري، تاريخ: ٣/ ٢٨١.

(٥) الطبري، تاريخ: ٣/ ١٣٧.

(٦) الطبري، تاريخ: ٣/ ٢٩٦.

ولما رأى أبو بكر كثرة من قتل أمر بجمع القرآن من أفواه الرجال وكتبه في جريد النخل والجلود، وجعل ذلك المكتوب عند حفصة بنت عمر زوج النبي ﷺ. ولما تولى عثمان رأى اختلاف الناس في القراءات فكتب من ذلك [١٥١] المكتوب الذي عند حفصة نسخاً وأرسلها إلى الأمصار وأبطل ما سواها(١).

وفي أيام أبي بكر رضي الله عنه: منعت بنو يربوع الزكاة، وكان كبيرهم مالك بن نويرة، وكان مالك فارساً مطاعاً قدم إلى رسول الله ﷺ فأسلم فولاه صدقة قومه، فلما منع الزكاة أرسل أبو بكر إلى مالك خالد بن الوليد في معنى الزكاة. فقال مالك: أنا آتي بالصلاة دون الزكاة، فقال خالد: أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً لا تقبل واحدة دون الأخرى؟ فقال مالك: قد كان صاحبكم يقول ذلك؟ فقال خالد: أو ما تراه لك صاحباً؟ والله لقد هممت أن أضرب عنقك ثم تجاولا في الكلام، فقال له خالد: إني قاتلك. فقال له: وبذلك أمرك صاحبك؟ فقال خالد: وهذه بعد تلك؟ وكان عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري، فكلما خالداً [في] أمره فكره كلامهما، فقال مالك: يا خالد ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم بيننا، فقال خالد: لا أقالني الله إن أقلتك وتقدم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه، فالتفت مالك إلى زوجته وقال لخالد: هذه التي قتلتني، وكانت في غاية الجمال، فقال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام، فقال مالك: أنا على دين [١٥٢] الإسلام، فقال خالد: يا ضرار اضرب عنقه فضرب عنقه وكان رأسه أثفية القدر، وكان من أكثر الناس شعراً، وقبض خالد امرأته، قيل إنه اشتراها من الفيء وتزوج بها، وقيل: إنها اعتدت ثلاث حيض وتزوج بها، وقال لابن عمر وأبي قتادة احضرا النكاح فأبيا وقال له ابن عمر: نكتب إلى أبي بكر ونعلمه بأمرها وتتزوج بها فأبى، وتزوجها(٢). وفي ذلك يقول أبو نمير السعدي: [الطويل]

ألا قل لحي أوطنوا بالسنابك ... تطاول هذا الليل من بعد مالك

قضى خالد بغياً عليه بعرسه ... وكان له فيها هوى قبل ذلك

فأمضى هواه خالد غير عاطف ... عنان الهوى عني ولا متمالك

فأصبح ذا أهل وأصبح مالك ... إلى غير أهل هالكاً في الهوالك

---

(١) العسكري، الأوائل: ١٠٣.

(٢) الطبري، تاريخ: ٣/٢٧٦.

ولما بلغ ذلك أبا بكر وعمر، قال عمر لأبي بكر: إنَّ خالداً قد زنى فارجمه قال: ما كنت لأرجمه فإنه تأول فأخطأ، قال: فإنه قد قتل مسلماً فاقتله، قال: ما كنت لأقتله لأنه تأول فأخطأ، قال: فاعزله، قال: ما كنت أغمد سيفاً سله الله[1].

ولما بلغ متمم بن نويرة مقتل مالك أخيه بكاه وندبه بالأشعار الكثيرة فمن ذلك قوله في قصيدته المشهورة منها[2]: [الطويل]

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا ... أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا [١٥٣]

فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وفي أيام أبي بكر رضي الله عنه فتحت الحيرة بالأمان على الجزية.

سنة اثنتي عشرة وسنة ثلاث عشرة للهجرة:

فيها: كانت وقعة اليرموك وهي الوقعة العظيمة التي كانت سبب فتوح الشام وكانت سنة ثلاث عشرة للهجرة. وكان هرقل إذ ذاك بحمص فلما بلغه هزيمة الروم باليرموك رحل عن حمص وجعلها بينه وبين المسلمين[3].

ولما فرغ خالد بن الوليد وأبو عبيدة من وقعة اليرموك وقصدا دمشق فجمع صاحب بصرى الجموع للملتقى، ثم إن صاحب بصرى طلب الصلح فصولح على كل رأس دينار وجريب حنطة.

وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

وقد اختلف في سبب موته فقيل إن اليهود سمته في أرز وقيل في حسو فأكل هو والحارث بن كلدة، فقال الحارث: أكلنا طعاماً مسموماً سمّ سنة فماتا بعد سنة[4].

وعن عائشة رضي الله عنها أنه اغتسل وكان يوماً بارداً فحم خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى

---

(١) الطبري، تاريخ: ٣/ ٢٧٨.

(٢) الأصفهاني، الأغاني: ١٥/ ٢٠٥.

(٣) الطبري، تاريخ، ٣/ ٣٩٤.

(٤) الطبري، تاريخ: ٣/ ٤١٩.

الصلاة وأمر عمر أن يصلي بالناس وعهد إليه بالخلافة ثم توفي مساء ليلة الثلاثاء بين المغرب [١٥٤] والعشاء، لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة. وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال. وعمره ثلاث وستون سنة(١).

وغسلته زوجته أسماء بنت عميس وحمل على السرير الذي حمل عليه رسول الله ﷺ. وصلى عليه عمر في مسجد رسول الله ﷺ بين القبر والمنبر. وأوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ فحفر له وجعل رأسه عند كتفي رسول الله ﷺ(٢).

وكان حسن القامة، خفيف العارضين، معروق الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، أجنى، عاري الأشاجع، يخضب بالحناء والكتم(٣).

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

بويع بالخلافة في اليوم الذي دفن فيه أبو بكر وأول خطبة خطبها، قال: «يا أيها الناس والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ له من القوي ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ للضعيف منه الحق»(٤).

ثم أول شيء أمر به أن عزل خالداً عن الإمرة وولى أبا عبيدة على الجيش والشام، وأرسل بذلك إليهما(٥).

وهو أول من سمي بأمير المؤمنين، وكان أبو بكر يخاطب بخليفة رسول الله ﷺ(٦).

ثم سار أبو عبيدة ونازل دمشق وكانت منزلته [١٥٥] من جهة الجابية، ونزل خالد من جهة باب توما، ونزل عمرو بن العاص بناحية أخرى، وحاصرها قريباً من سبعين ليلة وفتح خالد ما يليه بالسيف فخرج أهل دمشق وبذلوا الصلح لأبي عبيدة من الجانب

---

(١) الطبري، تاريخ: ٣/ ٤١٩.
(٢) الطبري، تاريخ: ٣/ ٤٢١.
(٣) الطبري، تاريخ: ٣/ ٤٢٤.
(٤) الطبري، تاريخ: ٣/ ٤٢٨.
(٥) الطبري، تاريخ: ٣/ ٤٣٤.
(٦) الطبري، تاريخ: ٤/ ١٩٣.

الآخر وفتحوا له الباب فأمنهم ودخل والتقى مع خالد في وسط البلد وبعث أبو عبيدة بالفتح إلى عمر(١).

وفي أيامه فتح العراق.

سنة أربع عشرة للهجرة:

فيها: في المحرم أمر عمر ببناء البصرة فاختطت(٢). وفيها: توفي أبو قحافة أبو أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعمره تسع وتسعون. فكانت وفاته بعد ابنه أبي بكر رضي الله عنه(٣).

سنة خمس عشرة للهجرة:

فيها: فتحت حمص بعد دمشق بعد حصار طويل حتى طلب الروم الصلح فصالحهم أبو عبيدة على ما صالح عليه أهل دمشق. ثم سار إلى حماة(٤). قال القاضي جمال الدين بن واصل في التاريخ المظفري: الذي نقلنا هذا منه أن حماة كانت في زمن داود وسليمان عليهما السلام مدينة عظيمة. قال: وقد وجدت ذكرها في أخبار داود وسليمان عليهما السلام في أسفار الملوك الذي بأيدي اليهود وكذلك في زمن اليونان. إلا أنها في زمن الفتوح وقبله كانت صغيرة [١٥٦] هي وشيزر وكانا من عمل حمص، وكانت حمص كرسي مملكة هذه البلاد وقد ذكرها امرؤ القيس في قصيدته التي أولها(٥): [الطويل]

سما لك شوقٌ بعدما كان أقصرا

ومن جملتها:

تَقَطَّع أسبابُ الملامة والهوى ... عشيَّة جاوزنا حماة وشيزرا

ولما وصل أبو عبيدة إلى حماة فخرجت الروم التي بها إليه يطلبون الصلح فصالحهم على الجزية لرؤوسهم والخراج على أرضهم وجعل كنيستهم العظمى جامعاً وهو جامع سوق الأعلى من حماه، ثم جدد في خلافة المهدي من بني العباس وكان على لوح منه مكتوب أنه جدد من خراج حمص.

---

(١) الطبري، تاريخ: ٣/ ٤٣٨.
(٢) الطبري، تاريخ: ٣/ ٥٩٠.
(٣) الطبري، تاريخ: ٣/ ٤٢٤.
(٤) الطبري، تاريخ: ٣/ ٥٩٩.
(٥) امرؤ القيس، الديوان: ٥٩، ٦٢.

ثم سار أبو عبيدة إلى شيزر فصالحه أهلها على ما صالح عليه أهل حمص. وكذلك أهل المعرة. وكان يقال لها معرة حمص ثم قيل لها معرة النعمان بن بشير الأنصاري لأنها كانت مضافة إليه مع حمص في خلافة معاوية.

ثم سار أبو عبيدة إلى اللاذقية ففتحها عنوة، وفتح جبلة وأنطرسوس ثم سار إلى قنسرين وكانت كرسي المملكة المنسوبة اليوم إلى حلب. وكانت حلب من جملة أعمالها، ولما نازلها أبو عبيدة هو وخالد بن الوليد كان بها جمع عظيم من الروم فجرى بينهم قتال شديد انتصر فيه المسلمون، ثم بعد ذلك [١٥٧] طلب أهلها الصلح على صلح أهل حمص فأجابهم على أن يخربوا المدينة فخربت ثم فتح بعد ذلك حلب وأنطاكية ومنبج ودلوك وسرمين وبيرين وعزاز واستولى على الشام من هذه الناحية.ثم سار خالد إلى مرعش ففتحها وأجلى أهلها وأخربها وفتح حصن الحدث.

وفي سنة خمس عشرة المذكورة أيس هرقل من الشام، وسار إلى قسطنطينية من الرها. ولما سار هرقل علا على نشز من الأرض ثم التفت إلى الشام وقال: «السلام عليك يا سوريا سلام لا اجتماع بعده أبداً ولا يعود إليك رومي أبداً إلَّا خائفاً حتى يولد المشؤوم وليته لم يولد فما أجل فعله على الروم وأمرَّ فتنته»[١].

ثم فتحت قيسارية وصبصطية وبها قبر يحيى بن زكريا. ونابلس ويافا، وتلك البلاد جميعها.

وأما بيت المقدس فطال حصاره، وطلب أهله من أبي عبيدة أن يصالحهم على صلح أهل الشام بشرط أن يكون عمر بن الخطاب متولي الصلح. فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك، فقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى القدس وفتحها واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢].

وفي هذه السنة أعني سنة خمس عشرة: وضع عمر الدواوين وفرض العطاء للمسلمين، ولم يكن قبل ذلك. فقيل له: ابدأ بنفسك، فامتنع من ذلك وبدأ بالعباس عم رسول الله ﷺ، ففرض له خمسة وعشرين [١٥٨] ألفاً ثم بدأ بالأقرب فالأقرب من رسول الله ﷺ. وفرض لأهل بدر خمسة آلاف، وفرض لمن بعدهم إلى

---

(١) الطبري، تاريخ: ٣/ ٦٠٢.

(٢) الطبري، تاريخ: ٣/ ٦٠٨.

الحديبية وبيعة الرضوان إلى أربعة آلاف ثم لمن بعدهم ثلاثة آلاف، وفرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين، وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفاً ألفاً، ولروادفهم خمسمائة خمسمائة ثم ثلاثمائة ثلاثمائة ثم مائتين وخمسين[١].

وكان في هذه السنة أعني سنة خمس عشرة وقعة القادسية: وكان المتولي لحرب الأعاجم عظيم منهم دام أياماً، وكان اليوم الأول يوم أغواث ثم يوم عماس ثم ليلة الهرير لتركهم الكلام فيها. وكانوا يهرون هريراً حتى أصبح الصباح ودام القتال إلى الظهيرة وهبت ريح عاصفة ومال الغبار على المسلمين وانتهى القعقاع وأصحابه إلى سرير رستم، وقد قام رستم عنه واستظل تحت بغال عليها مال وصلت من كسرى للنفقة، ولما شدوا على رستم هرب، ولحقه هلال بن علقمة فقتله، ثم جاء به ورمى به بين أرجل البغال وصعد السرير ونادى: قتلت رستماً ورب الكعبة، وتمت الهزيمة على العجم وقتل منهم ما لا يحصى، ثم ارتحل سعد ونزل دجلة على بهرسير قبالة مدائن كسرى وإيوانه المشهور، ولما شاهد المسلمون إيوان كسرى كبروا وقالوا: هذا أبيض كسرى وهذا ما وعد الله ورسوله[٢]. [١٥٩]

سنة ست عشرة:

وأقام سعد على بهرسير إلى أيام من صفر ثم عبر دجلة وهربت الفرس من المدائن نحو حلوان، وكان يزدجرد قد قدّم عياله إلى حلوان وخرج هو ومن معه بما قدروا عليه من المتاع، ودخل المسلمون المدائن وقتلوا كل من وجدوه وأحاطوا بالقصر الأبيض فنزل به سعد واتخذ إيوان كسرى مصلى، واحتاط على أموال من الذهب والثياب تخرج من الإحصاء، وأدرك بعض المسلمين بغلاً وقع في الماء عليه حلية كسرى من التاج والمنطقة والدرع وغير ذلك مكللاً بالجوهر، ووجدوا أشياء يطول شرحها، وكان لكسرى بساط طوله ستون ذراعاً في ستين ذراعاً وكان على هيئة روضة قد صورت فيه الزهور بالجوهر على قصبات الذهب، فاستوهب سعد ما يخص أصحابه منه وبعث به إلى عمر فقطعه عمر وقسمه بين المسلمين فأصاب علي بن أبي طالب منه قطعة فباعها بعشرين ألف درهم[٣].

---

(١) الطبري، تاريخ: ٣/ ٦١٣.

(٢) الطبري، تاريخ: ٣/ ٤٨٠.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان: ١٥٩.

وأقام سعد بالمدائن وأرسل جيشاً إلى جلولاء وكان قد اجتمع بها جمع من الفرس فانتصر المسلمون وقتلوا منهم جماعة. وهي الوقعة المعروفة بوقعة جلولاء(١).

وكان يزدجرد بحلوان فسار عنها وقصدها المسلمون واستولوا عليها ثم فتح المسلمون تكريت والموصل ثم فتحوا ماسبذان عنوة وكذلك قرقيسيا.

وفي هذه السنة أعني سنة ست عشرة [١٦٠] قدم جبلة بن الأيهم الغساني على عمر بن الخطاب فتلقاه جماعة من المسلمين ودخل في زيّ حسن وبين يديه جنائب مقادة ولبس أصحابه الديباج. ثم خرج عمر إلى الحج في هذه السنة فحج جبلة معه فبينا جبلة طائفاً إذ وطئ رداءه رجل من فزارة فلطمه جبلة فهشم أنفه، فأقبل الفزاري إلى عمر وشكاه فأحضره عمر وقال: افتدِ نفسك وإلّا أمرته أن يلطمك، فقال جبلة: كيف ذلك وأنا ملك وهو سوقة، فقال عمر: إن الإسلام جمعكما وسوى بين الملك والسوقة في الحد. فقال جبلة: كنت أظن أني بالإسلام أعز مني في الجاهلية، فقال عمر: دع عنك هذا، فقال جبلة: أتنصر، فقال عمر: إن تنصرت ضربت عنقك، فقال: أنظرني ليلتي هذه فأنظره، فلما جاء الليل سار جبلة بخيله ورجله إلى الشام ثم سار إلى قسطنطينية وتبعه خمسمائة رجل من قومه فتنصروا عن آخرهم وفرح بهم هرقل ثم ندم جبلة على فعله ذلك، وقال: [الطويل]

تنصرت الأشراف من عار لطمة ... وما كان فيها لو صبرت بها ضرر
تكنّفني فيها لجاج ونخوة ... وبعت بها العين الصحيحة بالعور

وكان قد مضى رسول عمر إلى هرقل وشاهد حال جبلة وما حصل عنده من النعمة، فأرسل جبلة خمسمائة دينار لحسان بن ثابت وأوصلها عمر إليه ومدحه بأبيات منها: [الكامل]

إن ابن جفنة من بقية معشر ... لم يغذهم آباؤهم باللوم [١٦١]
لم ينسني بالشام إذ هو ربُّها ... كلاّ ولا متنصراً بالروم
يعطي الجزيل ولا يراه عنده ... إلّا كبعض عطية المذموم(٢)

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان: ١٦٠.

(٢) الخبر بطوله مع الشعر في الأصفهاني، الأغاني: ١٥/١١١.

سنة سبع عشرة:

فيها: اختطت الكوفة وتحول سعد إليها[1]. وفي هذه السنة: اعتمر عمر وأقام بمكة عشرين ليلة ووسع في المسجد الحرام وهدم منازل قوم أبوا أن يبيعوها وجعل أثمانها في بيت المال. وتزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وأمها فاطمة عليها السلام[2].

وفي هذه السنة: كانت واقعة المغيرة بن شعبة، وهي أن عمر ولاه البصرة وكان في قبالة العُلية التي للمغيرة بن شعبة عليه فيها أربعة وهم: أبو بكرة مولى رسول الله ﷺ وأخوه لامه زياد بن أبيه ونافع بن كلدة وشبل بن معبد، فرفعت الريح الكوة عن العُلية فنظروا إلى المغيرة وهو على أم جميل بنت الأرقم بن عامر بن صعصعه، وكانت تغشى المغيرة، فكتبوا إلى عمر بذلك فعزل المغيرة واستقدمه والشهود. وولي البصرة أبا موسى الأشعري فلما قدموا على عمر شهد أبو بكرة ونافع وشبل على المغيرة بالزنا، وأما زياد ابن أبيه فلم يفصح بشهادة الزنا. وكان عمر قد قال عنه قبل أن يشهد: أرى رجلاً أرجو أن لا يفصح الله به رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال زياد: رأيته جالساً بين رجلي امرأة ورأيت رجلين مرفوعين كأذني حمار ولقساً يعلو واستاً تنبو عن ذكر ولا أعرف ما وراء ذلك، فقال عمر: هل [١٦٢] رأيت الميل في المكحلة، قال: لا، قال: فهل تعرف المرأة، قال: لا، ولكن أشبهها فأمر عمر بالثلاثة فحدُّوا حدَّ القذف. فحلف أبو بكرة لا يكلم زياداً أبداً[3].

وفيها: فتح المسلمون الأهواز وكان قد استولى عليها الهرمزان. ثم فتحوا رام هرمز وتستر وتحصن الهرمزان في قلعة الأهواز وحاصروه فطلب الصلح على حكم عمر فأنزل على ذلك وأرسلوا به إلى عمر مع وفد بينهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس، ولما وصلوا إلى المدينة ألبسوه كسوة من الديباج المذهب ووضعوا على رأسه تاجه وهو مكلل بالياقوت ليراه عمر والمسلمون، فطلبوا عمر فلم يجدوه، فسألوا عنه فقيل جالس في المسجد فأتوه وهو نائم فجلسوا دونه، فقال الهرمزان: أين هو عمر، قيل: هو ذا، قال: فأين حرسه وحجابه، قالوا: ليس له حارس ولا حاجب، واستيقظ عمر ونظر إلى الهرمزان وقال: الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا وأشياعه وأمر بنزع ما عليه

---

(١) العسكري، الأوائل: ٢٠٤.

(٢) الطبري، تاريخ: ٤/ ٦٨-٦٩.

(٣) الطبري، تاريخ: ٤/ ٦٩-٧٢.

فنزعوه وألبسوه ثوباً، فقال له عمر: كيف كان عاقبة أمر الله، فقال الهرمزان: نحن وإياكم في الجاهلية لما خلا الله بيننا وبينكم غلبناكم، ولما كان الله الآن معكم غلبتمونا، ودار بينهم الكلام فطلب الهرمزان ماء فأتي به، فقال: أخاف أن تقتلني وأنا أشرب، فقال عمر: لا بأس عليك حتى تشرب، فرمى بالإناء فانكسر فقصد عمر قتله، فقال الصحابة، إنك أمنته بقولك لا بأس عليك إلى أن تشرب ولم يشرب، وآخر الأمر أن الهرمزان [١٦٣] أسلم وفرض له عمر ألفين(١).

سنة ثماني عشرة:

فيها: حصل في المدينة والحجاز قحط عظيم فكتب إلى سائر الأمصار يستعينهم، فكان ممن قدم عليه أبو عبيدة من الشام بأربعة آلاف راحلة من الزاد، فقسم عمر ذلك على المسلمين حتى رخص الطعام بالمدينة، ولما اشتد القحط خرج عمر ومعه العباس وجمع الناس واستسقى مستشفعاً بالعباس فما رجع حتى تداركت الأمطار وأقبل الناس يتمسحون بأذيال العباس رضي الله عنه(٢).

وفي هذه السنة: كان طاعون عمواس بالشام، مات فيه: أبو عبيدة واسمه عامر ابن الجراح الفهري أحد العشرة. واستخلف أبو عبيدة على الناس معاذ بن جبل الأنصاري فمات أيضاً بالطاعون، واستخلف عمرو بن العاص. ومات من الناس في هذا الطاعون خمسة وعشرون ألفاً وطال مكثه شهراً. وطمع العدو في المسلمين وأصاب الناس في البصرة مثله(٣).

وفي هذه السنة سار عمر إلى الشام ليقسم مواريث الذين ماتوا ورجع إلى المدينة في ذي القعدة(٤).

سنة تسع عشرة وعشرين:

فيها: فتحت مصر والإسكندرية على يد عمرو بن العاص والزبير بن العوام فنازلا عين شمس وهي بقرب المطريّة وكان بها جمعهم ففتحاها وبعث عمرو بن العاص أبرهة

---

(١) المقدسي، البدء والتاريخ: ٢/ ٢٠٥.
(٢) العسكري، الأوائل: ١٢٦.
(٣) المقدسي، البدء والتاريخ: ٢/ ٢٠٩.
(٤) المقدسي، البدء والتاريخ: ٢/ ٢٠٩.

ابن الصباح إلى الفرما وضرب عمرو فسطاطه موضع جامعه بمصر الآن وبنى الجامع المعروف به. ثم توجه إلى الإسكندرية ففتحها عنوة بعد قتال [١٦٤] كثير(١).

وفيها: أعني سنة عشرين توفي بلال بن حمامة واسم أبيه رباح مؤذن رسول الله ﷺ وطلب من أبي بكر أن يرسله في الجهاد فسأله أبو بكر أن يقيم معه فأقام حتى تولى عمر فسأله عمر ذلك فأبى بلال وسار إلى دمشق وأقام بها حتى مات ودفن عند الباب الصغير(٢).

سنة إحدى وعشرين:

فيها: كانت وقعة نهاوند مع الأعاجم وكان قد اجتمعوا في مائة ألف وخمسين ألفاً ومقدمهم الفيرزان فجرى بينهم وبين المسلمين حروب كثيرة آخرها أن المسلمين هزموا الأعاجم وأفنوهم قتلاً وهرب مقدمهم الفيرزان فلما وصل إلى همذان وجد بغالاً عليهن عسل فلم يقدر على المضي فنزل عن فرسه وهرب في الجبل فتبعه القعقاع راجلاً فقتله فقال المسلمون: إنّ لله جنداً من عسل(٣).

وفيها: فتحت الدينور والصيمرة وهمذان وأصبهان(٤).

وفيها: توفي خالد بن الوليد واختلف في موضع قبره فقيل بحمص وقيل بالمدينة(٥).

سنة اثنتين وعشرين:

فيها: فتحت أذربيجان والري وجرجان وقزوين وزنجان وطبرستان(٦).

وفيها: سار عمرو بن العاص إلى برقة فصالحه أهلها على الجزية. ثم سار إلى طرابلس الغرب فحاصرها وفتحها عنوة(٧).

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان: ١٣٠.
(٢) المقدسي، البدء والتاريخ: ٢/ ١٦٢.
(٣) البلاذري، فتوح البلدان: ١٨٢.
(٤) البلاذري، فتوح البلدان: ١٨٦-١٨٩.
(٥) ابن سعد، الطبقات: ٤/ ١٩٠.
(٦) البلاذري، فتوح البلدان: ٢٠١.
(٧) البلاذري، فتوح البلدان: ١٣٧.

وفيها: غزا الأحنف بن قيس خراسان وحارب يزدجرد وافتتح هراة عنوة، ثم سار إلى مرو وكتب يزدجرد إلى ملك الترك [١٦٥] وإلى ملك الصغد وملك الصين وانهزم يزدجرد إلى بلخ وتبعه المسلمون فهزموه وعبر يزدجرد نهرجيحون، ثم إن يزدجرد اختلف هو وعسكره فإنه أشار بالمقام مع الترك وأشار عسكره بمصالحة المسلمين والدخول تحت حكمهم فأبى يزدجرد ذلك فطرده عسكره وأخذوا خزائنه، وسار يزدجرد مع الترك في حاشيته وأقام بفرغانة ما بقي من عمره. وبقي عسكره في أماكنهم وصالحوا المسلمين[١].

وفيها: توفي أُبيّ بن كعب من ولد مالك بن النجار، وكان يكنى أبا المنذر وهو أحد كتاب وحي رسول الله ﷺ وأمر الله رسوله ﷺ أن يقرأ عليه وقال: أقرؤكم أُبيّ. وقيل إنه مات سنة ثلاثين في خلافة عثمان[٢].

سنة ثلاث وعشرين:

مقتل عمر رضي الله عنه: في هذه السنة طعن أبو لؤلؤة واسمه فيروز عبد المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب بخنجر وهو في الصلاة في خاصرته وتحت سرته وذلك لستٍّ بقين من ذي الحجة بالسنة المذكورة وتوفي يوم السبت سلخ ذي الحجة ودفن يوم الأحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين، وكانت مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام. ودفن عند رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما[٣].

وعهد بالخلافة إلى النفر الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ وهم: علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد رضي الله عنهم بعد أن عرضها على عبدالرحمن بن عوف فأبى[٤].

وكان عمر طويل القامة، أبيض، أصلع، أشيب[٥]، وعمره خمس وخمسون سنة. وقيل: ثلاث وستون. وكان له من الفضل والزهد، والعدل [١٦٦] والشفقة على المسلمين القدر الوافر، فمن ذلك: أنه جاء إلى عبدالرحمن بن عوف وهو يصلي في بيته ليلاً، فقال عبدالرحمن: ما جاء بك يا أمير المؤمنين في هذه الساعة، فقال: إن

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان: ٢٤٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات: ٣/ ٣٧٨.

(٣) المقدسي، البدء والتاريخ: ٢/ ٢١٠.

(٤) المقدسي، البدء والتاريخ: ٢/ ٢١١.

(٥) ابن سعد، الطبقات: ٣/ ٢٤٧.

رفقة نزلوا في ناحية السوق خشيت علٰيهم سراق المدينة. فانطلق لنحرسهم فأتيا السوق وقعدا نشزاً من الأرض يتحدثان ويحرسانهم.

وعمر أول من كتب التأريخ وأرخ به من السنة التي هاجر فيها رسول الله ﷺ، وأول من عسَّ بالليل، ونهى عن بيع أمهات الأولاد، وأول من جمع الناس على إمام يصلي التراويح في رمضان، وكتب بذلك إلى سائر البلدان، وأمر بالدرَّة وحملها وضرب بها، وخطب الناس وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة(١). وكان مرة في بعض حجاته فلما مر بضجنان قال: لا إله إلا الله المعطي ما شاء لمن شاء كنت أرعى إبل الخطاب في هذا الوادي وكان قد صار يرغبني إذا عملت ويضربني إذا قصرت وقد أصبحت وليس بيني وبين الله أحد(٢). وفضائله رضي الله عنه لا تحصى.

سنة أربع وعشرين:

فيها: عقيب موت عمر رضي الله عنه اجتمع أهل الشورى - وهم من قدمنا ذكرهم - وطال الأمر بينهم وكان قد جعل لهم عمر مدة ثلاثة أيام. وقال: لا يمضي اليوم الرابع إلا ولكم أمير وإن اختلفتم فكونوا مع الذين معهم عبدالرحمن فمضى علي إلى العباس [١٦٧] رضي الله عنهما، فقال: عُدل عنا لأن سعداً لا يخالف عبدالرحمن إذ هو ابن عمه وعثمان صهر عبدالرحمن فلا يختلفون فيوليها أحدهم الآخر، فقال العباس لعلي: لم أدفعك عن شيء إلَّا رجعت إليّ مستأخراً أشرت عليك قبل وفاة رسول الله ﷺ أن تسأله فيمن هذا الأمر فأبيت، وأشرت عليك بعد وفاته أن تعاجل هذا الأمر فأبيت، وأشرت عليك حين سماك عمر في الشورى أن لا تدخل فيهم فأبيت، وهذا الرهط لا يزالون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يناله غيرنا، وايم الله لا نناله إلا بشر لا ينفع معه خير(٣).

ثم جمع عبدالرحمن الناس بعد أن أخرج نفسه من الخلافة فدعا علياً، وقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده، فقال: أرجو أن أفعل وأعمل جهد علمي وطاقتي، ودعا عثمان وقال له مثل ذلك فرفع عبدالرحمن رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان وقال: اللهم اسمع واشهد أني جعلت ما في عنقي من ذلك في عنق عثمان وبايعه. فقال علي: ليس هذا أول يوم

---

(١) ابن سعد، الطبقات: ٣/ ٢١٣-٢١٤.
(٢) ابن سعد، الطبقات: ٣/ ٢٠٢.
(٣) ابن سعد، الطبقات: ٣/ ٤٤.

تظاهرتم علينا فيه فصبر جميل، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك والله كل يوم لهو في شأن، فقال عبدالرحمن: يا علي لا تجعل على نفسك حجة وسبيلاً فخرج عليّ وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله [١٦٨] فقال المقداد بن الأسود لعبدالرحمن: والله لقد تركته وأنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، فقال: يا مقداد قد أجهدت المسلمين، فقال المقداد: إني لأعجب من قريش تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أنّ رجلاً أقضى بالحق منه، فقال عبدالرحمن: يا مقداد اتق الله فإني أخاف عليك الفتنة.

ثم لما أحدث عثمان ما أحدث من تولية الأمصار للأحداث من أقاربه روي أنه قيل لعبدالرحمن بن عوف: هذا كله فعلك، فقال: لم أظن هذا به لكن لله عليّ أن لا أكلمه أبداً. ومات عبدالرحمن وهو مهاجر لعثمان رضي الله عنهما. ودخل عثمان عائداً عبدالرحمن في مرضه فحول وجهه إلى الحائط ولم يكلمه.

خلافة عثمان رضي الله عنه:

بويع لثلاث بقين من المحرم سنة أربع وعشرين، وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة.

ولما بويع رقي المنبر وقام خطيباً فأرتج عليه، فقال: إن أول كل أمر صعب وإن أعش فستأتيكم الخطب على وجهها. ثم نزل وأقر ولاة عمر سنة واحدة لأن عمر أوصى بذلك. ثم عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وولاها سعد بن أبي وقاص ثم عزله وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان أخا عثمان من أمه[١]. [١٦٩]

سنة خمس وعشرين:

فيها: توفي أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري وكان بالشام ينكر على معاوية جمع المال ويتلو: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[٢] فكتب معاوية يشكوه إلى عثمان فكتب إليه عثمان: أن اقدم المدينة، فقدم إلى المدينة واجتمع الناس إليه فصار يذكر ذلك ويكثر الشناعة على كانزي الذهب والفضة فنفاه عثمان إلى الربذة فمات بها[٣].

---

(١) العسكري، الأوائل: ١٣١.

(٢) سورة التوبة، الآية ٣٤.

(٣) سيف بن عمر، كتاب الردة والفتوح: ١٠٥.

سنة ست وعشرين:

فيها عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولاها عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري وكان أخا عثمان من الرضاعة. وكان رسول الله ﷺ قد أهدر دمه يوم الفتح وشفع فيه عثمان حتى أطلقه النبي ﷺ.

وفي أيام عثمان فتحت إفريقية وكان المتولي لذلك عبد الله بن سعد بن أبي سرح وبعث بالخمس إلى عثمان فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار فوضعها عنه عثمان، وهذه من الأمور التي أنكرت عليه. ولما فتحت إفريقية أمر عثمان عبد الله بن نافع بن الحصين أن يسير إلى جهة الأندلس فغزا تلك الجهات، وعاد عبد الله بن نافع إلى إفريقية فأقام بها من جهة عثمان ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر[١]. [١٧٠]

سنة سبع وعشرين وثمان:

فيها: استأذن معاوية عثمان في غزو البحر فأذن له، فسير معاوية إلى قبرس جيشاً، وسار إليها أيضاً عبد الله بن سعد من مصر فاجتمعوا عليها وقاتلوا أهلها ثم صولحوا على جزية سبعة آلاف دينار في كل سنة، وكان هذا الصلح بعد سبي وقتل كثير من أهل قبرس[٢].

سنة تسع وعشرين:

فيها: عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة وولاها ابن خاله عبد الله بن عامر بن كريز[٣]. ثم عزل الوليد بن عقبة عن الكوفة بسبب أنه شرب الخمر وصلى بالمسلمين أربع ركعات وهو سكران، ثم التفت إلى الناس وقال: هل أزيدكم، فقال ابن مسعود: ما زلنا معك في زيادة مذ اليوم، وفي ذلك يقول الحطيئة[٤]: [الكامل]

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ... أن الوليد أحقُّ بالعذر
نادى وقد فرغت صلاتهم ... أأزيدكم سُكراً وما يدري
فأبوا أبا وهبٍ ولو أذنوا ... لقرنت بين الشفع والوتر

(١) سيف بن عمر، كتاب الردة والفتوح: ١١٤-١١٦.
(٢) البلاذري، فتوح البلدان: ٩٦.
(٣) الطبري، تاريخ، ٤/ ٢٦٤.
(٤) الشعر في سيف بن عمر، كتاب الردة والفتوح: ٤٢، الزبيري، نسب قريش: ١٣٨.

سنة ثلاثين:

فيها: بلغ عثمان ما وقع في أمر القرآن من أهل العراق يقولون قرآننا أصح من قرآن أهل الشام لأننا قرأنا على أبي موسى الأشعري وأهل الشام يقولون: قرآننا أصح لأنا قرأنا على المقداد بن الأسود وكذلك غيرهم من الأمصار. فأجمع رأيه ورأي الصحابة [١٧١] على أن يحمل الناس على المصحف الذي كتب في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وكان مودعاً عند حفصة بنت عمر زوج نبي الله ﷺ، ويحرّق ما سواه من المصاحف التي بأيدي الناس، ففعل ذلك، ونسخ من ذلك المصحف مصاحف، وحمل كل واحد منها إلى مصر من الأمصار، وكان الذي تولى نسخ المصاحف العثمانية بأمر عثمان زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي. وقال عثمان: إذا اختلفتم في كلمة فاكتبوها بلسان قريش فإنما نزل القرآن بلسانهم(١).

وفي هذه السنة: سقط من عثمان خاتم النبي ﷺ وكان من فضة فيه ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، والجلالة سطر، وكان النبي ﷺ يختم به الكتب التي كان يرسلها إلى الملوك ثم ختم به أبو بكر ثم عمر. وسقط منه في بئر أريس(٢).

سنة إحدى وثلاثين:

مهلك يزدجرد: وفي هذه السنة هلك يزدجرد بن شهريار بن أبرويز وهو آخر ملوك الفرس، وقد اختلف في ذلك، فقيل: إنه نزل بمرو فثار عليه أهلها وقتلوه. وقيل: بل بيّته الترك وقتلوا أصحابه فهرب يزدجرد إلى بيت رجل [١٧٢] ينقر الأرحى فقتله، واتبع الفرس أثره إلى بيت النقار فعذبوه فأقر بقتله فقتلوه(٣).

وفيها: عصت خراسان واجتمع أهلها في خلق عظيم وسار إليهم المسلمون ففتحوها فتحاً ثانياً وذلك في أيام عثمان(٤).

وفيها مات أبو سفيان بن حرب أبو معاوية(٥).

---

(١) سيف بن عمر، كتاب الردة والفتوح: ٥٠-٥٤.

(٢) الطبري، تاريخ: ٤/ ٢٨١.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان: ١٨٩.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان: ٢٤٣.

(٥) الطبري، تاريخ: ٤/ ٢٩٢.

سنة ثلاث وثلاثين:

فيها: تكلم جماعة من الكوفة في حق عثمان بأنه ولّى جماعة من أهل بيته لا يصلحون للولاية، فكتب سعيد بن العاص والي الكوفة من قبل عثمان بذلك، فكتب إليه معاوية أن يسير الذين تكلموا بذلك إلى معاوية بالشام، فأرسلهم وفيهم الحارث بن مالك المعروف بالأشتر النخعي، وثابت بن قيس النخعي، وجميل بن زياد وزيد بن صُوحان وأخوه صعصعة، وجندب بن زهير، وعروة بن الجعد، وعمرو بن الحمق، فقدموا على معاوية [١٧٣] وجرى بينهم كلام كثير، وحذرهم الفتنة، فوثبوا وأخذوا بلحية معاوية، ورأسه، فكتب بذلك إلى عثمان فكتب إليه عثمان أن يردهم إلى سعيد ابن العاص فردهم إلى سعيد فأطلقوا ألسنتهم في عثمان واجتمع إليهم أهل الكوفة[١].

سنة أربع وثلاثين:

فيها: قدم سعيد على عثمان وأخبره بما فعل أهل الكوفة، وأنهم يختارون أبا موسى الأشعري فولاه عثمان عليهم، فخطبهم أبو موسى وأمرهم بطاعة عثمان فأجابوه، وتكاتب نَفَرٌ من الصحابة أن أقدموا فالجهاد عندنا، كتب بذلك بعضهم إلى بعض، ونال الناس من عثمان، وليس أحد من الصحابة ينهى عن ذلك، ولا يذب إلَّا نفر منهم: زيد بن ثابت، وأبو أسيد الساعدي، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت[٢].

ومما نقم الناس عليه: رده الحكم بن العاص طريد رسول الله ﷺ وطريد أبي بكر وعمر، وإعطاؤه مروان بن الحكم خمس غنائم إفريقية وهو خمسمائة ألف دينار[٣]، وفي ذلك يقول عبدالرحمن الكندي: [المتقارب]

سأحلف بالله جهد اليمين	ما ترك الله أمراً سدى
ولكن خلقت لنا فتنة	لكي نبتلى بك أو تبتلى
دعوت اللعين فأدنيته	خلافاً لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس العباد	ظلماً لهم وحميت الحمى [١٧٤]

وأقطع ابن الحكم فدك وهي صدقة رسول الله ﷺ التي طلبتها فاطمة ميراثاً.

---

(١) الطبري، تاريخ: ٤/٣١٧-٣٢٦.
(٢) الطبري، تاريخ: ٤/٣٣٦.
(٣) الطبري، تاريخ: ٤/٣٤٧.

فروى أبو بكر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة**»[١]. ولم تزل فدك في يد مروان وبنيه إلى أن تولى عمر بن عبدالعزيز فانتزعها من أهله وردها صدقة.

وفيها: توفي المقداد بن الأسود، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾[٢] قيل له المقداد بن عمرو ولم يكن في يوم بدر من المسلمين صاحب فرس غيره في قول، وشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها ومات وعمره نحو سبعين سنة[٣].

سنة خمس وثلاثين:

فيها: قدم من مصر جمع قيل ألف وقيل سبعمائة وقيل أقل. وكذلك قدم من الكوفة والبصرة جمع. وكان هوى المصريين مع علي، وهوى البصريين مع طلحة، وهوى الكوفيين مع الزبير، فدخلوا المدينة، ولما جاءت الجمعة التي تلي دخولهم خرج عثمان فصلى بالناس ثم قام على المنبر، وقال للجموع المذكورة: يا هؤلاء الله يعلم أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ، فقام محمد بن مسلمة الأنصاري وقال: أنا أشهد بذلك، وثار بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وحصب عثمان حتى خرّ مغشياً عليه، فادخل داره، وقاتل جماعة من أهل المدينة مع عثمان منهم: سعد بن أبي وقاص، والحسن بن علي، وزيد بن ثابت [١٧٥] رضي الله عنهم وأبو هريرة فأرسل إليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف، فانصرفوا، وصلى عثمان بالناس بعد ما نزلت الجموع المذكورة بالمسجد ثلاثين يوماً ثم منعوه الصلاة، فصلى بالناس أميرهم الغافقي أمير جمع مصر، ولزم أهل المدينة بيوتهم وعثمان محصور في داره، ودام ذلك أربعين يوماً وقيل خمسين. ثم إن علياً اتفق مع عثمان على ما يطلبه الناس منه من عزل مروان عن كتابته، وابن أبي سرح عن مصر، فأجاب عثمان إلى ذلك، وفرق علي الناس عنه، وولى عوض ابن أبي السرح محمد ابن أبي بكر الصديق، وتوجه مع محمد ابن أبي بكر عدةٌ من المهاجرين والأنصار فبينما هم في أثناء الطريق وإذا هم بعبد على هجين يجهده، فقالوا له: إلى أين؟، فقال: إلى العامل بمصر، فقالوا: هذا عامل مصر يعنون محمداً، فقال: بل العامل الآخر يعني ابن أبي سرح، فأمسكوه وفتشوه فوجدوا معه

---

(١) البخاري، الصحيح، ١٤٢٣ حديث رقم (٦٧٢٦).

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٥.

(٣) ابن قتيبة، المعارف: ٢٦٢.

كتاباً مختوماً بختم عثمان يقول: إذا جاءك محمد ابن أبي بكر ومن معه بأنك معزول فلا تقبل، واحتل لقتلهم وأبطل كتابهم وقر في عملك. فرجع محمد ومن معه من المهاجرين والأنصار إلى المدينة وجمعوا الصحابة وأوقفوهم على الكتاب، وسألوا عثمان عن ذلك فاعترف بالختم وخط كاتبه وحلف بالله أنه لم يأمر بذلك فطلبوا منه مروان ليسلمه إليهم بسبب ذلك، فامتنع فازداد حنق الناس عليه وجدوا قتاله فأقام عليّ ابنه الحسين يذب عنه وأقام الزبير ابنه عبد الله وطلحة ابنه محمداً [١٧٦] بحيث جرح الحسين وانصبغ بالدم وآخر الحال أنهم تسوروا على عثمان من دار إلى جانب داره ونزل عليه جماعة فيهم محمد ابن أبي بكر فقتلوه(١).

وكان عثمان ﷺ حين قتل صائماً يتلو في المصحف، وكان مقتله لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين. وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً. واختلفت في عمره، فالصحيح أنه اثنتان وثمانون سنة(٢).

ومكث ثلاثة أيام لم يدفن لأن المحاربين له منعوا من ذلك ثم أمر علي بدفنه(٣).

وكان عثمان معتدل القامة، حسن الوجه، بوجهه أثر جدري، عظيم اللحية، أسمر اللون، أصلع، يصفّر لحيته، وتزوج ابنتي رسول الله ﷺ وبسببهما قيل له ذو النورين(٤).

وكان كاتبه مروان بن الحكم بن العاص ابن عمه وقاضيه زيد بن ثابت(٥).

وأما فضائله: فإنه الذي جهز جيش العسرة بجملة من المال، وكان أصاب الناس مجاعة في غزوة تبوك فاشترى عثمان طعاماً يصلح العسكر وجهز به عيراً فلما وصل ذلك إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم إني قد رضيت عن عثمان فارض عنه».

وروى الشعبي: أن عثمان دخل على نبي الله ﷺ فجعل ثوبه عليه وقال: «كيف لا استحي ممن تستحي منه الملائكة». [١٧٧]

---

(١) انظر مقتل عثمان في الطبري، تاريخ: ٤/ ٣٤٠ وما بعدها.
(٢) الطبري، تاريخ: ٤/ ٤١٥.
(٣) الطبري، تاريخ: ٤/ ٤١٢.
(٤) الطبري، تاريخ: ٤/ ٤١٨.
(٥) الطبري، تاريخ: ٤/ ٤٢٢.

أخبار علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

واسم أبي طالب عبد مناف بن عبدالمطلب جد رسول الله ﷺ وأم علي فاطمة بنت أسد فهو هاشمي ابن هاشميين(١).

بويع بالخلافة يوم قتل عثمان، وقد اختلف في كيفية بيعته فقيل: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ وفيهم طلحة والزبير فأتوا علياً وسألوه البيعة له، فقال: لا حاجة لي في أمركم من اخترتم رضيت به، قالوا: ما نختار غيرك، وترددوا إليه مراراً وقالوا: إنا لا نعلم أحداً أحق بهذا الأمر منك ولا أقدم منك سابقةً، ولا أقرب من رسول الله ﷺ، فقال: أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً، فأبوا عليه فأتى المسجد فبايعوه. وأول من بايعه طلحة وكانت يده شلاء من نوبة أُحد، فقال خبيب بن ذؤيب: إنا لله أول يد بايعته يد مشلولة لا يتم هذا الأمر، وبايعه الزبير، وقال لهما: إن أحببتما أن تبايعا بايعا، وإن أحببتما بايعتكما فقالا: لا بل نبايعك، ثم قالا بعد ذلك: إنما بايعنا خشية على نفوسنا، ثم هربا إلى مكة بعد مبايعة علي بأربعة أشهر، وجاءوا بسعد بن أبي وقاص فقال له علي: بايع، فقال: لا حتى تجتمع الناس، والله ما عليك مني بأس، فقال: خلوا سبيله. وكذلك تخلف عن البيعة: عبد الله بن عمر. وبايعته الأنصار إلا قليلاً، منهم: حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة [١٧٨] بن مخلد وأبو سعيد الخدري والنعمان بن بشير ومحمد بن مسلمة وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة وزيد بن ثابت وكان هؤلاء قد ولاهم عثمان على الصدقات وغيرها. وكذلك لم يبايع علياً سعيد ابن زيد وعبد الله بن سلام وصهيب وأسامة بن زيد وقدامة بن مظعون والمغيرة بن شعبة وسموا هؤلاء المعتزلة لاعتزالهم بيعة علي(٢).

وسار النعمان بن بشير إلى الشام ومعه ثوب عثمان ملطخ بالدم، فكان معاوية يعلق قميص عثمان على المنبر ليحرض أهل الشام على قتال عليّ وأصحابه، وكلما رأوا أهل الشام ذلك ازدادوا غيظاً(٣).

وقد روي في بيعة علي غير ذلك: فقيل لما قتل عثمان بقيت المدينة خمسة أيام والغافقي أمير المصريين ومن معه يلتمسون من يقوم بالأمر فلا يجدونه ووجدوا سعداً

---

(١) الزبيري، نسب قريش: ٤٠.

(٢) الطبري، تاريخ: ٤/٤٢٧-٤٣٥.

(٣) الطبري، تاريخ: ٤/٤٤٤.

والزبير قد خرجا من المدينة ووجدوا بني أميّة قد هربوا وأتى المصريون علياً فباعدهم وأتى الكوفيون الزبير والبصريون طلحة فباعداهم، وكانوا مع اجتماعهم على قتل عثمان مختلفين فيمن يلي الخلافة حتى غشي الناس علياً، فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام وما ابتلينا به، فامتنع علي فألحوا عليه فأجابهم، وقال لهم: إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت البيعة، فبعث المصريون إلى الزبير حكيم بن جبلة ومعه نفر فجاءوا بالزبير كرهاً بالسيف فبايع، وبعثوا إلى طلحة الأشتر ومعه نفر فأتوا بطلحة وبايع، ولما أصبح الناس يوم الجمعة اجتمعوا في المسجد وصعد [١٧٩] علي المنبر واستعفى من ذلك فلم يعفوه فبايعه طلحة أولاً وكانت يد طلحة شلاء وبايعه المهاجرون والأنصار خلا من ذكرنا. وكان ذلك اليوم يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة من سنة خمس وثلاثين ثم فارقه طلحة والزبير ولحقا بمكة واتفقا مع عائشة، وكان قد مضت إلى الحج وعثمان محصور، وكانت عائشة تنكر على عثمان مع من ينكر عليه وكانت تخرج قميص رسول الله ﷺ وشعره وتقول: هذا قميصه وشعره لم يبل وقد بلي دينه لكنها لم تظن الأمر ينتهي إلى ما انتهى إليه[١].

كان ابن عباس بمكة لما قتل عثمان ثم قدم المدينة بعد البيعة لعلي فوجد المغيرة مستخلياً بالمسجد مع علي قال: فسألته ما قال له، قال عليّ: أشار عليَّ بإقرار معاوية وغيره من عمال عثمان إلى أن يبايعوا ويستقر الأمر فأبيت ثم أتاني الآن، وقال: الرأي ما رأيته، فقال ابن عباس: نصحك أولاً وغشك ثانياً، وإني لأخشى أن تنتقض عليك الشام مع أني لا آمن طلحة والزبير، وإني أشير عليك أن تقر معاوية فإن بايع لك فعلي أن أقتلعه، فقال علي: والله ما أعطيه إلا السيف ثم تمثل: [الطويل]

وما ميتة إن مُتُّها غَيْر عاجزٍ بعارٍ إذا ما غالَتِ النفسَ غولُها

فقلت: يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع ولست صاحب رأي، فقال علي: إذا عصيتك فأطعني، فقال ابن عباس: أفعل، أيسر ما لك [١٨٠] عندي الطاعة، وخرج المغيرة ولحق بمكة[٢].

---

(١) الطبري، تاريخ: ٤/ ٤٣٢.

(٢) الطبري، تاريخ: ٤/ ٤٤٠-٤٤١ وفيه الشعر.

سنة ست وثلاثين:

فيها: أرسل علي إلى البلاد عماله فبعث إلى الكوفة عمارة بن شهاب وكان من المهاجرين، وولى عثمان بن حنيف الأنصاري البصرة، وعبيد الله بن عباس اليمن وكان من المشهورين بالجود، وولى قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري مصر، وسهل بن حنيف الأنصاري الشام، فلما وصل تبوك لحقته خيول من الشام فقالوا: من أنت قال: أمير على الشام، فقالوا: إن كان بعثك غير عثمان فارجع، قال: أو ما سمعتم بالذي كان، قالوا: بلى فمضى إلى علي ورجع قيس بن سعد إلى مصر فوليها فاعتزلت عنه فرقة كانوا عثمانية وأبوا إلا أن يقاتلوا قاتل عثمان، ومضى عثمان بن حنيف إلى البصرة فدخلها واتبعته فرقة وخالفته فرقة، ومضى عمارة إلى الكوفة فلقيه طلحة بن خويلد الأسدي الذي كان ادعى النبوة، فقال له: إن أهل الكوفة لا يستبدلون بأميرهم، فرجع عمارة إلى علي، وكان على الكوفة من قبل عثمان أبو موسى الأشعري، ومضى عبيد الله إلى اليمن، وكان العامل عليها يعلى بن منبه فخرج منها وأخذ ما كان حاصلاً من المال ولحق بمكة وصار مع عائشة وطلحة والزبير وسلم إليهم المال[1].

مسير عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة: [١٨١]

ولما بلغ عائشة مقتل عثمان أعظمت ذلك، ودعت إلى الطلب بدمه وساعدها على ذلك طلحة والزبير وعبد الله بن عامر وجماعة من بني أمية وجمعوا جمعهم، ومضوا إلى البصرة للاستيلاء عليها، وقالوا: معاوية بالشام قد كفانا أمرها، وكان عبد الله بن عمر قد قدم من المدينة فدعوه إلى السير معهم فامتنع، وساروا، وأعطى يعلى ابن منبه لعائشة الجمل عسكر اشتراه بمائة دينار فركبته ومروا في طريقهم بماء يقال له الحوأب فنبحتهم الكلاب فقالت عائشة: أي ماء هو هذا، فقيل هذا الحوأب، فصرخت عائشة بأعلى صوتها، وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه: «**ليت شعري أيتكن ينبحها كلاب الحوأب**» ثم ضربت عضد بعيرها وقالت: ردّوني أنا والله صاحبة ماء الحوأب فأناخوا يوماً وليلة، وقال لها عبد الله بن الزبير: كذب الذي قال إن هذا ماء الحوأب ولم يزل بها وهي تمتنع ثم صاح النجاء النجاء فقد أدرككم علي بن أبي طالب فارتحلوا نحو البصرة فاستولوا عليها بعد قتال

---

(١) الطبري، تاريخ: ٤/٤٤٢.

مع عثمان بن حنيف فقتل من أصحاب عثمان أربعون رجلاً وأمسك عثمان بن حنيف فنتفت لحيته وحواجبه وسجن ثم أطلقته[1].

مسير علي إلى البصرة:

ولما بلغ علياً مسير عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة سار نحوهم في أربعة [١٨٢] آلاف من المدينة فيهم أربعمائة ممن بايع تحت الشجرة وثمانمائة من الأنصار والراية مع ابنه محمد بن الحنفية وعلى ميمنته الحسن وعلى ميسرته الحسين وعلى الخيل عمار بن ياسر وعلى الرجالة محمد بن أبي بكر، وكان على مقدمته عبد الله بن العباس، واتفق مسيره في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، ولما وصل علي إلى ذي قار أتاه عثمان بن حنيف فقال: يا أمير المؤمنين بعثتني ذا لحية وجئتك أمرد، فقال: أصبت أجراً وخيراً. وقال علي: إن الناس وليهم قبلي رجلان فعملا بالكتاب والسنة. ثم وليهم ثالث فقالوا في حقه وفعلوا ثم بايعوني وبايعني طلحة والزبير وقد نكثا ومن العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وعثمان وخلافهما عليّ والله يعلم إنهما ليعلمان أني لست دون أحدٍ ممن تقدم[2].

وقعة الجمل:

واجتمع إلى علي من أهل الكوفة جمع، واجتمع إلى عائشة وطلحة والزبير جمع، وسار بعضهم إلى بعض والتقوا بمكان يقال له الحربية في النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة. ودعا عليّ الزبير إلى الاجتماع فاجتمعا، فقال له علي: أتذكر يوماً مررت مع رسول الله ﷺ في بني غنم فنظرتما إليّ وضحكتما لي وضحكت أنا أيضاً [١٨٣] فقلت لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال لك رسول الله ﷺ: إنه ليس بمزهٍ والله لتقاتلنّه وأنت ظالم له، فقال الزبير: اللهم نعم ولو ذكرته ما سرت مسيري هذا، واعتزل القتال. وقيل بل عيّره ولده عبد الله وقال: خفت من رايات علي، فقال: لا، لكني حلفت أن لا أقاتل، فقال له ابنه: كَفّر عن يمينك وقاتل، فأعتق غلامه مكحولاً وقاتل ووقع القتال وعائشة راكبة الجمل عسكر في هودج، وقد صار كالقنفذ من النشاب فتمت الهزيمة على أصحاب عائشة، ورمى مروان بن الحكم طلحة بسهم

---

(١) الطبري، تاريخ: ٤/ ٤٤٤.

(٢) الطبري، تاريخ: ٤/ ٤٦١.

فقتله وكلاهما كانا مع عائشة ونسبه إلى أنه أعان على عثمان فقتله طالباً لثأر عثمان، وانهزم الزبير قاصداً المدينة، وقطعت على خطام الجمل أيد كثيرة، وقتل أيضاً بين الفريقين خلق عظيم، ولما كثر القتل على خطام الجمل، قال علي: اعقروا الجمل، فضربه رجل فسقط فبقيت عائشة في هودجها إلى الليل، وأدخلها محمد بن أبي بكر أخوها إلى البصرة وأنزلها في دار عبد الله بن خلف وطاف علي على القتلى من أصحاب الجمل وصلى عليهم ودفنهم، ولما رأى طلحة قتيلاً قال: إنا للّه وإنا إليه راجعون، لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى، ثم أنشد: [الطويل]

فتى كان يدنيه الغني من صديقه   إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر [١٨٤]

وصلى عليه ولم ينقل عنه أنه صلى على أهل صفين(١).

ولما انصرف الزبير من وقعة الجمل طالباً المدينة مر بماءٍ لبني تميم وبه الأحنف ابن قيس، فقيل للأحنف وكان به نازلاً معتزلاً للقتال: هذا الزبير قد أقبل، فقال: قد جمع بين هذين الغارين يعني العسكرين وتركهم وأقبل، وفي مجلسه عمرو بن جرموز المجاشعي، فلما سمع كلامه قام من مجلسه وتبع الزبير حتى وجده بوادي السباع نائماً فقتله ثم أقبل برأسه إلى علي بن أبي طالب، فقال علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بشروا قاتل ابن صفية بالنار**»(٢) فقال عمرو بن جرموز المذكور: [المتقارب]

أتيت علياً برأس الزبير   وقد كنت أحسبها زلفة

فبشر بالنار قبل العيان   فبئس البشارة والتحفة

وسيان عندي قتل الزبير   وضرطة عير بذي الجحفة

ثم أمر عليّ عائشة بالرجوع إلى المدينة وأن تقر في بيتها فسارت مستهلّ رجب هذه السنة وجهزها علي بما احتاجت إليه وسير معها أولاده مسيرة يوم وتوجهت إلى مكة فأقامت للحج تلك السنة ثم رجعت المدينة.

وقيل كان عدد القتلى يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف، واستعمل على البصرة عبد الله بن عباس وسار علي إلى الكوفة فنزلها، وانتظم له الأمر بالعراق ومصر [١٨٥] واليمن والحرمين وفارس وخراسان ولم يبق خارج عنه إلا الشام وفيه معاوية،

---

(١) الطبري، تاريخ: ٤/ ٥٠٠-٥٣٩.

(٢) الطبري، تاريخ: ٤/ ٥٣٤-٥٣٥.

وأهل الشام مطيعون له، فأرسل إليه علي جرير بن عبد الله البجلي ليأخذ البيعة على معاوية، ويطلب منه الدخول فيما دخل فيه الناس، فسار جرير إلى معاوية فماطله معاوية، وكان عمرو بن العاص بفلسطين فقدم على معاوية ورأى أهل الشام يحظون على الطلب بدم عثمان، فقال لهم عمرو: أنتم على الحق، واتفق عمرو ومعاوية على قتال علي وشرط عمرو على معاوية إذا ظفر أن يوليه مصر، فأجابه إلى ذلك، وكان قيس بن سعد بن عبادة متولياً مصر من جهة علي وقد اعتزل عنه جماعة عثمانية إلى قرية يقال لها خِرْبَتا، وكان قيس المذكور من دهاة العرب، فرأى من المصلحة مداهنة المذكورين وكف الحرب عنهم لئلا ينضموا إلى معاوية، وكتب معاوية إلى قيس يستمليه ويبذل له الولايات العظام، فلم يُفد فيه، فزور عليه معاوية كتاباً وقرأه على الناس يوهمهم أن قيساً معه، ولذلك لم يقاتل المعتزلين عنه بخربتا فبلغ علياً فعزل قيساً عن مصر وولى عليها محمد بن أبي بكر ولحق قيس بالمدينة ثم بعلي وحضر معه حرب صفين، وحكى له ما جرى له مع معاوية فعلم صحة ذلك، وبقي قيس المذكور مع علي ثم الحسن بعد وفاة علي إلى أن سلم الأمر إلى معاوية. أما محمد بن أبي بكر فوصل إلى مصر [١٨٦] وتولى عليها وأوصاه قيس أن لا يتعرض إلى أهل خِرْبَتا فلم يقبل وبعث إلى أهل خِرْبَتا يأمرهم بالدخول في البيعة والخروج من أهل مصر، فقالوا: لا نفعل ودعنا ننظر إلى ما يصير إليه أمرنا فأبى عليهم[1].

وقعة صفين:

ولما قدم عمرو على معاوية واتفقا على حرب علي قدم جرير على علي فأعلمه بذلك فسار علي من الكوفة إلى جهة معاوية وقدم عبد الله بن عباس ومن معه من أهل البصرة، فقال علي رضي الله عنه[2]: [الرجز]

لأصبحن العاصي بن العاصي ... سبعين ألفاً عاقدي النواصي

مجنبين الخيل بالقلاص ... مستحقبين حَلَق الدلاص

وحدا بعلي نابغة بني جعد الشاعر فقال: [الرجز]

قد علم المصران والعراق ... أن علياً فحلها العناق

---

(١) الطبري، تاريخ: ٤/ ٥٥٢-٥٥٧.

(٢) الشعر في الطبري، تاريخ: ٤/ ٥٦٣.

أبـيـض جـحـجـاح لـه رواق إن الأولـى جـاروك لا أفـاقـوا
لـكـم سـبـاق ولـهـم سـبـاق قـد عـلـمـت ذلـكـم الـرفـاق

وسار عمرو ومعاوية من دمشق بأرض الشام إلى جهة وتأنّى معاوية في مسيره حتى اجتمعت الجموع بصفين وخرجت سنة ست وثلاثين والأمر على ذلك.

سنة سبع وثلاثين:

دخلت والجيشان بصفين ومضى المحرم وليس بينهم قتال بل مراسلات يطول ذكرها، ولما دخل صفر وقع بينهما القتال وكانت بينهما [١٨٧] بصفين وقعات كثيرة قيل كانت تسعين وقعة، وكان مُدّة مقامهم بصفين مائة وعشرة أيام، وكانت عدة القتلى بصفين من أهل الشام خمسة وأربعين ألفاً ومن أهل العراق خمسة وعشرين ألفاً منهم ستة وعشرون من أهل بدر، وكان علي قد تقدم إلى أصحابه أن لا يقاتلوهم حتى يبدؤوهم بالقتال، وأن لا يقتلوا مدبراً ولا يأخذوا شيئاً من أموالهم. قال معاوية: أردت الانهزام بصفين فتذكرت قول ابن الإطنابة فثبت وكان جاهلياً والإطنابة امرأة وهو قوله[١]: [الوافر]

أبـت لـي هـمـتـي وحـيـاء نـفـسـي وأخـذي الـحـمـد بـالـثـمـن الـربـيـح
وإعـطـائـي عـلـى الـمـكـروه مـالـي وإقـدامـي عـلـى الـبـطـل الـمـشـيـح
وقـولـي كـلـمـا جـشـأت وجـاشـت رويـدك تـحـمـدي أو تـسـتـريـحـي

وقاتل عمار بن ياسر مع علي قتالاً كثيراً، وكان قد نيف عمره على تسعين سنة، وكانت الحربة في يده ويده ترعد، وقال: هذه راية قاتلت بها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة ودعا بقدح من لبن فشربه وقال: صدق الله ورسوله. اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه. قال رسول الله ﷺ: **«إنّ آخر رزقي من الدنيا ضيحة لبن»** والضيح: اللبن الرقيق الممزوج. وروي أنه كان يرتجز ويقول[٢]: [الرجز]

نـحـن قـتـلـنـاكـم عـلـى تـأويـلـه كـمـا قـتـلـنـاكـم عـلـى تـنـزيـلـه [١٨٨]
ضـربـاً يـزيـل الـهـام عـن مـقـيـلـه ويـذهـل الـخـلـيـل عـن خـلـيـلـه

ولم يزل عمار يقاتل حتى استشهد ﵁. وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) الشعر في الطبري، تاريخ: ٥/ ٢٤.

(٢) الشعر في المسعودي، مروج الذهب: ٢/ ٢١.

«**تقتل عماراً الفئة الباغية**» وقتله أبو عادية برمح فسقط عمار فجاء آخر فاحتز رأسه وجاءا يختصمان إلى عمرو بن العاص ومعاوية كل يقول: أنا قتلته، فقال عمرو: إنكما في النار فلما انصرفا قال معاوية لعمرو: ما رأيت مثل ما صرفت قوماً بذلوا أنفسهم دوننا، فقال عمرو: هو والله ذلك إنك لتعلمه ولوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة[1].

وبعد قتل عمار انتدب علي اثني عشر ألفاً وحمل بهم على عسكر معاوية فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض ويقول علي[2]: [الرجز]

أقتلهم ولا أرى معاوية   الجاحظ العين العظيم الحاوية

ثم قال: يا معاوية علام يقتل الناس هلم أحاكمك إلى الله فأيهما قتل صاحبه استقام له الأمر فقال عمرو: أنصفك ابن عمك فقال معاوية: ما أنصف إنك لتعلم أن أحداً ما بارز علياً وخلص من مخالبه، فقال عمرو: ما يحسن بك ترك مبارزته فقال معاوية: طمعت في الأمر بعدي. ثم تقاتلوا ليلة الهرير شبّهت بليلة القادسية وكانت ليلة الجمعة واستمر القتال إلى الصبح. وقيل إن علياً كبّر تلك الليلة أربعمائة تكبيرة وكانت عادته أنه كلما قتل قتيلاً كبر ودام القتال إلى ضحى يوم الجمعة وقاتل الأشتر قتالاً عظيماً حتى وصل [١٨٩] إلى معسكرهم وأمده علي بالرجال، ولما رأى عمرو ذلك قال لمعاوية: هلم نرفع المصاحف على الرماح ونقول: كتاب الله بيننا وبينكم ففعلوا ذلك. ولما رأى أهل العراق ذلك قالوا لعلي: ألا تجيب إلى كتاب الله فقال لهم: امضوا على حقكم وصدقكم في جهاد عدوكم فإنهم ليسوا بأصحاب دين وأنا أعرف بهم منكم، ويحكم والله ما رفعوها إلا خديعة قالوا: لا تمنعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى، فقال علي: إنما قاتلتهم ليدينوا بكتاب الله فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم به، فقال عبد الله بن فدك التميمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة ممن صاروا خوارج: يا علي أجب إلى كتاب الله وإلا دفعناك برمتك إلى القوم ونفعل بك ما فعلنا بابن عفان فقال علي: إن تطيعوني فقاتلوا وإن تعصوني فافعلوا ما بدا لكم، قالوا: فابعث إلى الأشتر فليأتك فبعث إليه فقال الأشتر: ليس هذا وقت استدعائي فرجع الرسول وأخبره بالخبر وارتفعت الأصوات وكثر الرهج من جهة الأشتر، فقالوا لعلي: ما نراك أمرته إلا

(١) الطبري، تاريخ: ٣٧/٥.

(٢) الشعر في الطبري، تاريخ: ٤٢/٥.

بالقتال فقال: هل رأيتموني ساررت الرسول فقالوا: ابعث إليه ليأتينك وإلا اعتزلناك، فرجع الرسول إلى الأشتر فأعلمه فقال: قد علمت والله أن رفع المصاحف توقع اختلافاً وأنها مشورة ابن العاهرة فرجع الأشتر إلى علي وقال: خدعتم فانخدعتم وكان غالب تلك العصابة الذين [١٩٠] نهوا عن القتال قراء ولما كفوا عن القتال سألوا معاوية لأي شيء رفعت المصاحف فقالوا تنصبوا حَكماً منكم وحَكماً منا فنأخذ عليها أن يعملا بما في كتاب الله ثم نتبع ما اتفقنا عليه فوقعت الإجابة إلى ذلك فقال الأشعث بن قيس وهو أكبر الخوارج: إنا قد رضينا بأبي موسى الأشعري فقال علي: قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن: لا أرى أن أولي أبا موسى بذلك، فقالوا: لا نرضى إلا به فقال: إنه ليس بثقة قد فارقني وخذل عني الناس ثم هرب مني حتى آمنته ولكن ابن عباس أولى، فقالوا: إنه ابن عمك ولا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء، ثم قال علي: فالأشتر، فأبوا وقالوا: سعرها الأشتر. فاضطر علي إلى موافقتهم وأخرج معاوية عمرو بن العاص، واجتمع الحكمان عند علي ﷺ وكتب بحضوره، كتاب القضية وهو: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي فقال عمرو: وهو أميركم وأما أميرنا فلا، فقال الأحنف: لا أمحو هذا الاسم، فقال الأشعث: امحه فمحا علي وقال: الله أكبر والله لكاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية فكتب محمداً رسول الله فقالوا: لست برسول الله، ولكن اكتبْ اسمك واسم أبيك فأمرني رسول الله [١٩١] ﷺ بمحوه فقلت لا أمحوك ولا أستطيع فقال: أرني فأريته فمحاه بيده. وقال لي: إنك ستدعى إلى مثلها فتجيب، فقال عمرو: سبحان الله أتشبهنا بالكفار ونحن مؤمنون؟ فقال علي ﷺ: يابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين وليا وللمؤمنين عدواً؟ فقال عمرو: والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم فقال علي: أرجو أن يطهر الله مجلسي منك ومن أشباهك[١].

وكتب الكتاب فمنه: هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضى علي على أهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية على أهل الشام ومن معهم أنا ننزل عند حكم الله وكتابه يحيي ما أحيا ويميت ما أمات فما وجد الحكمان في كتاب الله وهما أبو موسى الأشعري وعبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عملا به وما لم يجداه عملا بالسنة العادلة وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين

---

(١) الطبري، تاريخ: ٥/٤٤-٥٦.

المواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه وأجلا القضاء إلى رمضان هذه السنة وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه وكتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة مضت من صفر من سنة سبع وثلاثين. على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في رمضان فإن لم يجتمعا كذلك اجتمعا في العام المقبل بأذرح وشهد [١٩٢] معهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة[1].

ثم سار علي إلى العراق وقدم الكوفة ولم يدخل الخوارج معه واعتزلوه[2].

وفي هذه السنة بعث علي للميعاد أربعمائة رجل فيهم أبو موسى الأشعري وعبد الله ابن عباس ليصلي بهم ولم يحضر علي. وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة رجل. ثم جاء معاوية اجتمعوا بأذرح والتقى الحكمان فدعا عمرو أبا موسى إلى أن يجعل الأمر إلى معاوية فأتى وقال: لم أكن لأوليه وأدع المهاجرين الأولين ودعا أبو موسى عمرو إلى أن يجعل الأمر إلى عبد الله بن عمر فأبى ثم قال عمرو: ما ترى أنت فقال أبو موسى: أرى خلع علي ومعاوية وأن يجعل الأمر شورى بين المسلمين فأظهر له عمرو أن هذا هو الرأي ووافقه عليه ثم أقبلا إلى الناس وقد اجتمعوا فقال أبو موسى: إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو به صلاح هذه الأمة فقال عمرو: صدق تقدم فتكلم يا أبا موسى فلما تقدم لحقه عبد الله بن عباس وقال: ويحك والله إني أظن أنه قد خدعك إن كنتما اتفقتما على أمر فدعه يتقدم قبلك فقال أبو موسى إنا قد اتفقنا ثم تقدم فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إنا لم نَرَ أصلح لهذه الأمة من أمر قد اجتمع عليه رأيي ورأي عمرو وهو أن نخلع علياً ومعاوية ونجعل الأمر شورى وإني قد خلعت علياً ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا من أحببتم ثم [١٩٣] تنحى. وقام عمرو فحمد الله وأثنى عليه فقال: إن هذا قد قال ما سمعتم وقد خلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي فإنه وليُّ عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه. فقال أبو موسى: ما لك لا وفقك الله غدرت وفجرت وركب أبو موسى ولحق بمكة حياءً من علي. وانصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة. ومن ذلك الوقت أخذ أمر علي في الضعف وأمر معاوية في القوة[3].

---

(١) الطبري، تاريخ: ٥/٥٣-٥٤.

(٢) الطبري، تاريخ: ٥/٦٣.

(٣) الطبري، تاريخ: ٥/٦٧.

ولما اعتزلت الخوارج علياً دعاهم إلى الحق فامتنعوا وقتلوا كل من أرسله إليهم فسار إليهم وكانوا أربعة آلاف فوعظهم ونهاهم فتفرقت منهم طائفة وبقي عبد الله بن وهب وجماعة على ضلالتهم وقاتلوا فقتلوا عن آخرهم ولم يقتل من أصحاب علي سوى سبعة أنفس أولهم: يزيد بن نويرة شهد مع رسول الله ﷺ غزوة أُحد ولما رجع علي إلى الكوفة حض الناس على قتال معاوية فتقاعدوا وقالوا: نستريح ونصلح عدتنا فاحتاج لذلك إلى دخول الكوفة[١].

سنة ثمان وثلاثين:

فيها: جهز معاوية عمرو بن العاص بعسكر إلى مصر وكتب محمد بن أبي بكر يستنجد علياً فأرسل الأشتر فلما وصل إلى القلزم سقاه رجل عسلاً مسموماً فمات منه، فقال معاوية: إن لله جنداً من عسلٍ. وسار عمرو حتى وصل مصر وقاتله أصحاب محمد ابن أبي بكر [١٩٤] فهزمهم عمرو وتفرق عن محمد بن أبي بكر أصحابه، وأقبل محمد يمشي حتى انتهى إلى خربة فقُبض عليه وأتوا به إلى قاسم بن حديج فقتله وألقاه في جيفة حمار وأحرقه بالنار[٢].

ودخل عمرو مصر وبايع أهلها معاوية ولما بلغ عائشة مقتل أخيها محمد جزعت عليه وقنتت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية وعمرو، وضمت عيال أخيها إليها، ولما بلغ علياً مقتله جزع عليه وقال: عند الله نحتسبه وكان ذلك في هذه السنة[٣].

ثم بث معاوية سراياه بالغارات إلى أعمال علي فبعث النعمان بن بشير إلى عين التمر فنهبها وهزم أصحاب علي منها وبعث سفيان بن عوف إلى هيت والأنبار والمدائن فنهب وحمل ما كان بالأنبار من المال ورجع بها إلى معاوية. وبعث عبد الله بن مسعدة الفزاري إلى الحجاز فجهز إليه علي خيلاً فالتقوا بتيماء وانهزم أصحاب معاوية ولحقوا بالشام وتتابعت الغارات على أعمال علي رضي الله عنه وهو في ذلك يخطب الناس الخطب البليغة ويجتهد على الخروج إلى قتال معاوية فتقاعد عنه عسكره[٤].

---

(١) الطبري، تاريخ: ٥/ ٦٩.
(٢) الطبري، تاريخ: ٥/ ٩٤.
(٣) الطبري، تاريخ: ٥/ ١٠٥.
(٤) الطبري، تاريخ: ٥/ ١٣٣.

سنة تسع وثلاثين:

فيها: سير عبد الله بن العباس وهو عامل البصرة زياداً إلى فارس وكانت قد اضطربت لما حصل من قتال علي ومعاوية فوصل إليها زياد وضبطها أحسن ضبط حتى قالت الفرس: ما رأينا [١٩٥] مثل سياسة أنوشروان الأساسية هذا العربي(١).

سنة أربعين:

دخلت ومعاوية بالشام وعلي بالعراق وكان علي يقنت في الصلاة ويدعو على معاوية وعمرو والضحاك بن قيس والوليد بن عقبة والأعور السلمي، ومعاوية يقنت في الصلاة ويدعو على عليّ والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر(٢).

وفي هذه السنة سير معاوية بسر بن أرطأه في عسكر إلى الحجاز فأتى المدينة وعليها أبو أيوب الأنصاري عاملاً لعلي فهرب ولحق بعلي ودخل بسر إلى المدينة وسفك فيها الدماء وأكره الناس فهرب منه عبيد الله بن عباس عامل علي باليمن لعبيد الله ابنين صبيين فذبحهما وأتى في ذلك بعظيمة فقالت أمهما وهي عائشة بنت عبد الله بن عبدالمدان في ذلك تبكيهما: [البسيط]

ها من أحسَّ بابنيّ اللذين هما	كالدرتين تشظى عنهما الصدف
ها من أحسَّ بابنيّ اللذين هما	قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف
من دَلّ والهة حيرى مدلهة	على صبيين ذلا إذ غدا السلف
خبرت بشراً وما صدّقت إذ زعموا	من إفكهم ومن القول الذي اقترفوا
أنحى على عليّ ودى ابنيّ مرهقة	مسحورة وكذاك الإثم يقترف [١٩٦]

مقتل علي رضي الله عنه:

قيل اجتمع ثلاثة من الخوارج منهم: عبدالرحمن بن ملجم المرادي وعمرو بن بكر والبرك بن عبد الله التميمي ويقال اسمه الحجاج فذكروا إخوانهم من المارقة المقتولين بالنهروان فقالوا: قتلنا أئمة الضلالة أرحنا منهم البلاد فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علياً وقال البُرك: أنا أكفيكم معاوية وقال عمرو: وأنا أكفيكم عمرو بن

---

(١) الطبري، تاريخ: ٥/ ١٣٧.

(٢) المنقري، صفين: ٥٥٢.

العاص. وتعاهدوا أن لا يفر أحد منهم عن صاحبه الذي توجهوا إليه واستصحبوا سيوفاً مسمومة وتواعدوا السبع عشرة ليلة تمضي من رمضان من سنة أربعين أن يثب كل منهم بصاحبه واتفق مع ابن ملجم رجلان أحدهما يقال له وردان من تيم الرباب والآخر شبيب من أشجع ووثبوا على علي وقد خرج إلى صلاة الغداة فضربه شبيب فوقع سيفه في الطاق وهرب وضربه ابن ملجم وأحضر مكتوفاً إلى بين يدي علي، ودعا علي الحسن والحسين، وقال: أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا ولا تبكيا على ما زُوِي عنكم منها(١).

وأما البُرَك فوثب على معاوية في تلك الليلة، فوقع سيفه في أَلْية معاوية، وأمسك البُرك، فقال لمعاوية: إني أبشرك [١٩٧] فلا تقتلني، فقال: بماذا؟ قال: إنّ رفيقي قتل علياً هذه الليلة، فقال معاوية: لعله لم يقدر عليه، قال: بلى إنَّ علياً ليس معه من يحرسه، فقتله معاوية(٢).

أما عمرو بن بكر، فإنه جلس لعمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج عمرو إلى الصلاة، وكان قد أمر خارجة بن أبي حبيبة صاحب شرطته أن يصلي بالناس فخرج خارجه ليصلي فشد عليه عمرو فقتله، وهو يظن أنه عمرو بن العاص، فأخذه الناس وأتوا به عَمراً، فقال: من ذا؟ قالوا: عمرو بن العاص، قال: وأنا من قتلت قالوا: خارجة، فقال عمرو بن بكر: أردت عَمراً وأراد الله خارجة(٣).

ولما مات عليّ أخرج عبدالرحمن بن ملجم من الحبس، فقطع عبد الله بن جعفر يده ثم رجله، وكحل عينيه بمسمار محمى وقطع لسانه وأحرق(٤).

ولعمران بن حطان يرثي عبدالرحمن بن ملجم: [البسيط]

لــلّــه درّ الــمــراديّ الــذي فــتــكــت	كــفــاه مــهــجــة شــر الــخــلــق إنــســانــا
يــا ضــربــة مــن ولــي مــا أراد بــهــا	إلّا لــيــبــلــغ مــن ذي الــعــرش رضــوانــا
إنــي لأذكــره يــومــاً فــأحــســبــه	أوفــى الــخــلــيــقــة عــنــد الله مــيــزانــا

(١) الطبري، تاريخ الرسل: ٥/١٤٦، ١٤٧.
(٢) الطبري، تاريخ الرسل: ٥/١٤٩.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل: ٥/١٤٩.
(٤) الطبري، تاريخ الرسل: ٥/١٤٩.

واختلف في عُمر علي رضي الله عنه فقيل: ثلاث وستون وهو الأصح المشهور وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر[1].

وكان قتله كما ذكرنا صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلون من رمضان سنة أربعين وقد اختلف في موضع قبره فقيل دفن مما يلي قبلة المسجد [١٩٨] بالكوفة، وقيل: عند قصر الإمارة، وقيل: حَوّله ابنه الحسن إلى المدينة والأصح الذي ارتضاه ابن الأثير[2] وغيره: أن قبره بالنجف وهو الذي يزار اليوم.

وأما صفته: فكان رضي الله عنه شديد الأدمة، عظيم العينين، بطيناً، أصلع، عظيم اللحية، كثير شعر الصدر، مائلاً إلى القصر، حسن الوجه، لا يغير شيبه، كثير التبسم[3]، وكان حاجبه قنبر [وقاضيه شريح][4] ولاه عمر قضاء الكوفة ولم يزل بها قاضياً إلى زمن الحجاج بن يوسف[5].

وأول زوجة تزوجها علي فاطمة بنت رسول الله ﷺ ولم يتزوج غيرها في حياتها. وولد له منها: الحسن والحسين ومحسن مات صغيراً، وزينب وأم كلثوم التي تزوجها عمر بن الخطاب.

ثم بعد موت فاطمة تزوج أم البنين بنت حزام الكلابية فولد له منها: العباس وجعفر وعبد الله وعثمان قتل هؤلاء الأربعة مع أخيهم الحسين بكربلاء ولم يعقب منهم غير العباس[6].

وتزوج ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلي التميمي وولد له منها: عبيد الله وأبو بكر قتلا مع الحسين أيضاً. وتزوج أسماء بنت عميس وولد له منها: محمد الأصغر ويحيى لا عقب لهما. وولد له من الصهباء بنت ربيعة التغلبية وهي من السبي الذين أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر عمر ورقية وعاش عمر المذكور حتى بلغ من العمر خمساً وثمانين سنة، وحاز نصف ميراث أبيه علي، ومات بينبع وله عقب.

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل: ٥/ ١٥١.
(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٣٩٦.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل: ٥/ ١٥٣.
(٤) إضافة يقتضيها السياق.
(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٣٩٧.
(٦) الطبري، تاريخ الرسل: ٥/ ١٥٣.

وتزوج علي أمامة بنت أبي [١٩٩] العاص بن الربيع بن عبد شمس بن عبد مناف وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ وولده منها: محمداً الأوسط ولا عقب له.

وولد له من خولة بنت جعفر الحنفية محمداً الأكبر المعروف بابن الحنفية وله عقب. وكانت له بنات من أمهات شتى منهن أم حسن ورملة الكبرى من أم سعيد بنت عروة ومن بناته أم هانئ وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وأم كلثوم وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وجمانة وتغلبية فجميع بنيه المذكورين أربعة عشر لم يعقب منهم إلا الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس وعمر[١].

أما فضائله: فمشهورة فمن ذلك مشاهده بين يدي رسول الله ﷺ، وأخوّة رسول الله ﷺ له سبقه إلى الإسلام، وقول رسول الله ﷺ: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**»[٢] وقول رسول الله ﷺ في غزوة خيبر: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**»[٣]. وقوله له: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنه لا نبي بعدي**»[٤]. وقوله: «**أقضاكم علي**» والقضاء يستدعي أبواب الفقه كلها بخلاف قوله: «**أفرضكم زيد وأقرأكم أبي بن كعب**» ولم يبن علي بناء أصلاً، وكان قد ضاع لعلي درع فوجده مع نصراني فأقبل به إلى شريح القاضي وجلس إلى جانبه وقال: لو كان خصمي مسلماً لساويته، وقال هذه درعي [٢٠٠] فقال النصراني: ما هي إلَّا درعي، فقال شريح لعلي: ألك بَيِّنَة؟ قال علي: لا وهو يضحك. فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيراً ثم عاد وقال: أشهد أن هذه أحكام الأنبياء ثم أسلم واعترف أن الدرع سقطت من علي عند مسيره إلى صفين ففرح علي بإسلامه ووهبه الدرع وفرساً وشهد مع علي قتال الخوارج فقتل رحمه الله[٥].

وحمل علي في ملحفته تمراً اشتراه بدرهم، فقيل له: يا أمير المؤمنين ألا نحمله عنك، فقال: أبو العيال أحق بحمله[٦].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل: ٥/١٥٣-١٥٥.

(٢) الحديث أخرجه أحمد، المسند: ٤/ ٣٧٢.

(٣) الحديث أخرجه أحمد، المسند: ٢/ ٣٨٤.

(٤) الحديث أخرجه ابن سعد، الطبقات: ٣/ ٢٤، والترمذي، السنن: حديث رقم (٢٩٩٩).

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٠١.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٠١.

وكان يقسم ما في بيت المال كل جمعة حتى لا يترك فيه شيئاً[1].

ودخل مرة إلى بيت المال فوجد الذهب والفضة، فقال: يا صفراء صفري ويا بيضاء بيضي، وغري غيري لا حاجة لي فيك. وقصده أخوه لأبيه عقيل بن أبي طالب يسترفده فلم يجد عنده ما يطلب ففارقه ولحق بمعاوية حباً للدنيا وكان مع معاوية يوم صفين، فقال له معاوية، يمازحه: يا أبا يزيد أنت اليوم معنا، فقال: ويوم بدر كنت معكم أيضاً، وكان يوم بدر مع المشركين هو وعمه العباس.

أخبار الحسن:

لما توفي علي رضي الله عنه بايع الناس ابنه الحسن، وكان عبد الله بن عباس قد فارق علياً قبل مقتله، وأخذ من البصرة مالاً، وذهب به إلى مكة وجرت بينه وبين علي مكاتبات في ذلك[2]. ولما تولى الحسن الخلافة كتب إليه ابن عباس يقوي عزيمته [٢٠١] على جهاد عدوه، وكان أول من بايع الحسن قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، فقال له: ابسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله، وقتال المخالفين، فقال الحسن: على كتاب الله وسنة رسوله فإنهما يأتيان [وراء كل شرط][3] وكان الحسن يشترط أنهم سامعون مطيعون يسالمون من سالم ويحاربون من حارب فارتابوا من ذلك، وقالوا: ما هذا لكم بصاحب ولا يريد القتال[4].

سنة إحدى وأربعين:

تسليم الحسن الأمر إلى معاوية

قيل: كان علي قبل موته قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت وأخذ في التجهيز إلى قتال معاوية فاتفق بقتله، ولما بويع الحسن بلغه مسير أهل الشام إليه مع معاوية فتجهز الحسن في ذلك الجيش الذي كانوا قد بايعوا أباه، وسار عن الكوفة إلى لقاء معاوية، ووصل إلى المدائن وجعل على مقدمته قيس بن سعد في اثني عشر ألفاً، وقيل: بل الذي جعله على مقدمته عبيد الله بن عباس، وجرى بين أصحاب الحسن فتنة

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/٤٠١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل: ٥/١٤١.

(٣) الإضافة من الطبري، تاريخ الرسل: ٥/١٥٨.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل: ٥/١٦٢.

حتى نازعوا الحسن بساطاً كان تحته، فدخل إلى المقصورة البيضاء بالمدائن، وازداد لذلك العسكر بغضاً، ولما رأى الحسن ذلك كتب إلى معاوية يشترط عليه شروطاً، وقال: إن أجبت إليها فأنا سامع مطيع، فأجاب معاوية، وكان الذي طلبه الحسن أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة [٢٠٢] وخراج دارابجرد من فارس، وأن لا يسب علياً فلم يجبه إلى الكف عن سب علي، فطلب الحسن أن لا يشتم علي وهو يسمع فأجابه إلى ذلك ثم لم يف به، وقيل: إنه وصله بأربعمائة ألف ولم يعطه من خراج دارابجرد شيئاً[١].

ودخل معاوية الكوفة فبايعه الناس، وكتب الحسن إلى قيس بن سعد يأمره بالدخول في طاعة معاوية، ثم جرت بين قيس وبين عبيد الله بن عباس وبين معاوية مراسلات وآخر الأمر أنهما بايعا ومن معهما، وشرطا أن لا يطالبا بمال ولا دم، ووفى بهما معاوية بذلك، ولحق الحسن بالمدينة وقيل: كان تسليم الحسن الأمر إلى معاوية في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وهو الأصح[٢].

روى سفيان: أن النبي ﷺ قال: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً عضوضاً**» وقيل آخر الثلاثين يوم خلع الحسن نفسه من الخلافة وأقام الحسن بالمدينة إلى أن توفي في ربيع الأول سنة تسع وأربعين وكان مولده بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة وهو أكبر من الحسين بسنة وتزوج الحسن كثيراً من النساء، وكان مطلاقاً، وكان له خمسة عشر ولداً ذكراً وثماني بنات وكان يشبه جده ﷺ من سرته إلى قدمه[٣].

وتوفي الحسن من سم سقته زوجته جعدة بنت الأشعث. قيل فعلت ذلك بأمر معاوية، وقيل: بأمر يزيد بن معاوية، ووعدها أن يتزوجها [٢٠٣] إن فعلت ذلك، فلما قتلت الحسن طالبته أن يتزوجها فأبى، فكان الحسن أوصى أن يدفن عند جده ﷺ، فلما توفي أرادوا ذلك، وكان على المدينة مروان بن الحكم من قبل معاوية فمنع من ذلك، وكاد أن يقع بين بني أمية وبين بني هاشم فتنة فقالت عائشة رضي الله عنها البيت بيتي ولا آذن أن يدفن فيه فدفن بالبقيع[٤]. ولما بلغ معاوية موت الحسن خر ساجداً، فقال بعض الشعراء: [الرمل]

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل: ٥/١٥٨-١٦٠، ١٦٢-١٦٣.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل: ٥/١٦٣-١٦٤.

(٣) ابن قتيبة، المعارف: ٢١١، الزبيري، نسب قريش: ٤٠.

(٤) ابن قتيبة، المعارف: ٢١١.

أصبح اليوم ابن هند شامتا ... ظاهر النجوة إذ مات الحسن
يا ابن هند إن تذق كأس الردى ... تك في الدهر كشيء لم يكن
لست بالباقي [فلا] تشمت به ... كل حي للمنايا مرتهن

أما فضائل الحسن: ففي الصحيح قول النبي ﷺ: **«الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة أبوهما خير منهما»**. وروي أنه ﷺ مَر بالحسن والحسين وهما يلعبان فطأطأ رأسه وحملهما وقال: **«نعم المطية مطيتهما ونعم الراكبان هما»**[1].

خلفاء بني أمية:

وهم أربعة عشر خليفة أولهم معاوية وآخرهم مروان الجعدي. وكانت مدة ملكهم نيفاً وثمانين سنة وهي ألف شهر تقريباً[2].

قال القاضي جمال الدين بن واصل رحمه الله: إن ابن [٢٠٤] الأثير قال في تاريخه الكبير[3]: إنه لما سار الحسن من الكوفة عرض له رجل فقال له: يا مُسوّد وجه المؤمنين فقال: لا تعذلني فإن رسول الله ﷺ رأى في منامه: أن بني أمية ينزلون عن منبره رجلاً رجلاً فساءه ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ يملكها بعده بنو أمية.

أخبار معاوية بن أبي سفيان:

ابن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وأمه هند بنت عتبة. ويكنى أبا عبدالرحمن وبويع بالخلافة يوم اجتماع الحكمين، وقيل: ببيت المقدس بعد قتل علي وبويع البيعة التامة لما خلع الحسن نفسه واستمر معاوية في الخلافة[4].

سنة اثنتين وثلاث وأربعين:

فيها: توفي عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي. وعمرو المذكور أحد الثلاثة الذين

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني، المعجم الكبير، حديث رقم (٢٦٦١).
(٢) مدة الخلافة الأموية ٩٢ سنة من سنة ٤١-١٣٢هـ.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/٤٠٧.
(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/٤٠٢.

كانوا يهجون رسول الله ﷺ وهم: عمرو بن العاص وأبو سفيان بن حرب وعبد الله بن الزبعرى وكان يجيبهم عن رسول الله ﷺ ثلاثة أيضاً وهم: حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك[1].

وكانت مصر طعمة لعمرو من معاوية [٢٠٥] جندها حسبما كان اتفق مع معاوية لما كانا يحاربان علياً رضي الله عنه، وفي ذلك يقول عمرو[2]: [الطويل]

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل به منك دنيا فانظرن كيف تصنع

فإن تعطني مصراً فتربح بصفقةٍ أخذت بها شيخاً يضرُّ وينفع

ولما مات عمرو ولى معاوية ابنه عبد الله بن عمرو ثم عزله عنها[3].

سنة أربع وأربعين:

استلحاق معاوية زياداً: وفي هذه السنة استلحق معاوية زياد بن سُميّة، وكانت سمية جارية للحارث بن كلدة الثقفي، فزوجتها لعبد له رومي يقال له عبيد، فولدت سمية زياداً على فراشه، فهو ولد عبيد شرعاً، وكان أبو سفيان قد سار في الجاهلية إلى الطائف فنزل على إنسان يقال له أبو مريم أسلم بعد ذلك، وكانت له صحبة، وكان إذ ذاك خماراً، فقال له أبو سفيان: إني اشتهيت النساء، فقال له أبو مريم: هل لك في سمية، فقال أبو سفيان: هاتها على طول ثدييها وذفر أُبطيها فأتاه بها فوقع عليها، فيقال: إنها علقت منه بزياد ثم وضعته في السنة التي هاجر فيها رسول الله ﷺ ونشأ زياد فصيحاً وحضر زياد يوماً بمحضر من جماعة من الصحابة في خلافة عمر، فقال عمرو بن العاص: لو كان هذا الغلام من قريش لساق العرب بعصاه، فقال أبو سفيان لعلي بن أبي طالب [٢٠٦]: إني لأعرف من وضعه في رحم أمه، فقال علي: فما يمنعك من استلحاقه، فقال: أخاف الأصلع يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقطع إهابي بالدرة، ثم لما كان قضية الشهود على المغيرة بالزنا وجلدهم، وامتناع زياد عن التصريح كما ذكرنا، اتخذ المغيرة لزياد بذلك يداً، ثم لما ولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة استعمل زياداً على فارس، فقام بولايتها أحسن قيام. ولما سلم الحسن الأمر

---

(١) ابن الأثير، الكامل في بالتاريخ: ٣/ ٤٢٥.

(٢) الشعر في المنقري، صفين: ٣٩.

(٣) الطبري، تاريخ: ٥/ ١٨١.

إلى معاوية امتنع زياد بفارس ولم يطع معاوية وأهَمّ معاوية أمره وخاف أن يدعو إلى أحد من بني هاشم ويُعيد الحرب. وكان معاوية قد ولى المغيرة بن شعبة الكوفة فقدم المغيرة على معاوية سنة اثنتين وأربعين فشكا معاوية إليه امتناع زياد بفارس، فقال المغيرة: أتأذن لي المسير إليه فأذن له، وكتب معاوية لزياد أماناً فتوجه المغيرة إليه لما بينهما من المودة ولم يزل عليه حتى أحضره إلى معاوية وبايعه. وكان المغيرة يكرم زياداً ويعظمه من حينِ الشهادة، فلما كانت هذه أعني سنة أربع وأربعين استلحق معاوية زياداً فأحضر الناس وحضر من يشهد لزياد بالنسب، وكان ممن حضر لذلك أبو مريم الخمار الذي أحضر سمية إلى أبي سفيان بالطائف فشهد بنسب زياد من أبي سفيان فقال: إني رأيت اسكتي سمية تقطران من منيِّ أبي سفيان، فقال: رويدك طلبت شاهداً، ولم تطلب شتَّاماً فاستحلفه معاوية[1] [٢٠٧].

وهي أول قضية خولف فيها حكم الشريعة علانية لصريح قول النبي ﷺ: «**الولد للفراش وللعاهر الحجر**»[2]. وأعظم الناس ذلك وأنكروه خصوصاً بنو أمية لكون زياد ابن عبيد الرومي صار من بني أمية بن عبد شمس. وقال عبدالرحمن بن الحكم أخو مروان: [الوافر]

ألا أبلغ معاوية بن صخر	لقد ضاقت بما تأتي اليدان
أتغضب أن يقال أبوك عفٌّ	وترضى أن يقال أبوك زاني
وأشهد أن رحمك من زياد	كرحم الفيل من ولد الأتان

ثم ولى معاوية زياداً البصرة وأضاف إليه خراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان[3].

وفيها: أعني سنة أربع وأربعين توفيت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ[4].

سنة خمس وأربعين:

فيها: قدم زياد البصرة فشدد أمر السلطنة وأكد الملك لمعاوية وجرد السيف،

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٤١.

(٢) ابن حجر، فتح الباري: ١٢/ ٤٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٤٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٤٦.

وأخذ بالظنة، وعاقب على الشبهة، فخافه الناس خوفاً عظيماً وذكر أنه لم يخطب أحد بعد علي بن أبي طالب مثل زياد(1).

ولما مات المغيرة بن شعبة سنة خمسين، وكان عاملاً لمعاوية على الكوفة، ولى معاوية الكوفة أيضاً زياداً، فسار زياد إليها واستخلف على البصرة سمرة بن جندب، فحذا حذو زياد في سفك الدماء، وكان زياد يقيم بالكوفة ستة [٢٠٨] أشهر وفي البصرة مثلها وهو أول من سير بين يده بالحراب والعمد، واتخذ الحرس خمسمائة لا يفارقون مكانه(2).

وكان معاوية وعماله يدعون لعثمان في الخطبة يوم الجمعة ويسبون علياً ويقعون فيه.

ولما كان المغيرة متولي الكوفة كان يفعل ذلك طاعة لمعاوية، وكان يقوم حجر وجماعة معه يرددون عليه سبّه لعلي رضي الله عنه، وكان المغيرة يتجاوز عنهم فلما ولي زياد دعا لعثمان وسب علياً، وما كانوا يذكرون علياً باسمه، ولكن يسمونه بأبي تراب، وكان علي يحب هذه الكنية لأن رسول الله ﷺ كناه بها، فقام حجر وقال كما كان يقول من الثناء على علي فغضب زياد وأمسكه وأوثقه بالحديد وثلاثة عشر رجلاً معه وأرسلهم إلى معاوية فشفع في ستة نفر منهم عشائرهم، وبقي ثمانية منهم حجر فأرسل معاوية من قتلهم بعذراء وهي قرية ظاهر دمشق رضي الله عنه. وكان حجر من أعظم الناس صلاة فأرسلت عائشة تشفع فيه فلم يصل رسولها إلَّا بعد قتله(3).

قال القاضي جمال الدين بن واصل، وروى ابن الجوزي عن الحسن البصري أنه قال: أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة كانت موبقة أولها: أخذه الخلافة بالسيف من غير مشاورة وفي الناس بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه يزيد وكان سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله ﷺ [٢٠٩]: **«الولد للفراش وللعاهر الحجر»**. وقتله حجر بن عدي الكندي فيا ويلاً له من حجر بن عدي وأصحاب حجر(4).

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٠.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٦١.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٧٢.

(4) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات: ٤٦٠.

ورُوي عن الشافعي ﷺ: أنه أسرَّ إلى الربيع أن لا تقبل شهادة أربعة من الصحابة وهم: معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن سميّة.

وفيها: أعني سنة خمس وأربعين توفي عبدالرحمن بن خالد بن الوليد وكان أهل الشام قد مالوا إليه جداً فدس إليه معاوية نصرانياً يقال له: ابن أثال ومعه سم فاغتاله به[1].

سنة ست وأربعين وسبع:

فيها: توفي قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر وإليه ينتسب فيقال المنقري وفد على النبي ﷺ في وفد بني تميم فأسلم وكان قيس المذكور موصوفاً بمكارم الأخلاق.

سنة ثمان وأربعين:

غزوة القسطنطينية: وفي هذه السنة سير معاوية جيشاً كثيفاً مع سفيان بن عوف إلى القسطنطينية فأوغلوا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية وكان في الجيش ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري. وتوفي أبو أيوب في مدة الحصار ودفن بالقرب من سورها. وشهد أبو أيوب مع رسول الله ﷺ بدراً وأُحداً وشهد مع علي صفين وغيرها من حروبه[2] [٢١١].

سنة تسع وأربعين:

فيها: بنيت القيروان وكمل بناؤها في سنة خمس وخمسين وكان من حديثها أن معاوية ولى عقبة بن نافع إفريقية وكان عقبة صحابياً من الصالحين فوضع السيف في أهل إفريقية لأنهم كانوا يرتدون إذا فارقهم العسكر وكان مقام الولاة بزويلة وبرقة فرأى عقبة أن يتخذ مدينة بتلك البلاد تكون مقراً للعسكر واختار موضع القيروان وكان دجلة مشتبكة فقطع أشجارها وبناها مدينة وهي مدينة القيروان.

وفيها: أعني سنة خمسين: توفي دحية الكلبي وهو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة منسوب إلى كلب بن وبرة أسلم قديماً ولم يشهد بدراً، قال النبي ﷺ: «**أشبه من رأيت بجبريل دحية الكلبي**».

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/٤٥٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/٤٥٨.

سنة إحدى وخمسين:

فيها: توفي سعيد بن زيد آخر العشرة المشهود لهم بالجنة ﷺ.

سنة اثنتين وثلاث وخمسين:

فيها: هلك زياد بن أبيه في رمضان من أكلةٍ في إصبعه، وكان مولده عام الهجرة[١].

سنة أربع وخمسين وست وخمسين:

فيها: ولى معاوية سعيد بن عثمان خراسان فقطع نهر جيحون إلى سمرقند والصغد فهزم الكفار وسار إلى ترمذ ففتحها صلحاً[٢] وممن قتل معه في هذه الغزاة قثم ابن العباس ودفن بسمرقند ومات أخوه عبد الله بن العباس بالطائف والفضل [٢١١] بالشام ومعبد بإفريقية فلم ير قبور إخوة أبعد من قبور هؤلاء الإخوة بني عباس[٣].

وفي هذه السنة أعني سنة ست بايع معاوية الناس لابنه يزيد بولاية العهد بعده وبايعه أهل الشام والعراق وكان المتولي على المدينة من جهة معاوية مروان بن الحكم فأراد البيعة له فامتنع من ذلك الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبدالرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير وامتنع الناس لامتناعهم. وآخر الأمر أن معاوية قدم بنفسه إلى الحجاز ومعه ألف فارس وتحدث مع عائشة في أمرهم فلم ترد عليه وشتمته ثم بايع أهل الحجاز وامتنع المذكورون[٤].

ويروى أن معاوية قال لابنه يزيد: إني مهدت لك الأمور ولم يبق أحد لم يبايعك غير هؤلاء الأربعة فأما عبدالرحمن فرجل كبير هامة اليوم أو غد وأما ابن عمر فرجل قد غلب عليه الورع وأما الحسين فله قرابة فإن ظفرت به فاصفح عنه. وأما ابن الزبير فإن ظفرت به فقطعه إرباً إرباً[٥].

---

(١) الطبري، تاريخ: ٥/٢٨٨.

(٢) الطبري، تاريخ: ٥/٣٠٥.

(٣) الزبيري، نسب قريش: ٢٥، ٢٧.

(٤) الطبري، تاريخ: ٥/٣٠١.

(٥) الطبري، تاريخ: ٥/٣٢٢.

سنة سبع وثمان وتسع وخمسين:

في سبع: توفيت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق ﵄ وفيها: توفي أخوها عبدالرحمن. وفي سنة تسع: توفي سعيد بن العاص بن أمية ولد عام الهجرة وقتل أبوه العاص ببدر كافراً وكان سعيد من أجواد بني أمية.

وفيها: مات الحطيئة واسمه جرول بن مالك ولقب الحطيئة لقصره أسلم ثم ارتد ثم أسلم وقال [٢١٢] عند موت النبي ﷺ وارتداد العرب: [الطويل]

أطعنا رسول الله ما كان بيننا ... فيا لعباد الله ما لأبي بكر

أيورثها بكراً إذا مات بعده ... وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

وفيها: توفي أبو هريرة واختلف في اسمه ونسبه وهو ممن لازم خدمة رسول الله ﷺ وروى عنه كثيراً فاتهمه بعض الناس لكثرة ما روى عنه من الأحاديث والأكثر يصححون روايته ولا يشكون فيها.

سنة ستين:

وفاة معاوية: فيها في رجب توفي معاوية بن أبي سفيان وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوماً منذ اجتمع له الأمر وبايعه الحسن بن علي وكان عمره خمساً وسبعين وقيل سبعين وقيل غير ذلك(١) فأنشد معاوية وقد تجلد للعائذين(٢): [الكامل]

وتجلدي للشامتين أريهم ... أني لريب الدهر لا أتضعضع

فقال بعضهم: [الكامل]

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

ولما توفي معاوية خرج الضحاك بن قيس حتى أتى المنبر ومعه أكفان معاوية فأثنى على معاوية وأعلم الناس بموته وأن هذه أكفانه ثم صلى عليه الضحاك وكان يزيد غائباً بقرية حوارين من عمل حمص فكتبوا إليه فطلبوه فحضر بعد دفن أبيه وصلى على قبره(٣) [٢١٣].

---

(١) الطبري، تاريخ: ٥/٣٢٣.
(٢) الشعر في الطبري، تاريخ: ٥/٣٢٦.
(٣) الطبري، تاريخ: ٥/٣٢٨.

أخبار معاوية:

أسلم مع أبيه عام الفتح واستكتبه النبي ﷺ واستعمله عمر على الشام أربع سنين من خلافته وأقره عثمان مدة خلافته نحو اثنتي عشرة سنة وتغلب على الشام محارباً لعلي أربع سنين وكان أميراً وملكاً على الشام نحو أربعين سنة. وكان حليماً حازماً داهية عالماً بسياسة الملك وكان حلمه قاهراً لغضبه وجوده غالباً على منعه.

ويحكى عن حلمه من تاريخ القاضي جمال الدين بن واصل: أن أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة فقال لها معاوية: مرحباً بك يا خالة كيف أنت فقالت: بخير يا ابن أخي لقد كفرت النعمة وأسأت لابن عمك الصنيعة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك وكنا أهل البيت أعظم الناس بلاء في هذا الدين حتى قبض الله نبيه مشكوراً سعيه مرفوعاً منزلته فوثبت بعده علينا بتيم وعدي وأمية فابتزونا حقنا ووليتم علينا فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون وكان علي بن أبي طالب بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى. فقال لها عمرو ابن العاص: كفى أيتها العجوز الضالة وأقصري عن قولك مع ذهاب عقلك فقالت وأنت يا ابن النابغة تتكلم وأمك كانت أشهم بغي بمكة وأرخصهن أجرة وادّعاك خمسة من قريش فسألت أمك عنهم فقالت كلهم أتاني [٢١٤] فانظروا أشبههم به فألحقوه به فغلب عليك شبه العاص بن وائل فألحقوك به فقال معاوية: عفا الله عما سلف هاتي حاجتك فقالت: أريد ألفي دينار أشتري بها عيناً فوارة في أرض خرّارة تكون لفقراء بني الحارث بن عبدالمطلب وألفي دينار أخرى أزوج بها فقراء بني الحارث وألفي دينار أستعين بها على شدة الزمان فأمر بها بستة آلاف دينار فقبضتها وانصرفت.

ومعاوية أول خليفة بايع لولده، وأول من وضع البريد، وأول من عمل المقصورة في المسجد، وأول من خطب جالساً في قول بعضهم.

وكان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يرى سماع الأوتاد والغناء وهو رأي أهل المدينة. وكان معاوية ينكر ذلك عليه فدخل عبد الله بن جعفر يوماً على معاوية ومعه بديح المغني فقال ابن جعفر لبديح غَنِّ فغنى بشعر كان يحبه معاوية وهو:

يا لينا أوقدي النارا ... إن من تهوين قد جارا
رب نار بت أرمقها ... تقضم النهدي والغارا
وبها ظبي لوجحها ... عاقد في الخصر زنارا

فطرب معاوية وتحرك وضرب برِجله الأرض فقال ابن جعفر: مه يا أمير المؤمنين فقال معاوية: إن الكريم طروب.

وقال معاوية: أعنت على علي بثلاث: كان رجلاً علته ظاهرة وكنت كتوماً لسري، وكان في أخبث جند وأكثرهم خلافاً وكنت في أطوع [٢١٥] جند وأقله خلافاً وخلا بأصحاب الجمل فقلت إن ظفر بهم اعتددت ذلك عليه وهناً وإن ظفروا به كانوا أهون عليّ منه.

أخبار يزيد بن معاوية:

وهو ثاني خلفائهم، وأم يزيد ميسون بنت بحدل الكلبية.

بويع بالخلافة لما مات أبوه في رجب سنة ستين، ولما استقر في الخلافة أرسل إلى عامله بالمدينة بإلزام الحسين وعبد الله بن عمر وابن الزبير بالبيعة. فأما ابن عمر فقال: إن أجمع الناس على بيعته بايعته. وأما الحسين وابن الزبير فسارا إلى مكة ولم يبايعا، وأرسل عامل المدينة جيشاً مع عمرو بن الزبير أخي عبد الله بن الزبير وكان شديد العداوة لأخيه لقتال أخيه عبد الله فانتصر عبد الله ابن الزبير وهزم الجيش وأمسك أخاه عمراً فحبسه حتى مات في حبسه[١].

مسير الحسين إلى الكوفة:

ورد إلى الحسين مكاتبات أهل الكوفة يحثونه على المسير إليهم ليبايعوه وكان العامل عليها النعمان بن بشير فأرسل الحسين إلى الكوفة ابن عمه مُسلم بن عقيل ليأخذ البيعة عليهم فوصل إلى الكوفة وبايعه فيها نحو ثلاثين ألفاً. وبلغ يزيد عن النعمان بن بشير كلام فعزله، وولى عبيد الله بن زياد وكان والياً على البصرة فقدم الكوفة ورأى ما الناس عليه فخطبهم وحثهم على [٢١٦] طاعة يزيد بن معاوية واستمر مسلم بن عقيل عند قدوم عبيد الله بن زياد على ما كان ثم اجتمع إلى مسلم بن عقيل من كان بايعه للحسين وحضروا عبيد الله بقصره ولم يكن مع عبيد الله في القصر غير ثلاثين رجلاً ثم إن عبيد الله أمر أصحابه أن يشرفوا من القصر ويمنوا أهل الطاعة ويخذّلوا أهل المعصية حتى أن المرأة تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف إن الناس يكفونك فتفرق الناس عن مسلم ولم يبق معه غير ثلاثين رجلاً فانهزم واستتر ونادى منادي عبيد الله بن

---

(١) الطبري، تاريخ: ٥/٣٣٨-٣٤٦.

زياد من أتى بمسلم بن عقيل فله دينه فأمسك مسلم وأحضر إليه ولما حضر مسلم بين يدي عبيد الله شتمه وشتم الحسين وعلياً وضرب عنقه في تلك الساعة ورميت جيفته من القصر. ثم أحضر هانئ بن عروة وكان ممن أخذ البيعة للحسين فضرب عنقه أيضاً وبعث برأسيهما إلى يزيد بن معاوية، وكان مقتل مسلم لثمان مضين من ذي الحجة سنة ستين[1].

وأخذ الحسين وهو بمكة في التوجه إلى العراق وكان عبد الله بن عباس يكره ذهاب الحسين إلى العراق خوفاً عليه. وقال للحسين: يا ابن العم إني أخشى عليك أهل العراق فإنهم غدر أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز وإن أبيت إلّا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها شيعة لأبيك وفيها حصون وشعاب. فقال الحسين: والله إني أعلم أنك لي ناصح مشفق ولقد أزمعت [٢١٧] وأجمعت[2].

ثم خرج ابن عباس من عنده وخرج الحسين من مكة يوم التروية سنة ستين واجتمع إليه جمائع من العرب ثم لما بلغه مقتل مسلم بن عقيل وتخاذل الناس عنه أعلم الحسين من معه بذلك وقال: من أحب أن ينصرف فلينصرف فتفرق الناس عنه يميناً وشمالاً ولما وصل الحسين إلى موضع يقال له شراف وصل إليه الحُرّ بن يزيد الرياحي صاحب شرطة عبيد الله بن زياد في ألف فارس حتى وقفوا مقابل الحسين في حرِّ الظهيرة فقال له الحُر: إنا أمرنا أن لا نفارقك حتى نوصلك الكوفة فقال الحسين: الموت أهون من ذلك[3].

سنة إحدى وستين:

مقتل الحسين رضي الله عنه:

ولما سار الحسين مع الحر ورد كتاب ابن زياد أن ينزلهم على غير ماءٍ فأنزلهم في الموضع المعروف بكربلاء وذلك يوم الخميس ثاني المحرم من سنة إحدى وستين ولما كان من الغد قدم من الكوفة عمر بن سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف فارس لقتال الحسين فسأله الحسين في أن يمكن من العود من حيث أتى أو أن يجهز إلى يزيد

(١) الطبري، تاريخ: ٥/ ٣٤٧.

(٢) الطبري، تاريخ: ٥/ ٣٨٢-٣٨٣.

(٣) الطبري، تاريخ: ٥/ ٤٠٠.

ابن معاوية أو أن يلحق بالثغور فكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بذلك فغضب فقال: لا ولا كرامة وأرسل مع شمر بن ذي الجوشن إلى عمر بن سعد، إما أن يقاتل الحسين ويقتله وتطأ الخيل جثته وإما أن [٢١٨] يعتزل ويكون الأمير على الجيش الشمر فقال عمر بن سعد: بل أقاتله ثم نهض عشية الخميس تاسع المحرم من هذه السنة والحسين جالس أمام بيته بعد صلاة العصر فلما قرب الجيش منه سألهم مع أخيه العباس أن يمهلوه إلى الغد وأن يجيبهم إلى ما يختارونه فأجابوه فقال الحسين لأصحابه: إني قد أذنت لكم فتفرقوا في سواد هذا الليل في سوادكم ومدائنكم فقال أخوه: لِما تفعل ذلك لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبداً ثم تكلم اخوته وبنو أخيه وبنو عبد الله بن جعفر بنحو ذلك. وكان الحسين وأصحابه يصلون الليل كله فيدعون فلما أصبحوا ركب عمر بن سعد في أصحابه وذلك يوم عاشوراء من السنة المذكورة وعبّأ الحسين أصحابه وهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً ثم حملوا على الحسين وأصحابه واستمر القتال إلى وقت الظهر من ذلك اليوم فصلى الحسين وأصحابه صلاة الخوف واشتد بالحسين وأصحابه العطش فتقدم ليشرب فرمي بسهم فوقع في فمه ونادى شمر ويلكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه فضربه زرعة بن شريك على كفه وضربه آخر على عاتقه وطعنه سنان بن أنس النخعي بالرمح فوقع فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه شمر وجاء به إلى عمر بن سعد فأمر عمر جماعة فوطئوا صدر الحسين وظهره بخيولهم ثم بعث بالرؤوس والنساء والأطفال إلى عبيد الله بن زياد [٢١٩] فجعل ابن زياد يقرع فم الحسين بقضيب كان في يده فقال له زيد بن أرقم: ارفع هذا القضيب فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين، ثم بكى. ويروى هذا عن يزيد بن معاوية وأنّ الذي نهاه أبو بردة الأسلمي[١].

وقتل مع الحسين من أولاد عليّ أربعة وهم: العباس وجعفر ومحمد وأبو بكر. ومن أولاد الحسين أربعة، وقتل عدة من أولاد عبد الله بن جعفر ومن أولاد عقيل ثم بعث ابن زياد بالرؤوس والنساء والأطفال إلى يزيد بن معاوية فوضع يزيد رأس الحسين بين يديه وأحضر النساء والأطفال وأمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم وأن يبعث معهم أميناً يوصلهم إلى المدينة فجهزهم إلى المدينة[٢]، ولما وصلوها لقيهم نساء

---

(١) الطبري، تاريخ: ٥/ ٤٠٠-٤٦٦.

(٢) الطبري، تاريخ: ٥/ ٤٦٧.

بني هاشم حاسرات وفيهن ابنة عقيل بن أبي طالب وهي تقول[1]: [البسيط]

مـاذا يـقـولـون إن قـال الـنـبـي لـهـم	مـاذا فـعـلـتـم وأنـتـم آخـر الأمـم
بـعـتـرتـي وبـأهـلـي عـنـد مـنـقـلـبـي	مـنـهـم أسـارى ومـنـهـم ضـرجـوا بـدم
مـا كـان هـذا جـزائـي إذ نـصـحـت لـكـم	أن تـخـلـفـونـي بـسـوء فـي ذوي رحـمـي

واختلف في موضع رأس الحسين فقيل جُهز إلى المدينة ودفن عند أمه وقيل بباب الفراديس وقيل إن خلفاء مصر نقلوا رأساً من عسقلان إلى القاهرة ودفنوه بها وبنوا عليه مشهداً يعرف بمشهد الحسين [٢٢٠].

واختلف في عمره والصحيح أنه خمس وخمسون وأشهر. وقيل حج الحسين خمساً وعشرين حجة ماشياً. وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة.

وأما عبد الله بن الزبير فإنه استمر بمكة ممتنعاً عن الدخول في طاعة يزيد بن معاوية.

سنة اثنتين وستين وثلاث وستين:

في سنة اثنتين: اتفق أهل المدينة على خلع يزيد بن معاوية وأخرجوا نائبه عثمان ابن محمد بن أبي سفيان منها فجهز يزيد جيشاً مع مسلم بن عقبة المرّي وأمره أن يقاتل أهل المدينة فإذا ظفر بهم أباحها للجند ثلاثة أيام يسفكون فيها الدماء وينهبون الأموال ويبايعهم على أنهم خول وعبيد ليزيد فإذا فرغ من المدينة يسير إلى مكة فسار مسلم في عشرة آلاف من أهل الشام حتى نزل على المدينة من جهة الحرة وأصر أهل المدينة من المهاجرين والأنصار وغيرهم على قتاله واقتتلوا فقتل الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب بعد أن قاتل قتالاً عظيماً وكذلك قتل جماعة من الأنصار والأشراف ثم انهزموا وأباح مسلم بن عقبة مدينة نبي الله ﷺ يقتلون الرجال ويأخذون الأموال ويفسقون بالنساء[2].

روي عن الزهري: أن قتلى الحرة كانوا سبعمائة من قريش ووجوه المهاجرين والأنصار وعشرة آلاف من وجوه الموالي وكانت الموقعة لثلاث [٢٢١] بقين من ذي

---

(١) الشعر في الطبري، تاريخ: ٥/٤٦٧.

(٢) الطبري، تاريخ: ٥/٤٨٢.

الحجة من سنة ثلاث وستين ثم إن مسلماً بايع من بقي من الناس على أنهم خول وعبيد للفاسق يزيد ولما فرغ مسلم من المدينة سار بالجيش إلى مكة[١].

سنة أربع وستين:

حصار الكعبة:

ولما سار مسلم من المدينة إلى مكة هلك قبل وصوله إلى مكة شرفها الله تعالى وأقام على الجيش مقامه الحصين بن نمير السكوني وذلك في المحرم من هذه السنة فقدم الحصين مكة وحاصر عبد الله بن الزبير أربعين يوماً حتى جاءهم الخبر بموت يزيد ابن معاوية على ما سنذكره بعد رمي البيت الحرام بالمنجنيق وإحراقه بالنار ولما علم الحصين بموت يزيد قال لعبد الله بن الزبير: من الرأي أن ندع دماء القتلى بيننا وأقبل لأبايعك وأقدم بك إلى الشام فامتنع عبد الله بن الزبير وارتحل الحصين راجعاً إلى الشام ثم ندم عبد الله على عدم الموافقة وسار الحصين بمن كان بالمدينة من بني أمية وقدموا الشام[٢].

هلاك يزيد بن معاوية: هلك بحوارين من عمل حمص لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين. وكانت مدة خلافته ثلاث وسنين وستة أشهر وكان آدم أجعد أحور العين بوجهه أثر جدري حسن اللحية خفيفها طويلاً وخلف عدة بنين وبنات. وكانت أمه ميسون [٢٢٢] بنت بحدل الكلابية أقام يزيد معها بين أهلها في البادية وتعلم الفصاحة ونظم الشعر هناك في بادية بني كلب[٣]، وكان سبب إرساله مع أمه هناك أن معاوية سمع ميسون تنشد: [الوافر]

للبس عباءة وتقر عيني	أحب إليّ من لبس الشفوف
وبيت تخفق الأرياح فيه	أحب إليّ من قصر منيف
وبكر تتبع الأظعان صعب	أحب إليّ من بغل رفوف
وكلب ينبح الأضياف دوني	أحب إليّ من هرٍّ ألوف
وخرق من بني عمي فقير	أحب إليّ من علج عليف

---

(١) الطبري، تاريخ: ٥/ ٤٩٢.
(٢) الطبري، تاريخ: ٥/ ٤٩٦.
(٣) الطبري، تاريخ: ٥/ ٤٩٩.

فقال لها معاوية: ما رضيت يا بنت بحدل حتى جعلتيني علجاً عليفاً. الحقي بأهلك، فمضت إلى بادية بني كلب ويزيد معها.

أخبار معاوية بن يزيد بن معاوية:

وهو ثالث خلفائهم ولما توفي يزيد بويع بالخلافة في رابع عشر ربيع الأول من هذه السنة وكان شاباً ديناً فلم تكن ولايته غير ثلاثة أشهر وقيل أربعون يوماً ومات وعمره إحدى وعشرون سنة. وفي آخر أيامه جمع الناس وقال: قد ضعفت عن أمركم ولم يجد حديثي لكم مثل عمر بن الخطاب فأستخلفه عليكم ولا مثل أهل الشورى فأنتم أولى بأمركم فاستخلفوا من شئتم ثم دخل منزله وتغيب فيه حتى مات وقيل إنه أوصى أن يصلي بالناس الضحاك بن قيس حتى يقوم لهم خليفة [٢٢٣].

بيعة عبد الله بن الزبير:

ولما مات يزيد بن معاوية بايع الناس بمكة عبد الله بن الزبير، وكان مروان بن الحكم بالمدينة، فقصد المسير إليه ومبايعته، ثم توجه مع من توجه من بني أمية إلى الشام، وقيل: إن ابن الزبير كتب إلى عامله بالمدينة أن لا يترك من بني أمية بها أحداً ولو سار ابن الزبير مع الحصين بن نمير إلى الشام أو صانع بني أمية ومروان استقر أمره ولكن لا مرد لما قدره الله تعالى[١].

ولما بويع عبد الله بن الزبير بمكة كان عبيد الله بن زياد بالبصرة فهرب إلى الشام وبايع أهل البصرة لابن الزبير واجتمعت له الحجاز والعراق واليمن وبعث إلى مصر فبايع له أهلها وبايع في الشام سراً الضحاك بن قيس وبحمص النعمان بن بشير الأنصاري وبقنسرين زفر بن الحارث الكلابي وكاد الأمر يتم له وكان عبد الله بن الزبير شجاعاً كثير العبادة. وكان به البخل وضعف الرأي[٢].

أخبار مروان بن الحكم:

وهو رابع خلفائهم وقام بالشام في أيام ابن الزبير واجتمعت له الناس وبنو أمية،

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/٢/١٠٥.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/٢/١٠،١٦.

وكان الناس في الشام فرقتين اليمانية مع مروان والقيسية مع الضحاك بن سفيان[١]، وهم مبايعون لابن الزبير وجرت أمور يطول شرحها.

وقعة مرج راهط: [٢٢٤]

وآخر ذلك أن الفريقين التقوا بمرج راهط في غوطة دمشق واقتتلوا وكان الكرة على الضحاك والقيسية وانهزموا وقتل الضحاك بن قيس الفهري وجماعة من فرسان قيس ولما انهزمت قيس يوم المرج نادى منادي مروان أن لا يتبع أحد ودخل دمشق ونزل في دار معاوية بن صخر واجتمع عليه الناس وبلغ ذلك أهل حمص وعليها النعمان بن بشير الأنصاري فخرج هارباً بامرأته وأهله فخرج أهل حمص وقتلوا النعمان بن بشير وردوا برأسه إلى حمص ولما بلغ زفر بن الحارث وهو بقنسرين يدعو لابن الزبير خرج من قنسرين وأتى قرقيسياء فغلب عليها واستوسق الشام لمروان[٢].

ثم خرج إلى جهة مصر وبعث قدامة بن سعيد بن العاص فدخل مصر وطرد عامل ابن الزبير عنها وبايع فيها لمروان ولما ملك مروان مصر ورجع إلى دمشق وخرجت سنة أربع وستين ومروان خليفة بالشام ومصر وابن الزبير خليفة في الحجاز والعراق واليمن[٣].

وفي سنة أربع وستين هدم ابن الزبير الكعبة وكانت حيطانها قد مالت من رمي المنجنيق فهدمها وحفر أساسها وأدخل الحجر فيها وأعادها إلى ما كانت عليه أولاً.

سنة خمس وستين:

وفاة مروان بن الحكم: وذلك أن زوجته أم خالد بن يزيد بن معاوية خنقته وصاحت: مات فُجاءة، وذلك لثلاث خلون [٢٢٥] من رمضان سنة خمس وستين ودفن بدمشق وعمره ثلاث وستون سنة وكانت مُدة خلافته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً[٤].

أما أخباره: فكان أبو الحكم طريد رسول الله ﷺ ولم يزل طريداً في أيام أبي

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: الضحاك بن قيس.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢/ ٢٢.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢/ ٣٦.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢/ ٥٧.

بكر وعمر حتى رده عثمان ومروان هذا هو الذي قتل طلحة بن عبيد الله بسهم نشاب في حرب الجمل[1].

أخبار عبدالملك بن مروان:

وهو خامس خلفائهم لما مات مروان بويع ابنه عبدالملك في ثالث شهر رمضان سنة خمس وستين واستتبّ له الأمر بالشام ومصر وقيل أنه لما أتته الخلافة كان قاعداً والمصحف في حجره فأغلقه وقال: هذا آخر عهدي بك[2].

سنة ست وستين:

خروج المختار بن عبيد الثقفي: وفي هذه السنة خرج المختار بالكوفة طالباً بثأر الحسين واجتمع إليه جمع كثير واستولى على الكوفة وبايعه الناس بها على كتاب بالله وسنة رسوله والطلب بثأر أهل البيت وتجرد المختار لقتل قتلة الحسين وطلب شمر بن ذي الجوشن حتى ظفر به وقتله وبعث إلى خولي الأصبحي وهو صاحب رأس الحسين واحتاط بداره وقتله وأحرقه بالنار ثم قتل عمر بن سعد بن أبي وقاص الذي أمر أن يداس صدر الحسين وظهره بالخيل وقتل حفصاً ابنه وبعث برأسيهما إلى محمد بن الحنفية بالحجاز وذلك [نهاية ص٢٢٥] في ذي الحجة من هذه السنة. ثم إن المختار اتخذ كرسياً وذكر انه لهم بمنزلة تابوت بني إسرائيل ولما أرسل المختار الجنود لقتال عبيد الله بن زياد خرج بالكرسي على بغل فحمله في القتال[3].

سنة سبع وستين:

مقتل عبيد الله بن زياد: وفي المحرم من هذه السنة أرسل المختار الجنود لقتال عبيد الله بن زياد وكان قد استولى على الموصل وقدم على الجيش إبراهيم بن الأشتر النخعي فاقتتلوا وانهزمت أصحاب ابن زياد وقتل إبراهيم بن الأشتر عبيد الله بن زياد في المعركة. وأخذ برأسه وأحرق جثته وغرق من أصحاب ابن زياد المنهزمين أكثر من المقتولين وكان عدة جيش ابن زياد ثمانون ألفاً وعدة جيش المختار ثلاثة وأربعون ألفاً وقتل من أصحاب ابن زياد وغرق تسعة وسبعين ألفاً وقتل من أصحاب المختار عشرة

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢/ ٦.
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢/ ٤٧٠.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢/ ١٤٤.

آلاف فارس وبعث إبراهيم برأس ابن زياد ورؤوس أصحابه إلى المختار وانتقم الله للحسين بالمختار وإن لم تكن نيّة المختار جميلة[١].

وفي سنة سبع وستين: ولى عبد الله بن الزبير أخاه مصعباً البصرة ثم سار مصعب من البصرة بعد أن طلب المهلب بن أبي صفرة الأزدي من خراسان فقدم إليه بمال وعسكر كثير فسارا جميعاً إلى قتال المختار بالكوفة وجمع المختار جموعه والتقيا فتمت الهزيمة بعد قتال شديد على المختار وأصحابه وانحصر المختار في قصر الإمارة بالكوفة ودخل مصعب الكوفة وحاصر المختار وما زال المختار يقاتل حتى [٢٢٧] قتل ثم نزل أصحابه من القصر على حكم مصعب فقتلهم كلهم وكانوا سبعة آلاف نفس. وكان مقتل المختار في رمضان سنة سبع وستين. وعمره سبع وستون سنة[٢].

وفي هذه السنة: أعني سنة سبع وستين توفي الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن معاوية، كنيته أبو بحر ولقبه الأحنف وهو المشهور في الحلم وتوفي بالكوفة وكان سيد قومه في الفضل والدهاء والعلم والحلم والذكاء أدرك عهد رسول الله ﷺ ولم يصحبه ووفد على عمر بن الخطاب في أيام خلافته وكان من كبار التابعين وشهد مع علي وقعة صفين دون وقعة الجمل والأحنف المائل سمي بذلك لأنه كان أحنف الرجل يطأ على جانبها الوحشي وقدم على معاوية في خلافته وحضر عنده في وجوه الناس فدخل رجل من أهل الشام وكان خطيباً وكان آخر كلامه: لعن الله علي بن أبي طالب. فأطرق الناس وتكلم الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا القائل لو يعلم أن رضاك في سب المرسلين فعل فاتق الله ودع عنك علياً فإنه قد لقي ربه وأفرد في قبره وكان والله الميمونة نقيبته العظيمة مصيبته فقال معاوية: يا أحنف لقد أغضيت على القذى وأيم الله لتصعدن المنبر ولتلعننه طوعاً أو كرهاً فقال: أو تقضيني فهو خير لك فألح عليه معاوية فقال لمعاوية: أما والله لأنصفنّك في القول فقال معاوية: وماذا أنت قائل: أحمد الله بما هو أهل وأصلي على رسوله وأقول: أيها الناس إن أمير المؤمنين معاوية [٢٢٨] أمرني أن ألعن علياً وإن معاوية وعلياً اختلفا واقتتلا وادعى كل منهما انه مبغي عليه فإذا دعوت فأمنوا ثم أقول: اللهم العن أنت وملائكتك ورسلك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية اللهم العنهم لعناً كبيراً، أمنوا

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/٢/١٩٤.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/٢/٢٠٥.

رحمكم الله. يا معاوية أقوله ولو كان فيه ذهاب روحي. فقال معاوية: إذاً نعفيك من ذلك.

سنة ثمان وستين:

فيها: توفي عبد الله بن عباس بالطائف وكان محمد بن الحنفية مقيماً بالطائف أيضاً فصلى على ابن عباس وأقام بالطائف إلى أن قدم الحجاج بن يوسف إلى مكة وكان مولد ابن عباس قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له النبي ﷺ وقال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**» فكان كذلك وكان يسمى الحَبر لكثرة علومه.

سنة تسع وستين وما بعدها إلى سنة إحدى وسبعين:

مقتل مصعب بن الزبير: في سنة إحدى وسبعين تجهز عبدالملك وسار إلى العراق وتجهز مصعب لملتقاه واقتتل الجمعان وكان أهل العراق قد كاتبوا عبدالملك فصاروا معه في الباطن فتحولوا عن مصعب وقاتل مصعب حتى قتل هو وولده وكان مقتل مصعب بدير الجاثليق عند نهر دجيل وكان عمره ستاً وثلاثين ومقتله في جمادى الآخرة سنة إحدى وسبعين[1] [٢٢٩].

وكان مصعب صديق عبدالملك بن مروان قبل خلافته وتزوج مصعب سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وجمع بينهما في عقد نكاحه. ثم دخل عبدالملك الكوفة وبايعه الناس واستوسق له ملك العراقيين[2].

سنة اثنتين وسبعين:

فيها: جهز عبدالملك الحجاج بن يوسف الثقفي في جيش إلى مكة لقتال عبد الله ابن الزبير. فسار الحجاج في جمادى الأولى من هذه السنة ونزل الطائف وجرى بينه وبين أصحاب عبد الله بن الزبير وأحصر ابن الزبير في البيت الحرام ورماه بالمنجنيق ودام الحصار حتى انقضت هذه السنة[3].

---

(١) الطبري، تاريخ: ٦/ ١٥١.
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢/ ٣٢٣.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢/ ٣٦٣.

سنة ثلاث وسبعين:

دخلت والحجاج محاصر لابن الزبير وأبى ابن الزبير أن يسلم نفسه وقاتل حتى قتل في جمادى الآخرة من هذه السنة بعد قتال سبعة أشهر[١].

وكان عمر ابن الزبير حين قتل ثلاثاً وسبعين سنة وهو أول من ولد من المهاجرين بعد الهجرة. وكانت مدة خلافته تسع سنين لأنه بويع له سنة أربع وستين لما مات يزيد ابن معاوية. وكان عبد الله بن الزبير كثير العبادة. ومكث أربعين سنة لم ينزع ثوبه عن ظهره[٢].

وفي هذه السنة بعد مقتل ابن الزبير بويع لعبدالملك بالحجاز واليمن واجتمع الناس على طاعته[٣].

وفيها: توفي عبد الله [٢٣٠] ابن عمر رضي الله عنهما وكان موته بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر. وعمره سبع وثمانون سنة[٤].

سنة أربع وسبعين:

فيها: هدم الحجاج الكعبة وأخرج الحجر عن البيت وبناه على ما كان عليه في زمن النبي ﷺ وهو على ذلك إلى الآن واستمر الحجاج أميراً على الحجاز[٥].

سنة خمس وسبعين:

فيها: أرسل عبدالملك إلى الحجاج بولاية العراق فسار من المدينة إلى الكوفة[٦].

وخرج في أيام ولاية الحجاج بالعراق شبيب الخارجي وكثرت جموعه وجرى له مع الحجاج حروب كثيرة آخرها أن جموع شبيب تفرقت فتردى به فرسه من فوق جسر الفرات فسقط في الماء وغرق[٧].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢/ ٣٦٣.
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢/ ١٠٨.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢/ ٣٨٤.
(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢/ ٣٩٤.
(٥) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢/ ٣٩٢.
(٦) الطبري، تاريخ: ٦/ ٢٠٢.
(٧) البلاذري، أنساب الأشراف: ٨/ ١٧.

وكذلك خرج على الحجاج عبدالرحمن بن الأشعث واستولى على خراسان ثم سار إلى العراق وغلب على الكوفة وكثرت جموعه وقويت شوكته وفي ذلك يقول بعض أصحابه[1]: [الرجز]

شطت نَوَى من داره بالإيوان ... إيوان كسرى ذي القُرى والريحان
من عاشق أضحى بزابلستان ... إن ثقيفاً منهم الكذابان
كذابها الماضي وكذاب ثان ... إنا سمونا للكفور الفتان
حين طغى في الكفر بعد الإيمان ... بالسيد الغطريف عبدالرحمن
سار بجمع كالدبى من قحطان ... بجحفل جم شديد الأركان
فقل لحجاجٍ وليّ الشيطان ... يثبت لجمع مذحج وهمدان [٢٣١]
فإنهم ساقوه كأس الذيفان ... وملحقوه بقرى ابن مروان

ثم أمد عبدالملك الحجاج بالجيوش من الشام فتفرقت جيوش عبدالرحمن وانهزم ولحق بملك الترك وأرسل الحجاج يطلبه من ملك الترك وتهدده بالغزو إن أخره فقبض ملك الترك على عبدالرحمن وعلى أربعين من أصحابه وجهز إلى الحجاج فما وصل عبدالرحمن إلى الحجاج حتى مات[2].

سنة ست وسبعين وما بعدها إلى سنة إحدى وثمانين:

فيها: توفي أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية رضي الله عنهما[3].

سنة اثنتين وثمانين:

فيها: توفي المهلب بن أبي صفرة الأزدي، وكان من الأجواد المشهورين بالكرم والشهامة. وكان الحجاج قد ولاه خراسان فمات بمرور الروز واستخلف بعده يزيد بن المهلب ولما دنت وفاة المهلب أحضر السهام لأولاده وقال: أتكسرونها مجتمعة قالوا:

---

(١) الشعر في الطبري، تاريخ: ٦/ ٣٣٧ وهو لأعشى همدان.

(٢) الطبري، تاريخ: ٦/ ٣٣٤-٣٨٣.

(٣) ابن قتيبة، المعارف: ٢١٦.

لا، قال: أتكسرونها متفرقة، قالوا: نعم، قال: هكذا أنتم[(١)].

وفي هذه السنة توفي خالد بن يزيد بن معاوية وكان من المعدودين في بني أمية بالسخاء والفصاحة والعقل.

سنة ثلاث وثمانين:

فيها: بنى الحجاج مدينة واسط[(٢)].

سنة أربع وخمس وثمانين:

في سنة خمس: توفي عبدالعزيز بن مروان بمصر[(٣)].

سنة ست وثمانين:

وفاة عبدالملك بن مروان: في منتصف شوال من هذه السنة وتوفي وعمره ستون سنة وكانت مدة خلافته منذ قتل [٢٣٢] ابن الزبير واجتمع له الناس ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر تنقص سبع ليال. وكان شديداً البخر كني لذلك بأبي الذبان، وكان يلقب لنحله برمح الحجر. وكان حازماً عاقلاً فقيهاً وكان ديناً فلما ولي الخلافة استهوته الدنيا فتغير عن ذلك. وفيه يقول الحسن البصري: ماذا أقول في رجل الحجاج سيئة من سيئاته[(٤)].

ولاية الوليد بن عبدالملك:

وهو سادس خلفائهم لما توفي أبوه بويع بالخلافة في منتصف شوال من هذه السنة بعهد من أبيه إليه وكان مغرًى بالبناء واستوسق له سائر الأمور وفتحت في أيامه الفتوحات الكثيرة من ذلك جزيرة الأندلس وما وراء النهر وولى الحجاج خراسان مع العراقين فتغلغل في بلاد الترك وتغلغل مسلمة بن عبدالملك في بلاد الروم ففتح وسبى وفتح محمد بن القاسم بلاد الهند.

وفي هذه السنة، ولى الوليد ابن عمه عمر بن عبدالعزيز المدينة فقدم إليها ونزل

---

(١) الطبري، تاريخ: ٦/ ٣٥٤.

(٢) الطبري، تاريخ: ٦/ ٣٨٣.

(٣) الطبري، تاريخ: ٦/ ٤١٣.

(٤) الطبري، تاريخ: ٦/ ٤١٨.

في دار جده مروان ودعا عشرة من فقهاء المدينة وهم: عروة بن الزبير بن العوام وعبيد الله بن عتبة بن مسعود وأبو بكر بن عبدالرحمن وأبو بكر بن سليمان وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبيد الله أخو سالم، وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد فقال لهم عمر بن عبد العزيز: أريد أن لا أقطع أمراً إلا برأيكم فما علمتوه من بعدي عامل فعرفوني به فجزوه خيراً[(١)].

سنة سبع وثمان وثمانين: [٢٣٣]

فيها: كتب الوليد إلى عمر بن عبدالعزيز يأمره بهدم مسجد رسول الله ﷺ ويقدم بيوت أزواج النبي ﷺ وأن يدخل البيوت في بيت المال. فأجابه أهل المدينة إلى ذلك وقدمت الصناع من عند الوليد بعمارة المسجد وتجرد عمر لذلك[(٢)].

وفي هذه السنة أعني سنة ثمان وثمانين: أمر الوليد ببناء جامع دمشق فأنفق عليه أموالاً عظيمة.

سنة تسع إلى ثلاث وتسعين:

فيها: عزل الوليد عمر بن عبدالعزيز عن المدينة[(٣)].

سنة أربع وتسعين:

فيها: قتل الحجاج سعيد بن جبير بسبب أنه خلع الحجاج وصار مع الأشعث وكان سعيد قد هرب من الحجاج إلى مكة فأرسل الحجاج يطلب من الوليد جماعة قد التجأوا إلى مكة، فكتب الوليد إلى عامله على مكة وهو خالد بن عبد الله القسري يأمره بإرسال من يطلبه الحجاج فطلب الحجاج سعيد بن جبير وغيره. فأرسل خالد بن عبد الله إلى الحجاج كل من طلب فضرب عنق سعيد وكان من أعلام التابعين. أخذ العلم عن عبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمر، وروى القرآن عنه أبو عمرو. وقال أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه[(٤)].

---

(١) الطبري، تاريخ: ٦/ ٤٢٧.

(٢) الطبري، تاريخ: ٦/ ٤٣١.

(٣) الطبري، تاريخ: ٦/ ٤٨١.

(٤) ابن قتيبة، المعارف: ٤٤٥.

وفي سنة أربع وتسعين أيضاً توفي سعيد بن المسيب وكان من كبار التابعين وفقهائهم(١). وفيها توفي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين. وكان مع أبيه الحسين [٢٣٤] لما قتل لكنه سلم لأنه كان مريضاً على الفراش. وتوفي بالمدينة ودفن بالبقيع وعمره ثمان وخمسون سنة ﷺ وعن آبائه الطاهرين(٢).

سنة خمس وتسعين:

فيها توفي الحجاج بن يوسف الثقفي وعمره أربع وخمسون سنة، وكانت ولايته العراق نحو عشرين سنة. وكان الحجاج أخفش، دقيق الصوت، في غاية الفصاحة. فكانوا جملة الذين قتلهم الحجاج وكانوا نحو مائة ألف وعشرين ألفاً(٣).

سنة ست وتسعين:

وفاة الوليد: وفي جمادى الآخرة سنة ست وتسعين توفي الوليد بن عبدالملك. وكانت مدة خلافته تسع سنين وسبعة أشهر. وكانت وفاته بدير مُرّان ودفن بدمشق خارج الباب الصغير، وصلى عليه ابن عمه عمر بن عبدالعزيز. وكان عمره اثنتين وأربعين سنة وستة أشهر(٤).

وكان سائل الأنف جداً، كان له من الولد ثمانية عشر ابناً، وهو الذي بنى مسجد دمشق، ونقل الصناع من بلاد الروم وسائر بلاد الإسلام، وكان في جانب الجامع كنيسة قد سلمت للنصارى بسبب أنها في نصف البلد الذي أخذ بالصلح، وكانت تعرف بكنيسة مارحنّا فهدمها الوليد وأدخلها في الجامع(٥).

وكان الوليد لحّاناً دخل عليه أعرابي يشكو صهراً له، فقال له الوليد: ما شأنك بفتح النون، فقال الأعرابي: أعوذ بالله من الشَّين، فقال له سليمان بن عبدالملك: أمير المؤمنين [٢٣٥] يقول ما شأنك بالضم، فقال الأعرابي: ختني ظلمني، فقال الوليد:

---

(١) ابن قتيبة، المعارف: ٤٣٧.

(٢) الطبري، تاريخ: ٦/ ٤٩١.

(٣) الطبري، تاريخ: ٦/ ٤٩٣.

(٤) الطبري، تاريخ: ٦/ ٤٩٥.

(٥) الطبري، تاريخ: ٦/ ٤٩٦.

من ختنك بالفتح، فقال الأعرابي: إنما ختنني الحجام، فقال سليمان: أمير المؤمنين يقول من ختنُك بالضم، فقال: هذا وأشار إلى خصمه.

وكان أبوه عبدالملك فصيحاً وعرف بلحن ابنه، فقال: يا بني إنك لا تصلح للولاية على العرب وأنت تلحن وجعله في بيت وجعل عنده من يعلمه الإعراب، فمكث الوليد كذلك مدة ثم خرج وهو أجهل مما دخل.

أخبار سليمان بن عبدالملك:

ابن مروان وهو سابعهم بويع لما مات أخوه الوليد في جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين، وكان سليمان لما مات الوليد في بلد الرملة، فلما وصل إليه الخبر بعد سبعة أيام سار إلى دمشق ودخلها وأحسن السيرة ورد المظالم واتخذ ابن عمه عمر بن عبدالعزيز وزيراً[١].

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبدالملك بلاد الروم.

سنة سبع وثمان وتسعين:

فيها: خرج سليمان بن عبدالملك بالجيوش لغزو قسطنطينية، ونزل مرج دابق، وسير أخاه مسلمة إليها وأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها فشتى مسلمة بالقسطنطينية وبنى قبالتها مدينة تسمى مدينة القهر، وزرع فيها الزروع والأشجار، وأقام مسلمة قاهراً لأهل قسطنطينية حتى بلغه موت سليمان[٢].

وفيها: أعني سنة ثمان وتسعين: فتح يزيد بن المهلب الوالي على خراسان من قبل سليمان [٢٣٦] جرجان وطبرستان[٣].

سنة تسع وتسعين:

وفاة سليمان بن عبدالملك: في هذه السنة في صفر توفي، وكانت مدة خلافته سنتين وثمانية أشهر وعمره خمس وأربعون سنة، وتوفي بدابق من أرض قنسرين مرابطاً وأخوه مسلمة منازلاً لقسطنطينية. وكان سليمان طويلاً، أسمر، جميل الصورة، أعرج،

---

(١) الطبري، تاريخ: ٦/ ٥٠٥.

(٢) الطبري، تاريخ: ٦/ ٥٣٠.

(٣) الطبري، تاريخ: ٦/ ٥٣٢.

وكان حسن السيرة، مُغراً بالنساء، كثير الأكل، حج مرة وكان الحر في الحجاز شديداً فتوجه إلى الطائف طلباً للبرودة، وأُتي برمان فأكل سبعين رمانة ثم أُتي بجدي وست دجاجات فأكلها، ثم أُتي بزبيب الطائف فأكله ونعس ونام ثم انتبه فأتوه بالغداء فأكل على عادته[1].

وقيل كان سبب موته أنه أتاه نصراني وهو نازل على دابق بزنبيلين مملوءين تيناً وبيضاً، فأمر من يقشر له البيض وأكل منه تينة وبيضة حتى أتى على الزنبيلين ثم أتوه بمخ وسكر فأكله فأتخم ومات. وصلى عليه عمر بن عبدالعزيز ودفن، وكان شديد الغيرة، أمر بخصي المخنثين الذين كانوا بالمدينة فخصاهم عامله على المدينة وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو الأنصاري[2].

أخبار عمر بن عبدالعزيز بن مروان رضي الله عنه:

وهو ثامن خلفائهم وأمه بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وأوصى إليه سليمان بالخلافة لما اشتد مرضه بدابق وبويع عمر بن عبدالعزيز [٢٣٧] بالخلافة في صفر سنة تسع وتسعين من بعد موت سليمان[3].

إبطال عمر سب علي رضي الله عنه على المنابر: كان خلفاء بني أمية يسبونه من سنة إحدى وهي السنة التي خلع الحسن فيها نفسه من الخلافة إلى أول سنة تسع وتسعين آخر أيام سليمان بن عبدالملك، فلما ولي عمر أبطل ذلك وكتب إلى نوابه بإبطاله، ولما خطب يوم الجمعة أبطل السب بقراءة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[4] الآية. واستمر الخطباء على قراءة هذه الآية[5].

ومدحه كثير بن عبدالرحمن الخزاعي فقال[6]: [الطويل]

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف ... برياً ولم تتبع سجية محرم

وقلت فصدقت الذي قلت بالذي ... فعلت فأضحى راضياً كل مسلم

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٨/ ١١٠.
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٨/ ١١١.
(٣) الطبري، تاريخ: ٦/ ٥٥٠.
(٤) سورة النحل، الآية ٩٠.
(٥) البلاذري، أنساب الأشراف: ٨/ ١٦٠.
(٦) كثير، الديوان: ٢١٥.

سنة مائة وسنة إحدى ومائة:

وفاة عمر بن عبدالعزيز ﷺ: في سنة إحدى ومائة توفي لخمس بقين من رجب يوم الجمعة بخناصرة ودفن بدير سمعان[١].

قال القاضي جمال الدين بن واصل مؤلف التاريخ المنقول هذا الكلام منه: والظاهر عندي أن دير سمعان هو المعروف الآن بدير البقيرة من عمل النعمان وأن قبره هو هذا المشهور. وكان موته بالسم عند أكثر أهل النقل فإن بني أمية علموا أنه إن امتدت أيامه خرج الأمر من أيديهم وأنه لا يعهد [٢٣٨] بعده إلا لمن يصلح للأمر فعاجلوه.

فكان مولده بمصر سنة إحدى وستين. وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر. وكان عمره أربعين سنة وأشهراً، وكان في وجهه شجة من رمح دابة وهو غلام ولهذا سمي أشج بني أمية. وكان متحرياً سيرة الخلفاء الراشدين.

أخبار يزيد بن عبدالملك بن مروان:

وهو تاسعهم، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. بويع بالخلافة لما مات عمر بن عبدالعزيز في رجب سنة إحدى ومائة بعهد من سليمان بن عبدالملك إليه بعد عمر.

وفي أيام يزيد خرج يزيد بن المهلب بن أبي صفرة واجتمع إليه جمع فأرسل يزيد ابن عبد الملك إليه أخاه مسلمة فقاتله وقتله وجميع آل المهلب، وكانوا مشهورين بالكرم والشجاعة[٢]، وفيهم يقول الشاعر: [الطويل]

نزلت على آل المهلب شاتياً ... غريباً عن الأوطان في زمن المحل

فما زال بي إحسانهم وافتقادهم ... وبرهم حتى حسبتهم أهلي

سنة اثنتين ومائة:

فيها: توفي عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وعبيد الله المذكور هو ابن أخي عبد الله بن مسعود الصحابي، وهؤلاء السبعة هم الذين

---

(١) الطبري، تاريخ: ٦/ ٥٦٥.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٨/ ٢٧٩.

اشتهر عنهم الفقه. وقد نظم بعض الفضلاء أسماءهم فقال: [الطويل]

ألا كل من لا يقتدي بأئمة   فقسمته ضيزى عن الحق خارجة [٢٣٩]
فخذهم عبيد الله عروة قاسم   سعيد سليمان أبو بكر خارجة

أما عبيد الله فهو من أعلام التابعين، ولقي خلقاً كثيراً من الصحابة. والثاني: عروة بن الزبير بن العوام القرشي أبوه أحد العشرة وأم عروة أسماء بنت أبي بكر الصديق، وهو شقيق عبد الله الذي تولى الخلافة. وتوفي عروة سنة ثلاث وتسعين وقيل سنة أربع وتسعين وكان مولده سنة اثنتين وعشرين. الثالث: قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وكان أفضل أهل زمانه، وأبوه الذي قتل بمصر على ما شرحناه. الرابع: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي جمع بين الحديث والفقه والزهد، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر، وتوفي سنة إحدى وتسعين وفي ذلك خلاف. الخامس: سليمان بن يسار مولى ميمونة زوج النبي ﷺ. روى عن ابن عباس وعن أبي هريرة وعن أم سلمة. وتوفي سنة سبع ومائة وعمره ثلاث وتسعون سنة. السادس: أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي القرشي وكنيته اسمه، وكان من سادات التابعين وسمي راهب قريش وجده الحارث أخو أبي جهل، وتوفي أبو بكر سنة أربع وتسعين، وولد في خلافة عمر بن الخطاب. السابع: خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، وأبوه من أكابر الصحابة الذي قال النبي ﷺ في حقه «**أفرضكم زيد**» وتوفي خارجة سنة تسع وتسعين وقيل سنة مائة بالمدينة، وأدرك زمن عثمان رضي الله عنه، فهؤلاء فقهاء المدينة السبعة المعروفون وانتشرت عنهم الفتاوى والفقه، [٢٤٠] وكان في زمانهم من هو في طبقتهم في الفضيلة ولم يذكر معهم مثل سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم وغيره. وتوفي سالم المذكور سنة ست ومائة، وكان من أعلام التابعين وقد ذكر في مواضع أُخر وفاة بعض المذكورين وإنما ذكرناهم جملة لأنه أقرب للضبط.

سنة ثلاث وأربع وخمس ومائة:

وفاة يزيد بن عبدالملك: في سنة خمس ومائة لخمس بقين من شعبان، وتوفي وعمره أربعون سنة، وكانت مدة خلافته أربع سنين وشهراً، وكان يزيد قد عهد بالخلافة إلى أخيه هشام ثم من بعده إلى ابنه الوليد بن يزيد[1]. وكان يزيد صاحب لهو وطرب،

---

(١) الطبري، تاريخ: ٧/ ٢٢.

وهو صاحب حبابة وسلامة القس، وكان مغراً بهما جداً، وماتت حبابة فمات بعدها بسبعة عشر يوماً. وإنما سميت سلامة القس لأن عبدالرحمن بن عبد الله بن عمار كان يسمى القس لعبادته، وكان فقيهاً فمر بمنزل أستاذ سلامة فسمع غناءها فهويها وهويته واجتمعا، فقالت له سلامة: إني أحبك فقال: وأنا أيضاً، فقالت: أشتهي أن أقبلك، فقال: وأنا أيضاً، قالت: فما يمنعك، قال: تقوى الله وانصرف عنها فسميت سلامة القس بسبب عبدالرحمن المذكور.

أخبار هشام بن عبدالملك:

وهو عاشرهم، وكان عمره لما ولي أربعاً وثلاثين سنة وأشهراً [٢٤١] وكان هشام بالرصافة لما مات يزيد بن عبدالملك في دويرة له صغيرة، فجاءته الخلافة على البريد فركب ودخل دمشق.

سنة ست وما بعدها إلى عشر ومائة:

فيها: توفي الحسن بن أبي الحسن البصري وكان مولده في خلافة عمر رضي الله عنه وهو من أكابر التابعين[١].

وفيها: توفي محمد بن سيرين وكان أبوه سيرين عبداً لأنس بن مالك، وكاتبه أنس على مال فحمله سيرين وأعتقه أنس وكان من سبي خالد بن الوليد. وروى محمد ابن سيرين عن جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وغيرهم، وكان من كبار التابعين، وله اليد الطولى في تعبير الرؤيا[٢].

سنة إحدى عشرة ومائة وما بعدها إلى سنة ست عشرة ومائة:

فيها: توفي الباقر محمد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم، وكان عمره ثلاثاً وسبعين سنة. وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه. وقيل له الباقر لتبقره في العلم أي توسعه فيه. وولد في سنة سبع وخمسين، وكان عمره لما قتل جده الحسين ثلاث سنين. وتوفي في الحميمة من السراة ودفن بالبقيع[٣].

---

(١) ابن قتيبة، المعارف: ٤٢٠.

(٢) ابن قتيبة، المعارف: ٤٤٢.

(٣) ابن قتيبة، المعارف: ٢١٥.

سنة سبع عشرة ومائة:

فيها: توفي نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب أصابه عبد الله في بعض غزواته، وكان نافع من كبار التابعين. سمع مولاه وأبا سعيد [٢٤٢] الخدري، وروى عن نافع، الزهري، ومالك بن أنس، وأهل الحديث يقولون: رواية الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لجلالة كل واحد من هؤلاء الرواة.

سنة ثماني وتسع عشرة ومائة:

فيها: غزا المسلمون بلاد الترك وانتصروا وغنموا وقتلوا من الترك زهاء مائتي ألف فارس، وقتلوا خاقان الترك، وكان المتولي لحربهم أسد بن عبد الله القسري(١).

سنة عشرين وإحدى وعشرين ومائة:

في سنة عشرين توفي أبو سعيد عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة(٢).

وفي إحدى وعشرين غزا مروان بن محمد بن مروان، وكان متولياً على الجزيرة وأرمينية بلاد صاحب السرير فأجاب صاحب السرير إلى الجزية في كل سنة سبعين ألف رأس يؤديها(٣).

وفيها: غزا مسلمة بن عبدالملك بلاد الروم فافتتح حصوناً كثيرة(٤).

وفيها: غزا نصر بن سيار بلاد ما وراء النهر وقتل ملك الترك، ثم مضى إلى فرغانة فسبى سبياً كثيراً(٥).

وفيها: خرج زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ بالكوفة ودعا إلى نفسه، وبايعه جمع كبير وكان الوالي على الكوفة من قبل هشام يوسف بن عمر الثقفي، فجمع العسكر، وقاتل زيداً، فأصاب زيداً سهم في جبهته فأدخل بعض الدروع ونزع السهم ثم مات، ولما علم يوسف بن عمر بمقتله تطلبه حتى دل عليه فاستخرجه وصلب جثته، وبعث برأسه [٢٤٣] إلى هشام بن عبدالملك فأمر بنصبه على سور دمشق

---

(١) الطبري، تاريخ: ٧/ ١١٣.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣١٨.

(٣) الطبري، تاريخ: ٧/ ١٦٠.

(٤) الطبري، تاريخ: ٧/ ١٦٠.

(٥) الطبري، تاريخ: ٧/ ١٧٣.

ولم تزل جثته مصلوبة حتى مات هشام، وولي الوليد فأمر بحرق جثته فأحرقت، وكان عمر زيد لما قتل اثنتين وأربعين سنة[١].

سنة اثنتين وعشرين ومائة:

فيها: توفي إياس بن معاوية بن قرة المزني المشهور بالفراسة والذكاء، وكان ولي قضاء البصرة في أيام عمر بن عبدالعزيز.

سنة ثلاث وأربع وعشرين ومائة:

فيها: توفي محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي المعروف بالزُّهري بضم الزاي، وعمره ثلاث وسبعون سنة، وهذه النسبة إلى زُهرة بن كلاب بن مرة. وكان الزهري من كبار التابعين وأعلامهم، رأى عشرة من الصحابة، وروى عنه جماعة من الأئمة مثل مالك وسفيان الثوري وغيرهما. وكان الزهري إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله مشتغلاً بها عن كل أحد، فقالت له زوجته: والله لهذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر[٢].

سنة خمس وعشرين ومائة:

وفاة هشام بن عبدالملك: وفي هذه السنة توفي هشام بالرصافة لست خلون من ربيع الأول، فكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وكسراً، وكان مرضه الذبحة، وكان عمره خمساً وخمسين سنة، ولما مات طلبوا له ما يسخنون به الماء فلم يعطهم عياض كاتب الوليد [٢٤٤] فإنه ختم على جميع موجوده للوليد فاستعاروا له من الجيران قمقماً لتسخين الماء ودفن بالرصافة. وكان أحول، وخلف عدة بنين منهم: معاوية أبو عبدالرحمن الذي دخل الأندلس وملكها، وكان هشام حازماً، شديد الرأي، عزيز العقل، عالماً بالسياسة، واختار هشام الرصافة وبناها وإليه تنسب فيقال رصافة هشام، وكانت مدينة رومية ثم خربت، وهي صحيحة الهواء، وإنما اختارها لأن خلفاء بني أمية كانوا يهربون من الطاعون، ويقيمون في البرية، فأقام هشام بالرصافة وهي صحيحة الهواء وابتنى بها قصرين[٣].

---

(١) الطبري، تاريخ: ٧/ ١٦٠.

(٢) ابن قتيبة، المعارف: ٤٧٢.

(٣) الطبري، تاريخ: ٧/ ٢٠٠.

أخبار الوليد بن يزيد بن عبدالملك:

وهو حادي عشر خلفائهم لما مات هشام نفذت الكتب إلى الوليد، وكان الوليد مقيماً في البرية بالأزرق خوفاً من هشام، وكان الوليد وأصحابه في ذلك الموضع في أسوأ حال، ولما اشتد به الضيق أتاه الفرج، وكانت البيعة للوليد يوم الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين ومائة، وعكف الوليد على شرب الخمر وسماع الغناء ومعاشرة النساء، وزاد الناس في أعطياتهم عشرات، ثم زاد أهل الشام فوق تلك العشرات عشرة أخرى، ولم يقل في شيء سئله: لا[١].

وفي هذه السنة أعني سنة خمس وعشرين ومائة: توفي القاسم بن أبي بزّة وهو من المشهورين بالقراءة.

سنة ست وعشرين ومائة: [٢٤٥]

فيها: تسليم الوليد خالد بن عبد الله القسري إلى يوسف بن عمر عامله على العراق فعذبه وقتله[٢].

مقتل الوليد بن يزيد في هذه السنة:

قيل إن يزيد بن الوليد بن عبدالملك، الذي كان يقال له يزيد الناقص هو الذي قتله، وكان مقتله في جمادى الآخرة من هذه السنة بسبب كثرة مجونه ولهوه وشربه الخمر ومنادمة الفساق، فثقل ذلك على الجند وآذى بني عمه هشام والوليد فرموه بالكفر وغشيان أمهات أولاد أبيه[٣].

ودعا يزيد إلى نفسه واجتمعت عليه اليمانية فنهاه أخوه العباس بن الوليد عن ذلك، وتهدده فأخفى يزيد الأمر عن أخيه، وكان يزيد يقيم بالبادية لوخم دمشق، فلما اجتمع له أمره قصد دمشق متخفياً في سبعة نفر وكان بينه وبينها أربعة أيام، ونزل بجرود على مرحلة من دمشق، ثم دخل دمشق ليلاً، وقد بايعه أكثر أهلها، وكان عامل الوليد على دمشق عبدالملك بن محمد بن الحجاج وجاء الوباء بدمشق فخرج منها ونزل قطنا، وظهر يزيد بدمشق واجتمعت عليه الجند وغيرهم وأرسل إلى قطنا مائتي فارس

---

(١) الطبري، تاريخ: ٧/٢٠٩.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٩/١٠٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٩/١٦٧.

أخذوا عامل الوليد وهو عبدالملك بن محمد بالأمان، ثم أرسل جيشاً إلى الوليد ومقدمهم عبدالعزيز بن الحجاج بن عبدالملك، ولما ظهر يزيد بدمشق سار بعض موالي الوليد إليه وأعلمه وهو بالأغدف من عَمَّان، فسار الوليد حتى أتى البخراء إلى قصر النعمان بن بشير فنزله فنازله عبدالعزيز [٢٤٦] وجرى بينه وبين الوليد قتال، وقصد العباس بن الوليد بن عبدالملك اللحوق بالوليد، ونصرته على أخيه فأرسل عبدالعزيز إلى العباس بن الوليد منصور بن جمهور فأخذه قهراً، وأتى به إلى عبدالعزيز، فقال له: بايع لأخيك فبايع، ونصب عبدالعزيز راية وقال: هذه راية العباس قد بايع لأمير المؤمنين يزيد، فتفرق الناس عن الوليد، وركب الوليد بمن معه وقاتل ثم انهزم عنه أصحابه فدخل القصر وأغلقه فحاصروه ودخلوا إليه واحتزوا رأسه وسيروه إلى يزيد بن الوليد فسجد شكراً لله تعالى، ووضع الرأس على رمح وطيف به في دمشق. وكان قتله لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة. وكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر وعمره اثنتين وأربعين سنة. وكان الوليد من فتيان بني أمية وظرفائهم منهمكاً في اللهو والشرب وسماع الغناء[1].

أخبار يزيد بن الوليد بن عبدالملك:

وهو ثاني عشر خلفائهم استقر يزيد الناقص في الخلافة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة، وسمي يزيد الناقص لأنه نقص الناس العشرات التي زادها الوليد وقررهم على ما كانوا عليه أيام هشام ولما قتل الوليد وتولى يزيد الخلافة خالفه أهل حمص وهجموا دار أخيه العباس بحمص ونهبوا ما بها وسبوا حرمه وأجمعوا على حرب يزيد، فأرسل إليهم يزيد عسكراً فالتقوا قرب ثنية العقاب فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزم أهل حمص فأخذ [٢٤٧] عليهم يزيد البيعة، ثم اجتمع أهل فلسطين فوثبوا على عامل يزيد فأخرجوه وأحضروا يزيد بن سليمان بن عبدالملك فجعلوه عليهم، ودعا الناس إلى قتال يزيد الناقص فأجابوه إلى ذلك وبلغ يزيد ذلك فأرسل إليهم جيشاً مع سليمان بن هشام بن عبد الملك فوعد كبراء فلسطين ومناهم، فتخاذلوا عن يزيد بن سليمان وأرسل سليمان جيشاً في أثر يزيد بن سليمان فنهبوه، وسار سليمان بن هشام حتى نزل طبرية وأخذ البيعة بها. ثم إن يزيد عزل يوسف بن عمر عن العراقين واستعمل عليه منصور بن جمهور وضم إليه مع العراق وخراسان،

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ١٧٨/٩.

فامتنع نصر بن سيار عن ذلك ثم عزل يزيد منصور بن جمهور وولاها عبد الله بن عمر ابن عبد العزيز[1].

وفي سنة ست وعشرين ومائة أظهر مروان بن محمد الخلاف على يزيد الناقص.

وفاة يزيد بن الوليد بن عبدالملك:

في هذه السنة توفي لعشر بقين من ذي الحجة. وكانت خلافته خمسة شهور واثني عشر يوماً. وكان موته بدمشق وعمره ستاً وأربعين سنة. وكان أسمر، طويلاً، صغير الرأس، جميلاً. ولما مات يزيد قام بعده إبراهيم أخوه وهو ثالث عشر خلفائهم غير أنه لم يتم له الأمر، وكان يسلم عليه تارة بالخلافة وتارة بالإمارة فمكث أربعة أشهر[2].

وفي هذه السنة توفي عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق. وفيها توفي أبو جمرة صاحب ابن عباس جمرة بالجيم والراء.[٢٤٨]

سنة سبع وعشرين ومائة:

فيها: سار مروان بن محمد بن مروان أمير الجزيرة إلى الشام لخلع إبراهيم، ولما وصل إلى قنسرين اتفق معه أهلها، وساروا معه، ولما وصل إلى حمص بايعه أهلها وصاروا معه أيضاً، ولما قرب من دمشق بعث إبراهيم الجنود إلى قتاله يقدمهم سليمان ابن هشام وكانت عدتهم مائة وعشرين ألفاً، وعدة عسكر مروان ثمانون ألفاً فاقتتلوا من ارتفاع النهار إلى العصر فانهزم عسكر إبراهيم ووقع القتل فيهم والأسر، وهرب سليمان إلى دمشق واجتمع مع إبراهيم وقتلا ابني الوليد بن يزيد، وكانا في السجن، ثم هرب إبراهيم واختفى ونهب سليمان بن هشام بيت المال وقسمه في أصحابه وخرج من دمشق[3].

بيعة مروان بن محمد الحمار:

وهو رابع عشر خلفائهم وآخرهم.

وفي هذه السنة: أعني سبع وعشرين ومائة بويع لمروان المذكور في دمشق

---

(١) الطبري، تاريخ: ٧/ ٢٦٢.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٩/ ١٩٧.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٩/ ٢٠٠.

بالخلافة، ولما استقر له الأمر رجع إلى منزله بحران، وأرسل إبراهيم المخلوع وسليمان بن هشام فطلبا من مروان أمانه فأمنهما فقدما عليه ومع سليمان أخوته وأهل بيته فبايعوا مروان[1].

وفي هذه السنة عصى أهل حمص على مروان فسار مروان إلى حمص وقد سد أهلها أبوابها فأحدق بالمدينة ثم فتحوا له الأبواب وأظهروا طاعته. ثم وقع بينهم قتال، فقتل من أهل حمص خلائق وهدم بعض سورها وصلب جماعة من أهلها ولما فتحت حمص [٢٤٩] جاء الخبر بخلاف أهل الغوطة وأنهم ولوا عليهم يزيد بن خالد القسري وحاصروا دمشق، فأرسل مروان عشرة آلاف فارس مع أبي الورد بن الكوثر وعمرو بن الصباح وسارا من حمص فلما قربا من أهل الغوطة حملا عليهم وخرج من بالبلد أيضاً عليهم فانهزموا ونهبهم العسكر وأحرقوا المزة وقرى غيرها[2].

ثم عقب ذلك خلاف أهل فلسطين ومقدمهم ثابت بن نعيم فكتب مروان إلى أبي الورد يأمره بالمسير إليه فسار إليه وهزمه على طبرية ثم اقتتلوا على فلسطين فانهزم أيضاً ثابت وتفرق أصحابه وأسر ثلاثة من أولاده، فبعث بهم أبو الورد إلى مروان وأعلمه بالنصرة. ثم سار مروان إلى قرقيسيا فخلعه سليمان بن هشام واجتمع إليه من أهل الشام سبعون ألفاً وعسكر بقنسرين، فسار إليه مروان والتقوا بقنسرين فانهزم سليمان بن هشام وأصحابه واتبعتهم خيل مروان يقتلون ويأسرون، فكانت القتلى من عسكر سليمان تزيد على ثلاثين، ألفاً ثم إن سليمان وصل إلى حمص واجتمع إليه أهلها وبقية المنهزمين، فسار إليهم مروان وهزمهم ثانية ومضى سليمان إلى تدمر وعصى أهل حمص فحاصرهم مروان ثم طلبوا الأمان وسلموا إلى مروان الوالي الذي عليهم من جهة سليمان بن هشام فأجابهم مروان وأمنهم[3].

وفي هذه السنة أعني سنة سبع وعشرين: توفي محمد بن واسع الأزدي الزاهد.

وفيها: مات عبد الله بن اسحاق مولى الحضرمي من حلفاء عبد شمس، وكنيته [٢٥٠] أبو بحر. وكان إماماً في النحو واللغة، وكان يعيب الفرزدق في شعره وينسبه إلى اللحن، فهجاه الفرزدق بقوله: [الطويل]

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٩/ ٢٠١.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٩/ ٢٢٧.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٩/ ٢٣٤.

ولو كان عبد الله مولى هجوته ... ولكن عبد الله مولى مواليا

فقال له عبدالله: وقد لحنت أيضاً في قولك مولى مواليا ينبغي أن تقول مولى موالٍ.

سنة ثمان وعشرين ومائة:

فيها: أرسل مروان يزيد بن هبيرة إلى العراق لقتال من به من الخوارج، وكان بخراسان نصر بن سيار والفتنة بها قائمة بسبب دعاة بني العباس.

فيها: مات عاصم بن أبي النجود الكوفي صاحب القراءة.

سنة تسع وعشرين ومائة:

فيها: ظهرت دعوة بني العباس بخراسان، وكان يختلف أبو مسلم الخراساني من خراسان إلى إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وكان يسمى إبراهيم الإمام، ومنه إلى خراسان ليستعلم إبراهيم منه الأحوال.

فلما كان هذه السنة استدعى إبراهيم أبا مسلم من خراسان فسار إليه وأرسل إليه إبراهيم: أن ابعث إليّ بما معك من المال مع قحطبة بن شبيب الطائي، وارجع إلى أمرك من حيث وافاك كتابي. ووافاه الكتاب بقومس فأمسكه أبو مسلم ورجع إلى خراسان، فلما وصل إلى مرو أظهر الدعوة لبني العباس فأجابه الناس، وأرسل إلى كورة خراسان بذلك، وذلك بعد أن سعى فيه مدة طويلة ووافقه الناس في الباطن وأظهروه في هذه السنة وجرى بين أبي مسلم وبين نصر بن سيار مكاتبات ومراسلات [٢٥١] يطول شرحها ثم جرى بينهما قتال شديد، وكان أبو مسلم من أهل خطرينه من بلاد الكوفة وسوادها، وكان قهرماناً لإدريس بن معقل العجلي إلى أن ولاه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أمر استدعاء الناس إلى الدعوة ثم مات محمد فولاه ابنه إبراهيم الإمام ذلك ثم الأئمة من ولد محمد، ولما قوي أبو مسلم على نصر ورأى نصر أن أمره في ازدياد وقوة كتب إلى مروان بن محمد يعلمه بالحال، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عباس وكتب شعراً وهو: [الوافر]

أرى تحت الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون لها ضرام

وإن لم يطفِها عقلاء قوم ... يكون وقودها جثث وهام

أقول من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أمية أم نيام

وكان مقام إبراهيم وأهله بالشراة من الشام بقرية يقال لها الحميمة بضم الحاء وميم مفتوحة، وهي عن الشوبك أقل من يوم، وبينها وبين الشوبك وادي موسى، وهي قبلة الشوبك بغرب. ولما بلغ مروان ذلك كتب إلى عامله بالبلقاء أن يسير إليه إبراهيم بن محمد المذكور فشده وثاقاً وجهزه إليه فأخذه مروان وحبسه في حران حتى مات. وكان مولده سنة اثنتين وثمانين(١).

سنة ثلاثين ومائة:

فيها: دخل أبو مسلم قصر الإمارة بمرو في ربيع الآخر، وهرب نصر بن سيار ثم وصل قحطبة من عند الإمام إبراهيم إلى أبي مسلم ومعه لواء عقده [٢٥٢] له إبراهيم، فجعل أبو مسلم قحطبة على مقدمته وجعل إليه العزل والاستعمال وكتب إلى الجنود بذلك.

وفيها: توفي ربيعة الرأي بن فروخ فقيه المدينة أدرك جماعة من الصحابة وعنه أخذ العلم الإمام مالك بن أنس.

سنة إحدى وثلاثين ومائة:

فيها: مات نصر بن سيار بساوة قرب الريّ وعمره خمساً وثمانين سنة.

وفيها: توفي أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال المعتزلي، وكان مولده سنة ثمانين للهجرة، وكان يشتغل على الحسن البصري ثم اعتزله، وخالفه في قوله في أصحاب الكبائر من المسلمين أنهم ليسوا بمؤمنين ولا بكافرين بل لهم منزلة بين المنزلتين فسمي أصحابه معتزلة. وكان واصل يلثغ بالراء، ويتجنب اللفظ بها في كلامه حتى ذكر ذلك الشعراء فمنه في المديح: [البسيط]

نعم تجنب لا يوم العطاء كما ... تجنب ابن عطاء لفظة الراء

ولم يكن واصل غزالاً وإنما كان يلازم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فتحل صدقته لهن.

وفيها: أعني سنة إحدى وثلاثين توفي بالبصرة مالك بن دينار من موالي بني أسامة بن ثور القرشي العالم الناسك الزاهد المشهور، وما أحسن ما روى باسم مالك

(١) الطبري، تاريخ: ٧/ ٣٥٣.

المذكور واسم أبيه دينار، بعض الشعراء في ملك اقتتل مع أعداء الله وانتصر عليهم. وأسر الرجال وفرق الأموال، فقال: [الكامل]

أعتقت من أموالهم ما استعبدوا ... وملكت رقَّهمُ وهم أحرار [٢٥٣]

حتى غدا من كان منهم مالكاً ... متمنّياً لو أنه دينار

سنة اثنتين وثلاثين ومائة:

فيها: سار قحطبة بن شبيب في جيش كثيف من خراسان طالباً يزيد بن هبيرة أمير العراق من جهة مروان، وسار حتى قطع الفرات والتقيا فانهزم ابن هبيرة وغرق قحطبة وقام بالأمر بعده حسن بن قحطبة.

وفي هذه السنة بويع أبو العباس السفاح بالخلافة في ربيع الأول بالكوفة بعد مسيره من الحميمة.

خلافة أبي العباس السفاح(١):

كان سبب مسيره من الحميمة أن إبراهيم الإمام لما أمسكه مروان نعى نفسه إلى أهل بيته وأمرهم بالمسير إلى الكوفة مع أبي العباس أخيه وبالسمع والطاعة له، وأوصى إبراهيم بالخلافة إلى أخيه السفاح، وسار أبو العباس بأهل بيته منهم المنصور أبو جعفر وغيره إلى الكوفة، فقدم إليها في صفر، واستخفى إلى ربيع الأول وسلم عليه بالخلافة. وعُزي في أخيه إبراهيم ودخل دار الإمارة بالكوفة صبيحة يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الأول من هذه السنة. ثم خرج إلى المسجد فخطب وصلى بالناس ثم صعد عمه داود ابن علي فقام دونه وخطبا بالناس وحضاهم على الطاعة ثم نزلا ودخل السفاح القصر وجلس أخاه أبو جعفر بالمسجد يأخذ البيعة على الناس ثم خرج السفاح ففكر بحمام أعين [٢٥٤] واستخلف على الكوفة عمه داود بن علي وحاجب السفاح يومئذ عبد الله ابن بسام. ثم بعث السفاح عمه عبد الله بن علي إلى شهرزور وأهلها مذعنون بالطاعة لبني العباس فيها من جهتهم أبو عون عبد الله بن يزيد الأزدي، وبعث ابن أخيه عيسى ابن موسى بن محمد إلى الحسن بن قحطبة وهو يومئذ يحاصر يزيد بن هبيرة بواسط، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام إلى حميد بن قحطبة أخي الحسن بالمدائن، وأقام

---

(١) أخبار العباسيين سبق أن ذكرها المصنف في الجزء الرابع والعشرين، وحققنا هناك أخبارها.

السفاح في العسكر أشهراً ثم ارتحل إلى المدينة الهاشمية وهي هاشمية الكوفة بقصر الإمارة.

هزيمة مروان بالزاب وأخباره إلى أن قتل:

كان مروان يقال له: الجعدي وحمار الجزيرة بحران، فسار منها طالباً أبا عون ابن عبد الله بن يزيد الأزدي المستولي على شهرزور من جهة أبي العباس، فلما وصل مروان إلى الزاب نزل به وحفر عليه خندقاً وكان في مائة ألف وعشرين ألفاً، وسار أبو عون إلى الزاب بما معه من الجموع، وأردفه السفاح بعساكر في دفوع مع عدة مقدّمين منهم: سلمة بن عبد الله الطائي، وعمه عبد الله بن علي، ولما قدم عبد الله بن علي على أبي عون تحول أبو عون عن سُرادقه وخلاه له بما فيه، ثم إن مروان عقد جسراً على الزاب وعبر إلى جهة عبد الله بن علي فسار عبد الله بن علي إلى مروان وعلى ميمنته أبو عون الأزدي وعلى ميسرته الوليد بن معاوية وكان عسكر عبد الله عشرين ألفاً والتقى الجمعان واشتد بينهم القتال [٢٥٥] وداخل عسكر مروان الفشل وصار لا يريد أمراً إلا دخله الخلل حتى تمت الهزيمة على عسكره فانهزموا وغرق من أصحابه عدة كثيرة، وكان ممن غرق: إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك المخلوع وهو يومئذ مع مروان الحمار.

وكتب عبد الله بن علي إلى السفاح بالفتح وحوى من عسكر مروان سلاحاً كثيراً، وكانت هزيمة مروان بالزاب يوم السبت لإحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة. ولما انهزم من الزاب إلى الموصل سبه أهلها وقالوا: الحمد لله الذي آتانا بأهل بيت نبينا فسار عنها حتى أتى حرّان فأقام بها نيفاً وعشرين يوماً حتى دنا منه عسكر السفاح، فحمل مروان أهله وعياله ومضى منهزماً إلى حمص فقدم عبد الله بن علي حران ثم سار مروان من حمص وأتى دمشق وسار منها إلى فلسطين، وكان السفاح قد كتب إلى عمه عبد الله بن علي باتباع مروان فسار في أثره إلى أن وصل إلى دمشق فحاصرها ودخلها عنوة يوم الأربعاء لخمس مضين من رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

ولما فتح عبد الله بن علي دمشق أقام بها خمسة عشر يوماً ثم سار عنها إلى فلسطين، فورد عليه كتاب السفاح أن يرسل أخاه صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في طلب مروان، فسار صالح في ذي القعدة من هذه السنة حتى نزل مصر ومروان

منهزم قدامه حتى أدركه في كنيسة بوصير من أعمال مصر، وطعن إنسان مروان فقتله وسبق إليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان [٢٥٦] فاحتز رأسه. وكان قتله لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة. ولما أحضر رأسه بين يدي صالح بن علي أمر أن ينفض فانقطع لسانه فأخذته هر فأرسله صالح إلى السفاح، وقال: [البسيط]

قد فتح الله مصراً عنوة لكم ... وأهلك الفاجر الجعدي إذ ظلما

ولاك مقوله هر يجرره ... وكان ربك من ذي الكفر منتقما

ثم رجع صالح إلى الشام، وخلف أبا عون بمصر، ولما وصل الرأس إلى السفاح، وهو بالكوفة سجد شكراً لله تعالى، ولما قتل مروان هرب ابناه عبد الله وعبيد الله إلى أرض الحبشة فقاتلتهما الحبشة فقتل عبد الله ونجا عبيد الله في عدة ممن معه وبقي إلى خلافة المهدي فأخذه نصر بن محمد بن الأشعث عامل فلسطين فبعث به إلى المهدي.

ولما قتل مروان حملت نساؤه وبناته إلى بين يدي صالح بن علي فأمر بحملهن إلى حَرّان فلما رأين منازل مروان رفعن أصواتهن بالبكاء، وكان عمر مروان لما قتل اثنتين وستين سنة وكانت مدة خلافته خمس سنين وعشرة أشهر ونصف وكان يكنى أبا عبدالملك، وكانت أمه أم ولد كردية، وكان يلقب بالجعدي لأنه تعلم من جعد بن درهم قوله بخلق القرآن والقدر. وكان مروان أبيض، أشهل، ضخم الهامة، كث اللحية، أبيضها، ربعة. وكان شجاعاً حازماً وهو آخر الخلفاء من بني أمية.

أخبار من قتل من بني أمية[1]:

كان سليمان بن هشام بن عبدالملك قد أمنه السفاح وأكرمه. فدخل [٢٥٧] سديف ابن ميمون على السفاح وأنشده: [الخفيف]

لا يغرنك ما ترى من رجال ... إن تحت الضلوع داء دويا

فضع السيف وارفع الصوت ... حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا

فأمر السفاح بقتل سليمان فقتل، وكان قد اجتمع عند عبد الله بن علي بن عبد الله ابن العباس جماعة من بني أمية نحو تسعين رجلاً، فلما اجتمعوا عند حضور الطعام

(١) انظر حولها البلاذري، أنساب الأشراف: ٩/٣٢٩.

دخل شبل بن عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله بن علي عم السفاح وأنشده: [الخفيف]

أصبح الملك ثابتَ الآساس ... بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها ... بعد ميل من الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عثاراً ... واقطعن كل رقلة وغراس
ذلها أظهر التودد منها ... وبها منكم كحد المواسي
ولقد ساءني وساء سوائي ... قربهم من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله ... بدار الهوان والإتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد ... وشهيد بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أضحى ... ثاوياً بين غربة وتناس

فأمر عبد الله بهم فضربوا بالعمد حتى وقعوا وبسط عليهم الأنطاع ومد الطعام وأكل الناس وهم يسمعون أنينهم حتى ماتوا جميعهم.

وأمر عبد الله بنبش قبور بني أمية بدمشق فنبش قبر معاوية بن صخر وقبر ابنه يزيد وقبر عبدالملك بن مروان وقبر هشام بن عبدالملك فوجد صحيحاً فأمر بصلبه ثم أحرقه [٢٥٨] بالنار وتتبع يقتل بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم فلم يفلت منهم غير رضيع أو من هرب إلى الأندلس. وقتل سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس جماعة من بني أمية وألقاهم على الطريق فأكلتهم الكلاب، ولما رأى من بقي من بني أمية ذلك تشتتوا واختفوا في البلاد.

وفي هذه السنة أعني سنة اثنتين وثلاثين ومائة خلع أبو الورد بن الكوثر، وكان من أصحاب مروان طاعة بني العباس بعد أن كان دخل في طاعتهم، فسار إليه عبد الله ابن علي وهو بقنسرين في جمع عظيم واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أبو الورد وأصحابه ثم قتل أبو الورد.

ولما فرغ عبد الله من أبي الورد جدد البيعة على أهل قنسرين ثم رجع إلى دمشق، وقد خرج من بها عن الطاعة ونهبوا أهل عبد الله بن علي، فلما قرب عبد الله ابن علي من دمشق هربوا ثم أمنهم.

وفيها: ولى السفاح يحيى بن محمد أخاه الموصل، وكان أهلها قد أخرجوا الوالي الذي بها فسار يحيى إلى الموصل وقتل من أهلها أحد عشر ألف رجل، وأمر

بقتل نسائهم وصبيانهم، وكان مع يحيى قائد معه أربعة آلاف زنجي، فاستوقفت امرأة من أهل الموصل يحيى، وقالت: ما تأنف للعربيات أن ينكحن الزنوج فعمل كلامها فيه وجمع الزنوج فقتلهم عن آخرهم.

وفي هذه السنة أرسل السفاح أخاه أبا جعفر المنصور والياً على الجزيرة وآذربيجان وأرمينية، وولى عمه داود المدينة ومكة واليمن واليمامة، وولى ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الكوفة وسوادها [٢٥٩] وكان على الشام عمه عبد الله بن علي، وعلى مصر أبو عون بن يزيد وعلى خراسان أبو مسلم.

سنة ثلاث وثلاثين ومائة:

فيها: استولى ملك الروم واسمه قسطنطين على ملطية وقاليقلا.

وفيها: ولى السفاح عمه سليمان البصرة وكور دجلة والبحرين وعمان، واستعمل عنه أخاه إسماعيل بن علي على الأهواز.

وفيها: مات عم السفاح داود بن علي بالمدينة وولى السفاح مكانه زياد بن عبد الله الحارثي.

فيها: عزل السفاح أخاه يحيى بن محمد عن الموصل لكثرة قتله فيهم وولى عليها عمه إسماعيل بن علي.

سنة أربع وخمس وثلاثين ومائة:

في سنة أربع تحول السفاح من الحيرة، وكان مقامه فيها إلى الأنبار في ذي الحجة.

وفي سنة خمس توفي يحيى أخو السفاح بفارس، وكان قد ولاه إياها بعد عزله عن الموصل.

سنة ست وثلاثين:

فيها: استأذن أبو مسلم السفاح في القدوم عليه وفي الحج فأذن له فحج وحج أبو جعفر المنصور أيضاً وكان أبو جعفر هو الأمير.

موت السفاح:

وفي هذه السنة أعني ست وثلاثين مات السفاح بالأنبار في ذي الحجة بالجدري وعمره ثلاث وثلاثون سنة.

فهذه خلافته من لدن قتل مروان أربع سنين. وكان قد بويع له بالخلافة قبل قتل مروان بثمانية أشهر. وكان [٢٦٠] السفاح طويلاً، أقنى الأنف، أبيض، حسن الوجه واللحية. وصلى عليه عمه عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس بالأنبار العتيقة.

خلافة المنصور: وهو ثاني خلفاء بني العباس.

كان السفاح قد عهد بالخلافة إلى أخيه أبي جعفر ثم من بعده إلى ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي فعقد العهد في ثوب وختم عليه، ورفعه إلى عيسى ابن موسى. ولما مات السفاح كان أبو جعفر في الحج فأخذ له البيعة على الناس علي ابن موسى، وأرسل يعلمه بذلك، وكان أبو مسلم مع أبي جعفر في الحج فبايع أبو مسلم أبا جعفر وبايعه الناس.

سنة سبع وثلاثين ومائة:

فيها: قدم أبو جعفر من الحج إلى الكوفة فصلى بأهلها الجمعة وخطبهم وسار إلى الأنبار وأقام بها.

وفيها: بايع عبد الله بن علي لنفسه بالخلافة، وكان أبو مسلم قد قدم من الحج مع المنصور فأرسله المنصور ومعه الجنود لقتال عمه عبد الله بن علي، وكان عبد الله بأرض نصيبين، فاقتتلا عدة دفوع، واجتهد أبو مسلم بأنواع الخدائع في قتاله، وداموا كذلك مدة آخرها انهزم عبد الله بن علي وأصحابه في جمادى الآخرة من هذه السنة إلى جهة العراق، واستولى أبو مسلم على عسكره وكتب بذلك إلى المنصور.

قتل أبي مسلم:

وفيها: قتل أبو جعفر أبا مسلم الخراساني بسبب وحشة جرت بينهما فإن [٢٦١] المنصور كتب إلى أبي مسلم بعد انهزام عبد الله بن علي بالولاية على مصر والشام وصرفه عن خراسان، فلم يجب أبو مسلم وتوجه إلى خراسان. فسار المنصور من الأنبار إلى المدائن، وكتب إلى أبي مسلم يطلبه فاعتذر عن الحضور وطالت بينهما مراسلات وآخرها قدم أبو مسلم على المنصور في ثلاثة آلاف فارس، وخلف باقي

عسكره بحلوان. ولما قدم أبو مسلم دخل على المنصور وقبّل يده وانصرف، فلما كان من الغد ترك المنصور بعض الخدم مع الربيع حاجبه خلف الرواق، وأمرهم إذا صفق بيديه يخرجوا ويقتلوا أبا مسلم، ودعا أبا مسلم فلما حضر جعل المنصور يعدد ذنوبه وهو يعتذر ثم صفق المنصور فخرجوا وقتلوا أبا مسلم. وكان قتله في شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة. وكان أبو مسلم قتل في مدة دولته ستمائة ألف صبراً.

سنة ثمان وثلاثين ومائة:

فيها خرج قسطنطين ملك الروم إلى بلاد الإسلام فأخذ ملطية عنوة وأخذ يهدم سورها وعفا عن مقاتليها وقد مر فيما تقدم نحو ذلك.

وفيها: وسع المنصور في المسجد الحرام.

سنة تسع وثلاثين ومائة:

ابتداء الدولة الأموية بالأندلس:

وفي هذه السنة دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان إلى الأندلس[١].

وفيها: ظفر المنصور بعمه عبد الله بن علي، وكان متخفياً عند أخيه سليمان بن علي فأعدمه [٢٦٢].

سنة أربعين ومائة:

فيها: أرسل المنصور عبدالوهاب بن أخيه إبراهيم الإمام والحسن بن قحطبة في سبعين ألف مقاتل ليعمروا ملطية فعمروها في ستة أشهر، وسار إليهم ملك الروم في مائة ألف مقاتل حتى نزل نهر جيحان فبلغه كثرة المسلمين فرجع.

وفيها حج المنصور وتوجه إلى البيت المقدس إلى الرقة وعاد إلى هاشمية الكوفة.

وفيها: أمر بعمارة سور المصيصة وبنى بها مسجداً جامعاً وأسكنها ألف جندي وسماها المعمورة.

---

(١) تحدث المصنف عن الدولة الأموية بالأندلس في الجزء الرابع والعشرين.

سنة إحدى وأربعين ومائة:

فيها: كان خروج الراوندية على المنصور، وهم قوم من أهل خراسان على مذهب أبي مسلم الخراساني يقولون بالتناسخ فيزعمون أن روح آدم في عثمان بن نهيك، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو الخليفة فلما ظهروا وأتوا إلى قصر المنصور، قالوا: هذا قصر ربنا فحبس المنصور رؤساءهم وهم مائتان فغضب أصحابهم وأخذوا نعشاً وحملوه ومشوا به على أنهم ماشون في جنازة حتى بلغوا باب الحبس فرموا بالنعش وكسروا باب السجن وأخرجوا رؤساءهم ثم قصدوا المنصور وهم نحو ستمائة رجل، فتنادى الناس وأغلقت الأبواب في المدينة وخرج المنصور ماشياً واجتمع إليه الناس، وكان معن بن زائدة الشيباني مستخفياً من المنصور فحضر وقاتل الراوندية بين يدي المنصور فعفا عنه، وقتل في ذلك اليوم الراوندية جميعهم [٢٦٣].

سنة اثنتين وأربعين ومائة إلى سنة خمس:

فيها: أي اثنتين: مات عم المنصور سليمان بن علي. وفي سنة أربع حبس المنصور من بني الحسن بن علي أحد عشر رجلاً وقيدهم.

وفيها: مات عبد الله بن شبرمة وعمرو بن عبيد المعتزلي الزاهد، وعقيل بن خالد صاحب الزهري.

وفي سنة خمس: ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم واستولى على المدينة وتبعه أهلها فأرسل المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى إليه فوصل المدينة وخندق محمد على نفسه موضع خندق رسول الله ﷺ للأحزاب وجرى بينهما قتال آخره أن محمد بن عبد الله قتل هو وأصحابه وأخذ من سلم منهم. وكان محمد سميناً أسمر شجاعاً كثير الصوم والصلاة وكان يلقب المهدي والنفس الزكية.

ولما قتل أقام عيسى بن موسى أياماً بالمدينة. ثم سار عنها في أواخر رمضان يريد مكة.

وفي هذه السنة ابتدأ المنصور في بناء بغداد وسبب ذلك: أن المنصور كره سكنى الهاشمية التي بناها بنواحي الكوفة لما ثارت عليه الراوندية، وكرهها أيضاً لجوار أهل الكوفة فإنه كان لا يأمن على نفسه منهم فخرج يرتاد موضعاً فاختار موضع بغداد. وابتدأ في بنائها سنة خمس وأربعين ومائة.

ظهور إبراهيم العلوي: في هذه السنة في رمضان ظهر إبراهيم بن عبد الله بن

الحسن بن الحسن بن علي [٢٦٤] بن أبي طالب أخو محمد النفس الزكية وكان مستخفياً هارباً من بلد إلى بلد والمنصور يجتهد على الظفر به فقدم البصرة ودعا الناس إلى نفسه فبايعه جماعة منهم: مُرّة العبشمي وعبدالواحد بن زياد وعمر بن سلمة الهجيمي وعبد الله بن يحيى الرقاشي وأجابه جماعة من الفقهاء وأهل العلم حتى أحصى ديوانه أربعة آلاف، وكان أمير البصرة سفيان بن معاوية، فلما رأى اجتماع الناس على إبراهيم تحصن في دار الإمارة بجماعة فقصده إبراهيم محاصراً له فطلب سفيان الأمان فأمنه إبراهيم ودخل إبراهيم القصر، فجاء يجلس على حصير فرشت هناك فقلبها الريح فتطير الناس، فقال: إنا لا نتطير وجلس عليها مقلوبة ووجد إبراهيم في بيت المال ألفي ألف درهم فاستعان بها وفرض لأصحابه خمسين خمسين، ومضى إبراهيم بنفسه إلى دار زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وإليها ينسب الزينبيون من العباسيين، فنادى هناك لأهل البصرة بالأمان وأن لا يتعرض إليهم أحد. ولما استقرت البصرة لإبراهيم أرسل جماعة فاستولوا على الأهواز ثم أرسل هارون بن سعد العجلي في سبعة عشر ألفاً إلى واسط فملكها، ولم يزل كذلك يفرق العمال والجيوش حتى أتاه الخبر بمقتل أخيه قبل عيد الفطر بثلاثة أيام ثم إن إبراهيم أجمع على المسير إلى الكوفة وسار من البصرة وقد أحصى ديوانه مائة ألف حتى نزل باخمرى وهي من الكوفة على ستة عشر فرسخاً. وكان المنصور قد استدعى عيسى بن [٢٦٥] موسى من الحجاز فحضر وجعله في جيش قبالة إبراهيم وجرى بينهما قتال شديد انهزم فيه غالب عسكر عيسى بن موسى ثم تراجعوا ووقعت الهزيمة على أصحاب إبراهيم وثبت هو في نفر من أصحابه يبلغون ستمائة فجاء سهم في حلقوم إبراهيم فتنحى عن موقفه. وقال: أردنا أمراً وأراد الله غيره، واجتمع عليه أصحابه وأنزلوه فاجتمع عليه عسكر عيسى ففرقوا أصحابه واحتزوا رأسه وأتوا به عيسى، فسجد شكراً لله تعالى وبعث به إلى المنصور، وكان مقتله في خامس عشرين ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائة وعمره ثمانياً وأربعين سنة.

سنة ست وأربعين ومائة:

فيها: تحول المنصور إلى بغداد ليكمل عمارتها واستشار أصحابه وفيهم خالد بن برمك في نقض إيوان كسرى والمدائن، ونقل ذلك إلى بغداد، فقال خالد: لا أرى ذلك لأنه من أعلام المسلمين، فقال المنصور: ملت يا خالد إلى أصحابك العجم،

وأمر المنصور بنقض القصر الأبيض، فنقضت ناحية منه فكان ما يغرمون على نقضه أكثر من قيمة المنقوض فتركه، فقال خالد: إني لا أرى أبطال نقضه لئلا يقال إنك عجزت عن تخريب ما بناه غيرك، فلم يلتفت المنصور وترك هدمه ونقل المنصور أبواب مدينة واسط إلى بغداد وجعل المنصور مدينة بغداد مدورة لئلا يكون بعض الناس أقرب إلى السلطان من بعض وبنى قصره في وسطها والجامع إلى جانب القصر [٢٦٦].

سنة سبع وأربعين إلى خمسين:

في سنة سبع خلع المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من ولاية العهد وبايع لابنه المهدي محمد.

وفي سنة ثمان ولد الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك. وفيها: ولى المنصور خالد بن برمك الموصل، وكان مولد الفضل قبل مولد الرشيد بتسعة أيام فأرضعته خيزران أم الرشيد.

وفيها توفي جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وجعفر الصادق أحد الأئمة الاثني عشر على رأي الإمامية، فإنه تقدم علي بن أبي طالب ثم ابنيه الحسنين ثم زين العابدين والباقر ثم جعفر الصادق، وسنذكر الباقين إن شاء الله تعالى وسمي الصادق لصدقه. وله كلام في صنعة الكيماء والزجر والفأل. وولد سنة ثمانين وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة ودفن بالبقيع. وأمه بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ أجمعين.

وفيها: توفي أبو محمد بن عبدالرحمن أبو ليلى القاضي.

وفي سنة تسع وأربعين مات سلم بن قتيبة بالريّ وكان مشهوراً عظيم القدر.

وفيها: مات كهمس بن الحسن التميمي البصري، وعيسى بن عمر الثقفي وعنه أخذ الخليل النحو.

وفي سنة خمسين ومائة: بنى عبدالرحمن الأموي سور قرطبة.

وفيها: مات جعفر بن أبي جعفر المنصور.

وفيها: مات أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زُوطا مولى تيم الله بن ثعلبة وكان زوطا [٢٦٧] من أهل كابل وقيل بابل، وهو الذي مَسّه الرق فأعتق وولد له ثابت على الإسلام، وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: ما وقع علينا رق قط. وروي أن ثابتاً

أبا أبي حنيفة أتى إلى علي بن أبي طالب ﷺ وهو صغير، فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته. وقيل في نسب أبي حنيفة غير ذلك فقيل هو النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان فإن جده النعمان بن المرزبان أهدى إلى علي ﷺ يوم المهرجان فالوذجاً فقال له علي: مهرجونا في كل يوم وأدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة وهم أنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة وأبو الطفيل عامر بن وائلة بمكة ولم يلق أحداً وأخذ عنه وأصحابه يقولون: لقي جماعة من الصحابة وأخذ عنهم ولم يثبت ذلك عند أهل النقل.

وكان أبو حنيفة عالماً زاهداً ورعاً راوده أبو جعفر المنصور في ولاية القضاء فامتنع. وكان حسن الوجه ربعة وقيل طويلاً حسن المنطق.

قال الشافعي قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة قال: نعم، رجلٌ لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته، وكان يصلي غالب الليل حتى قيل إنه صلى الصبح بضوء عشاء الآخرة أربعين سنة، وختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة. وكان يعاب بقلة العربية. وولادته سنة ثمانين للهجرة وقيل سنة إحدى وستين وكانت وفاته ببغداد في السجن ليلي القضاء فلم يفعل. وقيل كانت وفاته يوم ولد الشافعي [٢٦٨] وذلك في رجب من هذه السنة وقبره ببغداد مشهور.

وفيها: مات محمد بن إسحاق صاحب المغازي، وكان ثبتاً في الحديث عند أكثر العلماء. وقد ذكره البخاري في تاريخه ولم يرو عنه. وكذلك مُسلم لم يُخرج عنه إلا حديثاً واحداً في الرجم. وإنما لم يرو عنه البخاري لطعن الإمام مالك بن أنس فيه، وكانت وفاة ابن اسحاق ببغداد. وفيها: مات مقاتل وسليمان الثلجي المنتشر.

سنة إحدى وخمسين إلى ستين ومائة:

في سنة إحدى وستين ولى المنصور هشام بن عمر التغلبي على السند، وكان عليها عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة الأزدي فعزله وولاه إفريقية، وكان يلقب عمر بن حفص هزارمرداي ألف رجل.

وفيها: بنى المنصور الرصافة للمهدي ابنه وهي في الجانب الشرقي من بغداد وحول إليها قطعة من جيشه.

وفيها: قتل معن بن زائدة الشيباني بسجستان في بُست وكان المنصور قد

استعمله. وقتله جماعة من الخوارج هجموا عليه في بيته وهو يحتجم. وقام بالأمر من بعده ابن أخيه يزيد بن مزيد الشيباني.

وفي سنة اثنتين وخمسين غزا حميد بن قحطبة كابل وكان أمير خراسان.

وفي سنة أربع: توفي بالكوفة أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن ولد الحصين التميمي المازني البصري. وكانت ولادته سنة سبعين واسمه كنيته وهو أحد القراء السبعة. وكان أعلم الناس بالقرآن الكريم.

وفيها: سار المنصور إلى الشام وجهز جيشاً إلى المغرب لقتال الخوارج بها. وفيها: مات أشعب الطامع. وفيها: مات وهيب [٢٦٩] الورد المكي الزاهد.

وفي سنة خمس وخمسين عمل المنصور لبلدي الكوفة والبصرة سورين وخندقين وجعل ما أنفق فيه من أموال أهلها، ولما أراد المنصور معرفة عددهم أمر أن يقسم فيهم خمسة دراهم ثم جبى منهم أربعين أربعين فقال شاعرهم: [مجزوء الرمل]

يا لقومي ما لقينا من أمير المؤمنينا
قسم الخمسة فينا وجبانا أربعينا

وفي سنة ست وخمسين توفي حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي المعروف بالزيات أحد القراء السبعة وعنه أخذ الكسائي القراءة، وكان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، ويجلب الجوز من حلوان إلى الكوفة، فقيل له الزيات لذلك.

وفي سنة سبع وخمسين: مات الأوزاعي الفقيه واسمه عبدالرحمن بن عمرو، وعمره سبعون سنة وكنيته أبو عمرو وكان يسكن بيروت وبها توفي. وولد ببعلبك سنة ثمان وثمانين للهجرة وكان يخضب بالحناء. وكان إمام أهل الشام. قيل إنه أجاب في سبعين ألف مسألة. وقبره في قرية على باب بيروت يقال لها حيتوش وأهل القرية لا يعرفونه وإنما يقولون ها هنا رجل صالح. والأوزاعي منسوب إلى أوزاع بطن من ذي كلاع وقيل من همدان.

موت المنصور:

وفي سنة ثمان وخمسين مات المنصور وهو المنصور بالله عبد الله بن محمد [٢٧٠] ابن علي بن عبد الله بن عباس. وكانت وفاته في هذه السنة لست خلون من ذي الحجة بدير ميمونة وكان قد خرج من بغداد للحج فسار معه ابنه المهدي فقال له

المنصور: إني ولدت في ذي الحجة ووليت في ذي الحجة وهجس في نفسي أني أموت في ذي الحجة من هذه السنة، وهو الذي حداني إلى الحج فاتق الله فيما أعهد إليك من أمور بعدي ووصاه وصية طويلة ثم ودعه وبكيا وسار إلى الحج ومات ببئر ميمونة محرماً في التاريخ المذكور. وكان مرضه القيام وكان عمره ثلاثاً وستين سنة ومدة خلافته اثنتين وعشرين سنة وثلاثة أشهر وكسراً.

وكان المنصور أسمر نحيفاً خفيف العارضين ولد بالحميمة من أرض الشراة ودفن بمقابر باب المعلى وبقي أثر الإحرام فدفن ورأسه مكشوف.

ومما يحكى عنه في حجه، قيل: بينما الخليفة المنصور يطوف بالكعبة ليلاً إذ سمع قائلاً يقول: اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع. فخرج المنصور ودعا القائل وسأله عن قوله، فقال: يا أمير المؤمنين إن أَمَنتني أنبأتك بالأمور على جليتها وأصولها فأمنه فقال: إن الذي دخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله هو أنت يا أمير المؤمنين. فقال المنصور له: ويحك كيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي والحلو والحامض عندي فقال الرجل: إن الله [٢٧١] استرعاك للمسلمين وأموالهم فجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر وأبواباً من الحديد وحُجّاباً معهم الأسلحة وأمرتهم ألا يدخل عليك إلا فلان وفلان ولم تأمر بإيصال المظلوم والملهوف ولا الجائع والعاري وما أحدٌ إلا وله من هذا المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك تجتبي الأموال فلا تقسمها قالوا: هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا نفسه فاتفقوا على أن لا يصل إليك من أخبار الناس إلا ما أرادوا ولا يخرج لك عامل فتخالف أمرهم إلا نفوه حتى تسقط منزلته وتصغر قدره فلما انتشر ذلك عنهم وعنك عظمهم الناس وهابوهم وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا ليتقووا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والقوة من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم فامتلأت بلاد الله بالطمع ظلماً وصار هؤلاء القوم شركاؤك في سلطانك وأنت غافل فإن جاء متظلم حيل بينه وبينك لأنك قد منعت من ذلك وجعلت رجلاً يتحدث في المظالم فلا يزال المظلوم يختلف إليه وهو يدافعه خوفاً من بطانتك فإذا صرخ بين يديك ضرب ضرباً شديداً ليكون نكالاً لغيره وأنت تنظر ولا تنكر. فما بقاء الإسلام على هذا فإن كنت تجمع المال لولدك فقد أراك الله من الطفل يسقط من بطن أمه وما له في الأرض مال وما من [٢٧٢] مالٍ إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله يلطف بذلك الطفل

حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست الذي تعطي وإنما الله تعالى يعطي من يشاء بغير حساب. وإن قلت إنما أجمع المال لتسديد الملك وتقويته فقد أراك الله بني أمية ما أغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة وما أعدوه من الرجال والسلاح حتى أراد الله تعالى لهم ما أراد.

وإن قلت إنما أجمعه لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها فوالله ما فوق منزلتك إلا منزلة لا تنال إلا بخلاف ما أنت عليه. فاستحسن المنصور كلامه. وكان المنصور أحسن الناس خلقاً في الخلوة حتى يخرج إلى الناس. وكان له من الأولاد: المهدي محمد وجعفر الأكبر مات في حياة أبيه، وسليمان وعيسى ويعقوب وجعفر الأصغر وصالح المسكين.

خلافة المهدي أبو عبد الله محمد المنصور، وهو ثالث بني العباس:

وصل إليه الخبر بموت أبيه وبالبيعة له في منتصف ذي الحجة لأن القاصد، وصل من مكة إلى بغداد في أحد عشر يوماً فبايعه أهل بغداد.

وفي سنة ستين: أمر المهدي برد نسب آل زياد الذي استلحقه معاوية إلى عبيد الرومي وأخرجهم من قريش فأخرجوا من ديوان قريش وردوهم إلى ثقيف.

وفيها: حج المهدي وفرق في الناس أموالاً عظيمة ووسع مسجد رسول الله ﷺ وحمل البلح إلى مكة [٢٧٣].

وفيها: مات داود الطائي الزاهد من أصحاب أبي حنيفة وعبدالرحمن بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود المسعودي. وفيها: توفي الخليل بن أحمد المصري النحوي أستاذ سيبويه.

آخر السفر الخامس والعشرين من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ويتلوه إن شاء الله تعالى في السفر السادس والعشرين سنة إحدى وستين ومائة.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.
وحسبنا الله ونعم الوكيل



فهرس الأعلام[1]

(١) أل التعريف، وابن، وابنة، وأبو، وآل، وبنو لا يعتد بها في الفهارس.

- ب -

- ح -

- خ -

- د -

- س -

- ض -

- ط -

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

- ن -

- ي -

فهرس الشعوب والقبائل والفرق

فهرس الأماكن

- ح -

- خ -

- غ -

- ف -

- ق -

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -

فهرس الأيام والوقائع والحروب والغزوات



المحتويات



